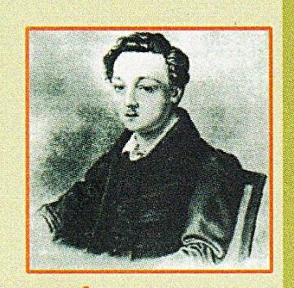
المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة





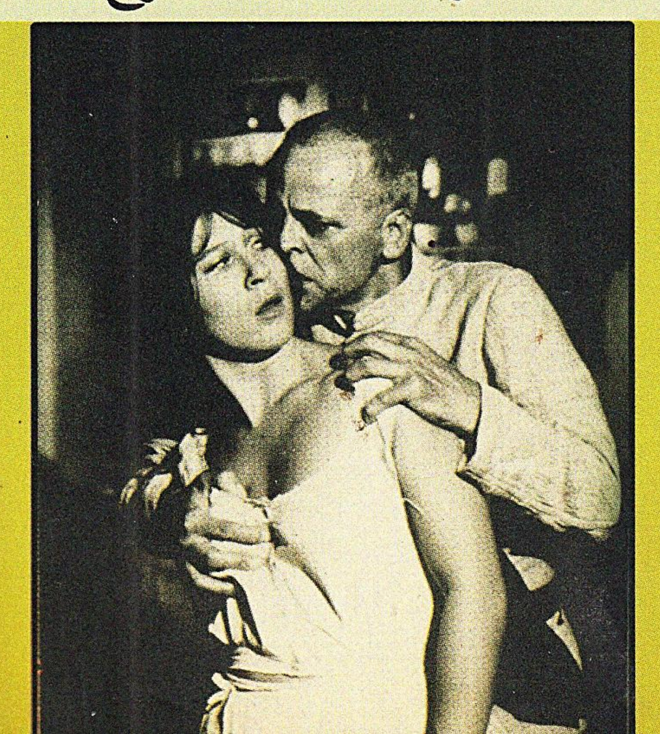
جورج بشنر

موت دانتون
ليونس ولينا
فويسك

الأعمال المسرحية الكاملة

ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكاوى

تصدير: أحمد سخسوخ



علي مولا

1298



كلاسيكيات الدراما العالمية

چورج بُشنر

الأعمال المسرحية الكاملة

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة : أحمد سخسوخ
– العدد : ١٢٩٨
– الأعمال المسرحية الكاملة
– چورچ بُشنر
– عبد الغفار مكاوى
– أحمد سخسوخ
– ٢٠٠٩

هذه ترجمة الأعمال المسرحية الكاملة

لچورج بُشنر

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

چورچ بُشنر

الأعمال المسرحية الكاملة

- موت دانتون
- ليونس ولينا
- فويسك

تأليف : چورچ بُشنر

ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوى

تصدير : أحمد سخسوخ



٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بُشنر ، چورچ
الأعمال المسرحية الكاملة / تأليف : چورچ بُشنر ؛
ترجمة وتقديم : عبد الغفار مكاوى ؛ تصدير : أحمد سخسوخ
القاهرة : المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩
٣٢٠ ص ؛ ٢٠ سم
١ - المسرحيات الإنجليزية
(أ) مكاوى ، عبد الغفار (مترجم ومقدم)
(ب) سخسوخ ؛ أحمد (تصدير)
(ج) العنوان ٨٢٢

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٢٢٥٦٧
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 437 - 501 - 7
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

تصدير

بقلم : أحمد سخسوخ

غادر العبقرى جيورج بوشنر Georg Buechner عالمنا قبل أن يكمل الرابعة والعشرين من عمره، وعلى الرغم من حياته القصيرة، فقد ترك لنا كنوزا أدبية ودرامية وعلمية عظيمة الأثر مهد بها الطريق إلى الدراما الحديثة كما يقول هاينر موللر Heiner Mueller ، وكان تأثيره مباشرا على الحركة التعبيرية التى ظهرت بعد رحيله بأكثر من ثلاثة أرباع القرن – ظهرت فى ألمانيا عام ١٩١٠ – وقد ظهر هذا التأثير على وجه الخصوص جليا لدى فرانك ڤيدكند Frank Wedekind وبرتولت بريشت Bertolt Brecht ، كما استفاد من تقنياته فى الكتابة الدرامية كتاب السينما فيما بعد، ويعتبر جيورج بوشنر أول كاتب مسرحى فى التاريخ يجعل بطله الدرامى بروليتاريا قبل أن يكتب ماركس Karl Marx وإنجلز Friedrich Engels بيانهما الشيوعى بعشر سنوات، كما ينسب إليه ما يسمى بالشكل الدرامى المفتوح تمييزا له عن الطريقة الكلاسيكية أو الشكل الدرامى المغلق فى الدراما الألمانية والذى ارتبط بـ ليسنج Gotthold Ephraim Lessing وشيلر Friedrich Schiller

وجـوتـه Johann Wolfgang von Goethe وجـريل بـارتسـر Grill Parzer ويعـتـمـد هـذا البناء الدرامى لدى بوشنر على مـجـمـوعـة من المشـاهد القصيرة يدور الحدث فيها فى حلقات دائرية أو تصاعدية يتكشف فيها الحدث، كما يعتمد على الأغانى الشعبية (الفردية أو الجماعية) التى تتخلل الحدث الدرامى، ويبرز فى أعماله صور التناقضات التى تظهر العـالم على حـقـيـقـتـه وجـوهـره دون زيف مـثل الجـحـيم والجنـة، الشـقـاء والسـعـادة، العـدل والظلم، الفـقـر والغنى، الصـقـيع والدفء، البـرودة والسـخـونة وغير ذلك من المتناقضات.. وتأتى جمله وتعبيراته الدرامية متقطعة وغير مكتملة تظهر الإنسان - كما لدى شكسبير Shakespeare - فى عـمـقـه وجوهره دون حتى ورقـة توت تـخفى عورته، إذ يظهره فى عريه خالصا، وقد اعتمد بوشنر فى ذلك على المونولوجات الدرامية فى بناء الحدث، حتى أصبحت هذه الطريقة نموذجا تحتذى به الحركات الحديثة فيما بعد - مثل البـاتافيزيقية Pataphysik والتعبيرية Der Impressionismus والسريالية Der Surrealismus

حياة قصيرة حافلة :

جـاء جيـورج بوشنر إلى العـالم من قـرية جـودلاو Goddelau فى تمام السـاعة الخامسة والنصف مسـاءً من يوم الأحد السابع عشر من أكتـوبر عـام ١٨١٣، وجـودلاو قـرية صـغـيـرة تقع بين دارمـشـتـات Darmstadt وڤورم Worm فى هيسن Hessen بألمانيا(١)، وكان جيورج

هو الطفل البكر لوالده أرنست كــارل بوشنر **Ernst Karl Buechner** الذى كان يعمل طبيبا فى جودلاو، وقد جاءها حديثا، وكان والده (جد جيورج الصغير) ياكوب كارل بوشنر **Jakob Karl Buechner** يعمل طبيبا أيضا.

كان أرنست والد جيورج يعمل فى جيوش نابليون **Napoleon** حتى حصل على ممتلكات كنسية مصادرة مكافأة له، بالإضافة إلى حصوله على لقب الدوق الكبير، وفى عام ١٨١٢ عاد إلى مدينة جيسن **Giessen** واستقر بها، ولكنه كان يعمل فى مستشفى هوف مايير بجودلاو(٢).

لقد كان الأب معجبا بنابليون، وكان يتقن الفرنسية ويعشق حضارتها، وكان دائم الحديث عن الثورة الفرنسية أمام ابنه البكر جيورج، حتى أصبح موضوع الثورة الفرنسية لدى الأخير مادة لمسرحيته الأولى موت دانتون **Dantons Tod** ، وقد شكل الأدب الفرنسى لجيورج وأخوته اهتماما كبيرا فى حياتهم، فقد عمل لودفيج **Ludwig** الأخ الثانى أستاذا للفلسفة فى فرنسا، وحصل شقيقه التالى ألكسندر **Alexander** على الجنسية الفرنسية وقد وصل إلى درجة الأستاذية فى تاريخ الأدب بجامعة **Caën** ، أما الأخت لويزه **Louise** فقد تحققت ككاتبة رومانسية.

وعلى الرغم من تأثر جيورج بوشنر بالثورة الفرنسية، فقد كانت مثار خلاف بينه وبين والده، وقد انتهى الأمر بأن يترك جيورج منزل الأسرة على إثر نزاع مع الأب، وعلى العكس كانت الأم لويزه كارولينا

ريوس Louise Caroline Reuss مختلفة كثيرا عن والده، وكانت تحظى باهتمامات كل عالم بوشنر الابن، وكانت تعشق الشعر الألمانى، خاصة أشعار شيللر Schiller وأعماله مما أثر كثيرا على جيورج، وهنا تجد أن تأثير الأم على جيورج من الناحية الأدبية كان كبيرا، فى الوقت الذى كان فيه تأثير الأب عليه من الناحية السياسية والعسكرية لا بأس به.

البداية :

تبدأ علاقة جيورج بوشنر بالأدب فى سن الخامسة عشرة عام ١٨٢٨ حينما كتب مجموعة أشعار فى عيد ميلاد أمه، وفى العام نفسه، وهو فى هذه السن الصغيرة، انضم إلى حلقة دراسية تهتم بالثقافة والأدب بدارمشتات التى انتقل إليها على إثر ترقية والده بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى الطب عام ١٨١٥، وقد أنجبت هذه المجموعة فـريدريش تسـيـمـرمـان (١٨١٤-١٨٨٤) Friedrich Zimmermann ولودفيج فيلهلم لوك (١٨١٣-١٨٨١) Ludwig Wilhelm Luck وفى هذه المرحلة انكب جيورج على دراسة شكسبير وجوته وهوميروس Homer وأسـخـيلوس Aeschylos/Aischylos وسـوفـوكليس Sophocles/ Sophokles

وفى عام ١٨٣١ ، وعلى إثر حصوله على الثانوية العامة التحق بكلية طب جامعة ستراسبورج وهناك أقام لدى القس يوهان يعقوب

Johann Jakob والد إلويزا فيلهلمينا يجله **Louise Wilhelmine Jaegle** التى أصبحت عشيقته وخطيبته فيما بعد، وتعد رسائله إليها ذات قيمة كبيرة فى تاريخ الأدب الألمانى.

فى عام ١٨٣٣ انتقل جيورج بوشنر إلى جيسن لاستكمال دراسة الطب، وهناك ينخرط فى التجمعات الثورية، وينتهى من كتابة بيانه الثورى الذى سمى فيما بعد بـ رسول هيسن **Der Hessische Landbote** ثم ينتقل إلى ستراسبورج ليرتبط رسميا بمينايجله، وبعدها ينتقل إلى دارمشتات ليؤسس جماعة الدفاع عن حقوق الإنسان، ثم يعود - بعد شهر واحد - إلى جيسن لمواصلة دراسة الطب، وهناك يطبع بيانه السياسى (رسول هيسن).

فى نهاية عام ١٨٣٤ ينكب على دراسة الثورة الفرنسية لينتهى الأمر بكتابة مسرحيته الأولى (موت دانتون) تنشرها دار فرانكفورت بداية عام ١٨٣٥، يعبر فيها عن مأساة الثورة الفرنسية التى تخضبت أيديها بالدماء وهى التى جاءت لتحقق العدالة والحرية والمساواة.

وتتوالى أعماله الدرامية والأدبية فيكتب مسرحيته ليونس ولينا **Leonce und Lena** ومسرحية فوتيسك **Woyzeck** عام ١٨٣٧ ويترجم عملين إلى الألمانية للشاعر الفرنسى فيكتور هوجو **Victor Hugo** وهى لوكرتيا بورجيا **Lucretia Borgia** وماريا تودور **Maria Tudor** وفى هذه الأثناء، وفى عام ١٨٣٦ ، ودون أن يكمل الثالثة والعشرين من عمره

يحصل جيورج بوشنر على الدكتوراه فى الجهاز العصبى لسمك الباربا (وهو نوع من السمك يعيش فى المياه غير المالحة وسط أوروبا ويقترب طوله من المتر ويتراوح وزنه ما بين ٥ - ١٣ كيلو جرامًا)، وينتقل على أثر ذلك للعمل مدرسا بكلية الفلسفة بمدينة زيورخ **Zuerich** بسويسرا، وبعد فترة يشعر بالملل من تدريس مادة (مقارنات فى علم التشريح بين السمك والضفادع).

النهاية :

وفى بداية عام ١٨٣٧ يصاب جيورج بوشنر بمرض التيفوس، فاضطرت السيدة كارولينا شولتس **Caroline Scholz** وزوجها لرعايته فى منزلهما بزيورخ، وفى ١٩ فبراير من هذا العام تصل خطيبته مينايجله إلى زيورخ، وكان جيورج فى هذه اللحظة - كما تصفه السيدة كارولينا شولتس - يتنفس بصعوبة شديدة، وقد قطع الأطباء أى أمل له فى الحياة، وهنا تقول السيدة كارولينا : «جلست أنا ومينا فى حجرتنا، وكنا نعرف أنه على بعد خطوات منا يتمدد جسد ميت». وبعدها بيومين رحل جيورج بوشنر إلى عالم آخر غير عالم الأحياء.

دراما بوشنر .. والخلاف الأبدى :

يرى الدكتور عبد الغفار مكاوى فى مقدمة ترجماته المتميزة لأعمال جيورج بوشنر فى هذا الكتاب أن مسرحيته الأولى هى «الوحيدة التى أتمها قبل موته، وهى (موت دانتون)»، ثم يؤكد أن هذه المسرحية - يقصد موت دانتون - مسرحية «لا تسير إلى هدف أو خاتمة، سواء أكانت هذه الخاتمة نهاية سعيدة متخيلة، أم كارثة شاملة تحرر النفس وتطهرها. إن الفصل الرابع والأخير لا يأتى معه بالنهاية المنتظرة، فهو لا يزيد على أن يكون أحد المشاهد العديدة التى رأيناها تدور مع أرجوحة الأحداث»، وعبد الغفار مكاوى بذلك يميل إلى تقرير أن جميع أعمال جيورج بوشنر المسرحية - بما فيها موت دانتون - غير مكتملة، حيث - كما يقول - يتابع جيورج بوشنر «الكتابة كالمحموم فيؤلف مسرحيته الشعبية (فويتسك) أو ملهاته الباكية (ليونس ولينا) ورائعته القصصية (لنس) عن مأساة شاعر العاصفة والاندفاع ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١-١٧٩٢) وقد بقيت كلها أعمالا ناقصة لم تتم».

وفى الواقع يؤكد بعض النقاد هذا الرأى حول أعمال جيورج بوشنر باعتبارها أعمالا ناقصة، وهو الرأى الذى تبناه الدكتور عبد الغفار مكاوى فى مقدمته لأعمال الكاتب، وإن كنت أميل إلى تبنى موقف مغاير يرى أن جميع أعمال جيورج بوشنر أعمال مكتملة وتامة غير ناقصة.

موت دانتون :

كتب جيورج بوشنر مسرحية (موت دانتون) فى أربعة فصول تحتوى فى مجملها على اثنين وثلاثين مشهدا دراميا قصيرا، وقد وضع بوشنر بطله الدرامى (دانتون) منذ اللحظة الأولى فى موقف مأساوى يرهص بكل ما سيأتى من أحداث مفجعة، إذ يبدأ بحديثه عن الوحدة والحب الذى يشبهه بالقبر، حتى يصل فى المشهد الأخير إلى ميدان الثورة، وقد نصبت المقصلة ليدفع الجلادون به ورفاقه لقطع رقابهم، وهنا يستدير دانتون إلى الجلاد الذى يفرقهم قائلا :

«أتريد أن تكون أكثر فظاعة من الموت، أتستطيع أن تمنع رؤوسنا لكى تقبل بعضها البعض وهى فى قاع السلة»[٣] .

وفى المسرحية يبدو تأثر جيورج بوشنر واضحا بشكسبير، خاصة فى رسمه لشخصية دانتون الذى رسمه فى حالة هاملتية مترددة - إلا فى لحظات نادرة كهاملت أيضا - تقعده عن العمل والفعل، حتى نهايته تحت المقصلة، ويصبح بذلك فى النهاية ضحية لتركيبته الهاملتية.

ليونس ولينا :

هى مسرحية مكتملة - أيضا - كتبها جيورج بوشنر خصيصا ليشترك بها فى إحدى المسابقات المسرحية، وقد كتبها فى ثلاثة فصول،

وتتكون فى مجموعها من أحد عشر مشهدا دراميا، وتدور المسرحية حول فكرة هروب الأمير ليونس **Prinz Leonce** مع خادمه نظرا لأن الأمير قد أعلنت خطبته على الأميرة لينا **Prinzessin Lena** من مملكة أخرى لأسباب سياسية دون أن يراها من قبل، وفى الوقت نفسه تهرب لينا مع خادمتها، ويلتقى ليونس مع لينا دون أن يعرف أحدهما الآخر، ثم يتفقا على الزواج، بعدها يعود الأمير إلى مملكته ومعه الأميرة لينا، ويضطر والده الملك أن يوافق على زواجهما، وبعد إزاحة الأقنعة يكتشف الملك أنهما ابنه وعروسه الذى كان قد قرر تزويجها لابنه، هنا يقرر أن يتنازل عن الحكم لولده حتى يتمكن من الانصراف إلى التفكير الفلسفى دون أن تزعجه أمور المملكة، وتنتهى المسرحية بذلك.

وقد كتب جيورج بوشنر هذه المسرحية بأسلوب مخالف عن أسلوبه السابق فى موت دانتون، إذ إنه يوصفها بالكوميديا، ويصور شخصياتها بشكل كاريكاتورى، ويتلاعب فيها بالألفاظ، والمسرحية تذكرنا - بشكل ما - بكوميديات شكسبير وشخصيات مهرجيه(٤). حيث يتجسد «فى جسد بوشنر روح شكسبير» كما يقول بـ أولينين **P. Olenin** عن بوشنر وأعماله دون أن يقصد عملاً واحداً، بل كل كتاباته.

لينز (٥) :

كتب بوشنر قصة لينز عن شاعر حركة العاصفة والاندفاع **Sturm und Drang** يعقوب ميخائيل رينهولد لينز **Jakob Michael Reinhold**

Lenz وكان تركيزه الأساسى على الناحية النفسية فى لينز الذى أصيب بحالة من الشيزوفرينيا وعاش «تعيسا ثم أصبح نصف مجنون» كما وصفه جيورج بوشنر فى إحدى رسائله إلى أسرته، وتغوص القصة فى شرح وتحليل التناقض والصراع النفسى والتمزق الداخلى فى نفس البطل حتى قاده ذلك إلى الجنون، وقد نشرت القصة لأول مرة عام ١٨٣٩ ، أى بعد رحيل جيورج بوشنر عن العالم بعامين، كما أعدت للمسرح ومثلت لأول مرة عام ١٨٨٥، وقد أعد فولفجانج زيهم Wolfgang Ziehm القصة إلى الأوبرا باسم (يعقوب لينز) وعرضت فى هامبورج عام ١٩٤٩.

فويتسك :

فى طبعة شتوتجارت - عام ١٩٧٨ - توجد نسختان لمسرحية فويتسك، إحداهما منقولة عن خط يد بوشنر، والأخرى منقحة للقارئ العادى، وتتكون النسخة المنقولة عن خط بوشنر من ثلاثة أجزاء، يحتوى الجزء الأول منها على سبعة عشر مشهدا قصيرا، ويبدأ هذا الجزء بمشهد الخلاء بين فويتسك Woyzeck وأندرز Andres ، وينتهى بمشهد المعسكر الذى يودع فيه الأول الثانى.

ويبدأ الجزء الثانى بالمشاهد من الثالث حتى السابع - (وربما يشير هذا إلى ضياع أو فقدان بعض المشاهد) - ، كما يبدأ الجزء

الثالث بمشاهد مرقمة ما بين ٤ حتى ١٠ - (بالطبع يشير هذا أيضا إلى ضياع أو فقدان بعض المشاهد) - حيث يبدأ المشهد الرابع بماريا Marie أمام منزلها مع الأطفال وينتهى بمشهد فويتسك أمام المستنقع وهو يرمى بالسكين فى الماء بعد قتله لماريا، ونجد المشاهد المرقمة فى هذا الجزء أرقام ٧ ، ٩ ، ١٠ مشطوبة بخط يد بوشنر وهذا فى الواقع ما جعل الناشرين يلجأون إلى إعداد نسخة من هذه المسرحية - مسرحية فويتسك فقط - للقراءة أو للتمثيل بترتيب خاص بالمشاهد - من وجهة نظرهم - مع إضافة بعضها أو حذف البعض الآخر، ومن هنا تختلف نسخ هذه المسرحية - فى ترتيب مشاهدها - من ناشر إلى آخر، ومن طبعة إلى أخرى، ويتركز هذا الاختلاف فى الواقع على ترتيب المشاهد وعلى حذف بعضها أو اعتماد المشطوب منها.

ويرجع هذا الاختلاف فى الواقع إلى اعتماد الناشرين على مسودة خطية لبوشنر فُقد أو ضاع بعض مشاهدها، وشطب بعض ما تبقى منها، بالإضافة إلى تغيير فى بعض الكلمات والجمل بالمسرحية، ونجد نهاية المسرحية رغم كل هذا مكتملة - إلا من مشهد أو اثنين فى بعض الطبعات كما يتضح فيما بعد - ، إذ تنتهى المسرحية - فى كل الطبعات - بقتل فويتسك لماريا وإلقائه للسكين التى قتلها بها إلى الماء، ثم ذهابه إلى المستنقع أو البحيرة بحثا عن السكين ليخفى أداة الجريمة، ثم اغتساله فى مياه المستنقع لإخفاء بقع الدم من على يديه وملابسه، وأثناء ذلك يمر شخصان من أمام المستنقع على بعد وقد

توقفا بعد سماعهما لأصوات إنسان يموت، وهى نهاية للمسرحية تتفق وتكنيك البناء الدرامى المفتوح الذى يطرح بعضا من الأسئلة بعد المشهد الأخير مثل هل سيموت فويتسك غرقا؟ هل سينقذه الرجلان؟! وإذا أمسكاه هل سيبلغان عنه أو يقدمانه إلى البوليس؟!.. إلى آخر هذه الأسئلة التى لا تغلق التفسيرات على نهاية المسرحية، وهو تكنيك يختلف عن تكنيك البناء الدرامى المغلق للأعمال الكلاسيكية للسابقين على جيورج بوشنر فى الدراما الألمانية مثل ليسنج وشيللر وجوته وجريل بارتسر وغيرهم.

وفى طبعة شتوتجارت - عام ١٩٨٥[٦] - ينهى الناشر المسرحية بفويتسك وهو يتحدث إلى مياه المستنقع، وفى الوقت نفسه يأتى شخصان تصل إلى أسماعهما من بعيد أصوات لإنسان يحتضر فى ظلمة الليل، ثم يتجهان إلى مصدر الصوت، بعدها يأتى مشهد قصير للأطفال - بضعة أسطر قليلة - وهم يقررون التوجه ناحية الجثة، ثم يأتى مشهد آخر من ثلاثة أسطر يتحدث فيه رجل البوليس عن «القتل الجميل». وأنه لم ير منذ زمن طويل قتلا جميلا بهذا الشكل[٧]. وبالطبع تنتهى المسرحية.

ولهذا ربما تبنى بعض النقاد الرأى الذى يرى أن أعمال جيورج بوشنر هى أعمال ناقصة وهو الرأى الذى ربما بنى على أساس اختلاف طبعات مسرحية فويتسك وحذف بعض مشاهدها وإعادة ترتيب هذه المشاهد وفقا لوجهة نظر الناشر.

إنك تجد - مثلا - أن المشهدين الأخيرين - مشهد الأطفال ومشهد رجل البوليس - ليسا فى نص فويتسك المترجم فى هذه النسخة من الكتاب، إذ اعتمد د. عبد الغفار مكاوى فى ترجمته من الألمانية على النص الذى حققه ونشره فرتز برجمان عام ١٩٥٨، وتتفق نهاية مسرحية فويتسك بالكتاب مع النص الألمانى للمسرحية فى طبعة الكلاسيكيين الكبار التى طبعت بسالزبورج عام ١٩٨٠[٨]، وهو ما جعل النقاد يختلفون حول بعض طبعات هذه المسرحية وحول تحليلاتهم لمسرحية لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الدراما الحديثة، خاصة الدراما الألمانية، وقد وصفها فريدريش دورينمات **Friedrich Duerrenmatt** بأنها «أكثر المسرحيات التى سحرتنى».

هوامش

(١) Vgl. Buechner : Die Grossen Klassiker Literatur der Welt, Bd 17, Andreas Verl. Salzburg 1980, s. 12 ff, und Hans Mayer : Georg Buechner und seine Zeit, Suhrkamp. Taschenbuch Verl. Frankfurt am Main 1972, S. 233 FF.

(٢) Vgl. Hans Mayer, ebenda, s. 33 FF.

(٣) Buechner : Die Grossen Klassiker, 2. 213

وقارن أيضا الترجمة المتميزة لموت دانتون للدكتور مكاوى فى هذا الكتاب.

(٤) قارن نهاية نص ليونس ولينا فى هذا الكتاب مع مقارنة نص :

Georg Buechner : Leonce und Lena, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1985 s. 61

وقارن نهاية المسرحية ذاتها فى طبعة :

Buechner : Die Grossen Klassiker, s. 243

(٥) Georg Buechner : Lenz, Der Hessische Landbote, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1957

(٦) Vgl. Georg Buechner : Woyzeck, Leonce und Lena, Hers. Von otto C. A, Phillipp Reclam Jun. Stuttgart, 1985

(٧) Vgl. Ebenda, s. 28

(٨) Buechner, Die Grossen Klassiker, s. 297

تقـــديم

جـورج بشـــنر

(١٨١٣ ـ ١٨٣٧)

كاتب ثائر وطبيب ، عبر عن صرخة الخليقة المعذبة من عبث الوجود وفنائه ، هذه الصرخة التى لانزال نسمع صداها فى الأدب العالمى حتى اليوم ٠

ولد فى دارمشتات (مقاطعة هيسن فى ألمانيا) ٠ كان أبوه طبيبا ريفيا عمل فترة فى حرس نابليون فتعلم كيف يقدر كل ماهو فرنسى ، وكانت أمه التقية تجل الشاعر الكبير شيلر فوق كل شىء ، التحق بالمدرسة الثانوية فى دارمشتات ، وعرف بميله الى الفيزياء والرياضة ، كما درس الطب فى شتراسبورج وأفعم قلبه بالثورة والحرية والتمرد على الطغيان فى بلاده ، وتعـــرف على خطيبته ميناايجله التى كتب اليها رسائل من أجمل ماعرف الأدب الألمانى ٠ أكمل دراسة الطب فى مدينة جيسن (١٨٣٣) التى أقام فيها فى ظل حكم بوليسى متعنت جعله يعانى أول أزمات حياته ، ويشارك مشاركة

ايجابية فى الثورة ، فيؤلف بيانا يحرض فيه الفلاحين على الثورة على مستغليهم سماه « رسول هسن » (١٨٣٤) ٠

انه يعود فى أوائل عام ١٨٣٤ الى جيسن ليواصل دراسة الطب ، بعد أن أمضى فى بيت أبويه فى دارمشتات فترة استشفاء من التهاب فى المخ أصابه نتيجة أزمات نفسية متكررة ٠ كانت الظروف السياسية فى بلده لا تحتمل ٠ وقد كتب قبل عودته الى جيسن وهو على فراش مرضه الى صديقه أوجست شتوبر يقول : « ان الظروف السياسية تكاد تصيبنى بالجنون ، ان الشعب المسكين يجر فى صبر العربة التى يمثل عليها الأمراء وأدعياء التحرر ملهاتهم » ٠ كانت الأسابيع القليلة التى قضاها فى بيت أبويه كافية ليعرف عن كثب جبروت الدولة البوليسية الحاكمة ٠ ولم يكن من الممكن بعد ذلك أن يبتعد بنفسه عن مجرى الأحداث ، ولا لعاطفته الجياشـــة المتطلعة الى الحرية والعدل أن تقنع بمجلدات الطب والفلسفة والتاريخ التى كان يغرق نفسه فيها ليل نهار ٠

كانت البلاد الألمانية الممزقة ماتزال تئن تحت حكم أمراء يتمسكون بحقهم الالهى المطلق وكانت الوحدة الألمانية التى تمت بعد هزيمة نابليون وحدة فاسدة ، استطاعت حقاً أن تمنع الحروب بين الدويلات المتحدة ولكنها لم تستطع أن توطد دعائم السلام ٠ وكان الشباب يتوقون الى الحرية فى الداخل والخارج ، وشعارات الثورة الفرنسية لاتزال تصرخ فى آذانهم ٠ وشوقهم الى الحقوق المدنية وانصـــاف الطبقات المظلومة يؤرق نومهم ٠ كان دستور امارة هسن الكبرى ــ موطن بوشنر ــ الذى صدر فى عام ١٨٢٠ مجرد حبر على ورق ٠ لقد أوجد بالفعل مجلسا نيابيا ، ولكن حق الترشيح لعضوية هذا المجلس ظل مقصورا على ألف شخص فحسب من بين ٧٠ الفا من رعايا الامارة ! وكانت أغلبية هؤلاء الألف من كبار الموظفـــين ،

والقادرين على دفع مائة « جولد » من الذهب على الأقل ضرائب كل عام • وهكذا كان من حقهم أن يفرضوا الضرائب ، ولكن لم يكن ينتظر منهم أن يعفوا الشـــعب منها • ونشبت ثورة الفلاحين فى « سودل » من مقاطعة هسن العليا ، ولكنها سرعان ما أخمدت بقوة السلاح وتركت وراءها المرارة التى لا حد لها فى نفوس الشعب • وسوف يشير بوشنر الى هذه الحادثة فى بيانه الثورى فيما بعد حيث يقول : « ان الجنود يخرسون بطبولهم تنهداتكم ، وببنادقهم يمزقون رؤوسكم ، حين تجسرون على التفكير فى أنكم بشر أحرار • إنهم السفاحون الشرعيون ، الذين يحمون اللصوص الشرعيين • تذكروا ســـودل ! ان اخـوتكم وأبنـــاءكم قد قتلوا هناك آباءهم واخوتهم »(١) •

كانت السنوات التى امتدت من ١٨١٥ الى ١٨٣٠ فى ألمانيا فى تلك الفترة التى تلت الحرب المريرة على نابليون ســـنوات جوع وحرمان وقهر لجموع الفلاحين والعمال اليدويين • وكانوا يقفون فى جانب ، مثقلين بالضرائب ، مهددين بالعبودية والجوع ، بينما يقف الموظفون الأذلاء ورجال البلاط والعسكريون فى جانب آخر ، وكانت أخبار الظلم الذى يزداد عليهم يوما بعد يوم تصل الى بوشنر وهو يدرس فى شتراسبورج ثم وهو يواصل دراسته فى جيسن • ولم يكن من الممكن فى نطاق المدينة الجامعية الصغيرة ، وعيون الجواسيس تحيط بالطلبة من كل جانب ، أن يخفى سخطه على الأوضاع الظالمة فى بلاده ، وتطلعه الى العدالة واحترام الانســـان فى ظل نظـام جمهورى حر •

---

(١) راجع ان شئت تفصيل هذا فى كتابى « البلد البعيد » ، دار الكاتب العربى بالقاهرة ، ١٩٦٧ ص ١٣٦ ـ ١٤٦ ، فى مقال بعنوان « الرسول الثائر » •

وبدأت شرارات الثورة تتجمع ، ثورة صغيرة بغير شك ، قوامها الطلبة والمتعلمون وبعض أساتذة المدارس والجامعات ، تقلق رجال البوليس أكثر مما تحرك مشاعر الشعب الذى كان لايكاد يعرف عنها شيئا · وكان بوشنر يشارك فى تمرد المثقفين دون أن يخفى سخطه عليهم وارتيابه فيهم · ذلك أنه لم يؤمن بثورة تأتى من أعلى ، وتردد شعارات الحرية والمساواة ، بينما الشعب محروم من حقوقه الأولية ، رازح تحت نير الجوع والظلم والوحشية · وكان لابد فى رأيه أن يرفع الحرمان المادى والظلم الاجتماعى عن الشعب قبل التفكير فى حقوقه السياسية · وهاهو ذا يعبر عن ذلك فى بيانه الثورى فيقول : « ان الضغط المادى الذى ينوء به جزء كبير من الشعب الألمانى يبعث على السخط والحزن مثله مثل الضغط الروحى· وليس من المؤلم فى نظرى أن لا يسمح لهذا المثقف أو ذاك بالتعبير عن أفكاره بقدر ما يؤلم حقا أن نجد آلاف الأسر لا تملك أن تسوى بطاطسها » · لقد كان كل همه أن يجد الانسان يحترم فى وطن يحرره من الظلم والجوع والهوان ·

كان يعيش بقلبه مع الجائعين من العمال والفلاحين ، وينظر نظرة الشك والحذر الى مناقشات الأساتذة والمثقفين · وكانت أهم وسيلة لديه للوصول الى هؤلاء الفلاحين هى طبع المنشورات وتوزيعها عليهم ·

ويكتب بيانه الثورى « رسول هسن » فى مارس من عام ١٨٣٤ ، ويساعده أستاذ اللاهوت « فيدج » على طبعه فى مطبعته السرية وتوزيعه بمعرفة أصدقائه ـ وان كان قد عدل فيه كثيرا ليخفف من لهجته الحادة ضد الأغنياء والمترفين ! · وألف فى الشهر نفسه جمعية سرية سماها « جمعية الحقوق الانسانية » ، مهمتها تنوير جماهير الشعب ورفع الحرمان المادى عنهم ، ولكن أنصار

الملكية وجماعات الطلبة ابتعدت عنها بل كادت تقاطعها حين طالب بوشنر أن يسمح لغير الجامعيين بالانضمام اليها • ولكنه أصـــر على طلبه ، ودخل فى جمعيته السرية الخباز والترزى وصبى الجزار الى جانب الطالب والأستاذ الجامعى ، وفى نفس العام ألف فى مسقط رأسه « دارمشتات » فرعا آخر لهذه الجماعة من المتمردين كانوا يجتمعون سرا ، ليتدارسوا شئونهم ، وينظموا دعايتهم بين الفلاحين ، ويتمرنون على استخدام السلاح تمهيدا للثورة الشعبية الشاملة • ووزع منشور بوشنر الثورى بعد أسابيع طويلة من العمل فيه فما أكثر المتحذلقين الذين راحوا يعدلون فى أسلوبه ويخففون من لهجته !

وراح أعضاء الجماعة السرية يوزعونه فى حذر على الفلاحين ، ويلقونه تحت أبواب البيوت • واعتبرت السلطات حيازة المنشور خيانة عظمى حتى بلغ الأمر بكل من وجد منشورا تحت بابه أن يسلمه فى فزع الى رجال البوليس ، خوفا من التشريد والتعذيب والحبس الانفرادى • ويقبض على أحد أصدقاء بوشنر (منيجوروده)

ومعه عدد كبير من نسخ البيان الثورى الرائع ، ويسرع بوشنر فى شجاعة نادرة بالسفر الى فرانكفورت وأوفنباخ ليحذر زملاءه • وتفتش غرفته فى غيابه ، فلا يجد البوليس شيئا يذكر ، اللهم الا مجموعة من رسائل خطيبته اليه كتبتها بالفرنسية فأخذوها معهم من باب الاحتياط ! وينتهى الفصل الدراسى الصيفى فيعود الى بيت أبويه ، اللذين ينصحهما الناس بابقاء المتمرد الشاب تحت رقابتهما فى فصل الشتاء أيضا •

هكذا ضاع صدى البيان قبل أن يعلن صوته ، وتحطم السيف النارى قبل أن يثبت وجوده • لقد كان الضمير الاجتماعى فى ذلك العهد مايزال يغط فى نومه ، فبقى هذا الاحتجاج النبيل صرخة فى الفضاء ! وكان لدى الفلاحين من الصبر على الجوع أكثر مما كان يتوقع ، فلم يكن من المستطاع أن يعوا لغته المدعمة بالاحصاءات ،

وان فهموها فلم يكن من المستطاع أن يستجيبوا لها بالسرعة التى خيلها له حماس الشباب ٠

هاهو ذا يقول لهم : «اذهبوا يوما الى « دارمشتات » وانظروا كيف ينعم السادة هناك بأموالكم ، ثم أحكوا لأطفالكم ونسائكم الجياع كيف يوزع خبزهم على بطون الأجانب ٠ احكوا لهم عن الثياب الجميلة التى صبغوها بعرقهم ، والأشرطة المزخرفة التى فصلوها بشقوق أيديهم المتعبة احكوا لهم عن القصور الرائعة التى بنيت من عظام الشعب ثم انزووا فى أكواخكم المدخنة ، وأحنوا ظهوركم فى حقولكم الجرداء ليستطيع أطفالكم ذات يوم أن يذهبوا الى هناك ، حيث يجتمع ولى عهد مع ولية عهد لينجبا ولى عهد آخر ، وينظروا من وراء النوافذ ليروا ما يأكله السادة ، ويشموا رائحة المصابيح التى يشعلونها بلحم الفلاحين » كلمات واضحة ما كان يمكن أن تلتبس فى ذهن الفلاحين لو كتب لها أن تصل اليهم : « ستة ملايين « جولد » تدفعونها فى الامارة لحفنة من الناس وضعت حياتكم وأملاككم تحت رحمتهم ، مثلكم مثل غيركم فى بقية أجزاء ألمانيا الممزقة ٠ لستم شيئا ولا تملكون شيئا ٠ حقوقكم سلبت منكم ٠ ان عليكم أن تعطوا مايطلبه منكم مستغلوكم الذين لا يشبعون ، وأن تحملوا مايلقونه على أكتافهم ٠ افتحوا أعينكم وعدوا حفنة المستغلين الذين لا يستمدون قوتهم الا من الدم الذى يمتصونه من عروقكم ، والأذرع التى تعيرونها لهم وأنتم مسلوبو الارادة » ٠

وهكذا ضاعت دعوة « السلام للأكواخ ، والحرب على القصور » وصودر البيان قبل أن يصل الى الأيدى وقمعت الحركة الثورية ، واستيقظت روح الفنان فى نفس بوشنر الذى فر الى بيت أبويه فى شتاء ١٨٣٤/١٨٣٥ هربا من القبض عليه حيث كتب هناك فى شهرى يناير وفبراير مسرحيته الوحيدة التى أتمها قبل موته وهى « موت

دانتون » ـ وقد أثبت الباحثون أن خمسها على الأقل منقول بنصه من تواريخ الثورة الفرنسية (تييرومنييه) ـ وما كان قصده أن يمجد هذه الثورة بل أن يعبر عن فزعه من جبرية التاريخ ، وعدمية الوجود ، وتمزق البطـــل . ثم هرب فى فبراير سنة ١٨٣٥ الى شتراسبورج ، قبل صدور الأمر بالقبض عليه بقليل . ويواصـــل دراسة الطب هناك ، وحصل على شهادة الدكتوراه برسالة « عن الجهاز العظمى للأسماك » ويتابع الكتابة كالمحموم فيؤلف مسرحيته الشـــعبية « فويســـك » وملهاته الباكية « ليونس ولينا » ورائعته القصصية « لنس » عن مأساة شاعر حركة العاصفة والاندفاع ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١ ـ ١٧٩٢) وقد بقيت كلها أعمالا ناقصة لم تتم .

* * *

يعد بوشنر المناهض الأول لمثالية الشاعر الكبير شيلر . ان صورة البطل المنتصر الذى يصارع عالم المادة من أجل تمجيد الفكرة المثالية لا أثر لها عنده فأبطاله يعانون مأساتهم ، وينحدرون الى هوة من العدم ، تحركهم كالدمى الذبيحة أو كخيالات الظل يد خفية باطشة ، ويسحقهم قدر قاس مجهول . و « موت دانتون » تتألف من مشاهد مسرحية تأثر فيها بوشنر بفن شكسبير وجعل موضوعها رجل الثورة الفرنسية المشهور دانتون ، بطل حوادث القتل المشهورة فى سبتمبر ١٧٩٢ الذى ساقه زميله روبسبيير الى المقصلة فى ٥ أبريل عام ١٧٩٤ . وتدور أحداثها فى يومين اثنين معبرة عن احتقار دانتون لرعب الثورة التى جاءت لتحقق الحرية والمساواة فاذا بها تخضب يديها فى بحر من الدماء . ان دانتون بطل الثورة لم يعد بطلا . انه ينظر بغير اكتراث الى روبسبيير وهو يدفع به الى المقصلة ويشمئز من مشهد الدمـاء المسفوكة والرؤوس المتسـاقطة ويسأل

« ماهذا الذى يكذب فينا ، ويفجر ، ويسرق ، ويقتل ؟ ! » لقد صار هاملت جديدا يخنق فكره ارادته : « مانحن الا دمى ، تشد خيوطها قوى مجهولة ، مانحن الا عدم · لسنا نحن أنفسنا ، بل السيوف التى تتصارع بها الأشباح ، لكن المرء لايستطيع أن يرى الأيدى التى تحركها ، كما فى حكايات الأطفال » · انه لم يعد يعرف مايريد ، أو هو بالأحرى لم يعد يريد شيئا ، اللهم الا الراحة الحقيقية فى القبر : « جولى ، أحبك كالقبر ، صدرك رمسى وقلبك تابوتى » ان الثورة عنده هى فوضى الجماهير ، وأبطالها هم السفاحون ، ويمر الزمن فتصبح الخدعة تاريخا · والمسرحية كلها تعبر عن مأســـاة الثورة ، كما تعبر عن خيبة أمل شاب حساس بعد اخفاق ثورته وثورة أمثاله فى تحطيم الطغيان الاقطاعى المستبد فى بلده ·

وأما قصته « لنس » فتشبه أن تكون دراسة سيكلوجية للعبقرى المجنون ، الذى أصبحت نفسه مسرحا تصـــطرع عليه قوى النور والظلام ، وتهوى على الدوام فى فراغ موحش يحيط بها من كل جانب ، وملل قاتل يسلبها كل معنى للحياة ، وعالم يضطرب لا تميز فيه الحلم من الحقيقة » · كان يقف الآن على حافة الهاوية ، تدفعه لذة مجنونة الى اعادة التطلع اليها مرة بعد مرة ، ومعاناة هذا العذاب من جديد » · ان العالم يضيق الخناق عليه حتى يكاد أن يختنق ويصرخ كالطفل المريض يريد أن يدفع بيديه جدران الأرض والسماء التى تكاد تســـحقه ، ويبعد عنه أشباح القلق التى تكتم أنفاســـــه · » ·

ومقياس الصدق الفنى عند « بشنر » ليس هو الفكرة المثالية المجردة ، بل العاطفة والشعور · « ولنس » يعبر عن رأى بشنر الأدبى خير تعبير : « اننى أطلب من كل شىء الحيـــاة وامكانية الوجود عندئذ أرضى عنها ، ليس لنا أن نسأل بعد ذلك ان كان

جميلا أو قبيحا . ان الشعور هو المقياس الوحيد فى مسائل الفن . غير أن هذا الشعور بالحياة يقابلنا نادرا ، اننا نجده عند شكسبير ، ونسمعه يتردد فى الأغانى الشعبية ، كما نلمسه فى بعض الأحيان عند جوته . وكل ماعدا ذلك نستطيع أن نلقى به فى النار . ان هؤلاء الناس يعجزون عن تصوير حظيرة كلاب . أرادوا أن يصوروا شـــخصيات مثالية ، ولكن كل ما أراه منها أمامى ليس الا دمى خشبية . هذه المثالية هى أخس احتقار للطبيعة الانسانية » . ان بشـــنر يطالب الفنان بأن يغوص فى كيان كل موجود ، أن يترك الشخصية تخرج بنفسها الى الحياة ، فلا يحاول أن يحشرها فى قالب أو ينسخها على صورة نموذج محدد من قبل ، لا يختلج فيه نبض ، ولا يتردد نفس . و « ليونس ولينا » هى ملهاته الوحيدة التى يغلفها جو صاف من المرح الحزين والسخرية المريرة . انها تعبر عن انتصار الحب على الملل القاتل والخوف المتسلط من الموت والفناء .

وقد كتبت « ليونس ولينا » على أثر مسابقة أعلن عنها الناشر «كوتا» فى الثالث من شهر فبراير عام١٨٣٦ « لأفضل ملهاة ألمانية» وحدد لها موعدا ينتهى فى اليوم الأول من شـــهر يولية من نفس العام . كان نجاح مسرحيته « موت دانتون » قد منحه الشجاعة ، كما أعانته ترجماته لبعض مسرحيات فيكتور هيجو (لوكرتســـيا بورجا – وماريا تودور) على فهم الكثير من أسرار المسرح ، أجمل الفنون وأصعبها جميعا . وانتهى من كتابة ملهاته فى أسابيعقليلة من فصل الربيع . غير أنه تأخر فى ارسالها الى الناشر ، فوصلت بعد انتهاء موعد المسابقة بيومين ، وأعيدت له المخطوطة دون أن تفتح !

كتب بوشنر ملهاته وفى خياله نموذج للملهاة الرومانتيكية هو مسرحية « فون برنتانو » « ليونس دى ليون » التى كان قد اشترك

بها فى نفس المسابقة منذ سنوات عديدة ، وسقطت فى المسابقة · ومن يدرى ؟ لعله لم يكن أيضا يتوقع النجاح بقدر ما كان يريد أن يتحدى القدر !

والقراءة الأولى للمسرحية توحى بأنهــا مسرحية رومانتيكية تسيطر على فن الملهاة كما فهمه هؤلاء الرومانتيكيون وعبروا عنه بروحهم الشاعرية الحالمة · والواقع أن بشنر قد كتب المسرحية تحت تأثير قراءاته للرومانتيكيين الألمان من أمثال برنتانو ، وتيك وهوفمان وكاميسو والفرنسيين مثل فيكتور هيجو وألفريد دوموسيه · ولكن الواقع أيضا أنه أراد أن يتحرر من أحزانهم وأشواقهم ، ويكشف الرومانتيكى فى نفسه لكى يتخلص منه ، ويتجاوز عالمهم بالسخرية منه وبالتحدى له · هى مسرحية حالمة ، ولكنه الحلم الذى يفتش عن المعرفة ، وهى حلم شفاف ، ولكنه لاينسينا مرارة الواقع المفزع أبدا · انها من طراز مسرحيات الحلم : من حلم ليلة صيف لشكسبير الى لعبة الحلم أو الى دمشق لسترند برج ومع ذلك فليس فيها مكان للمثاليين ولا للعاطفيين !

الحياة ملهاة ، ولكن هذه المعرفة لاتأتيه الا من معرفته بفناء الحياة وزوالها · واذا كان الانسان يشترك فى تمثيل هذه الملهاة فليس ذلك لأنه يسعده أن يشترك فيها ، بل لأن قدرا قاسيا قد كتب عليه ذلك · فعنصر الكوميديا ينمو من الجذور التراجيدية ، بل ان العنصر التراجيدى يصبح عن طريق العنصر الكوميدى سخرية مرة شاملة · وهذا ينطبق على الأمير « ليونس » الذى يشف شفافية النور ، ولكنه يكاد يقتل نفسه من طول التأمل فى نفسه ، مثله فى ذلك مثل دانتون ، البطل الذى شل تفكيره قدرته على الفعل ·

ان ليونس أبيقورى من نوع عجيب · فهو يتلذذ بتعذيب نفسه ، ويســـتقطر الألم الكونى قطرة قطرة ، ويجد متعته فى حب يموت

كطفل رقيق شاحب مسجى فى تابوت ، قبل أن يجدها فى نعمة الحب الذى ينمو ويتفتح ويزدهر · انه يعشق نفسه ، أو بعبارة أصح يعشق أن يمتص الدم من جراحه ، أن يرى عواطفه تذبل وتتحلل ، أن يجد نفســه يترنح كالراقص على الحبل بين الحلم والواقع ، والوهم والحقيقة ، واللعب والجد · ان كل همه أن يوقف اللحظة الراهنة ليستمتع بها الى آخر قطرة · ولكن اللحظة تمر ، وتزيده احساسا بلوعة وعذاب المصير ، فيتأملها وكأنه يقول لها على لسان فاوست : تريثى قليلا فما أجملك !

هذا الاحساس بالحياة يظل يتأرجح بين متعة الخيال التى لا حد لها ، وبين خيبة الأمل التى يسببها السأم · والحياة تواصل عبثها ، يشدها الاحســاس الرومانتيكى الذى يموت من ناحية ، وتجذبها حقيقة الواقع الذى يتجرد من سحره من ناحية أخرى ·

ان الشخصيات لا تجد الفعل الذى تغوص فى لجته ولذلك فهى مهددة فى كل لحظة بالسقوط فى هوة الفراغ · انها ، على حد قول فاليريو ، كصفحة بيضاء كتب عليها فى كل لحظة أن تملأها بالكتابة · وتكاد الذات أن تتفرق وتتلاشى ، لولا أن النظرة الساخرة المبتعدة تجدد سخريتها من هذه الذات فى لحظات الملل وتجدد أيضا متعتها بعذابها ، ولولا نعمة الأســطورة التى تحقق الحلم فى النهاية ، وتخلص الانسان بالحب والسعادة من خوفه من الملل والعدم ·

وقصة هذه المسرحية بسيطة · فالأمير ليونس من مملكة بوبو قد اعلنت خطبته لأسباب سياسية على الأميرة « لينا » من مملكة « بيبى » · ولكن الأميرين لم يســبق لهما أن تلاقيا وجها لوجه · وليس فى امكانهما أن يشعرا بالحب نحو بعضهما البعض · ولذلك يلجآن الى الفرار من هذا الزواج الرسمى ، فيهرب ليونس فى صحبة

خادمه فاليريو (وما أشبهه بشخصية مضحك الملك) وتهرب لينا في صحبة مربيتها • ولكن القدر يشاء أن يلتقى العروسان دون أن يعرف أحدهما الآخر ، وأن يتحابا ويتفقا على الزواج • وكأن بشنر يريد بهذا أن يصور قدرية التاريخ على خشبة المسرح ، وأن يمسك بيديه تلك الخيوط التى تحركنا بها قوة مجهولة ، وكأننا دمى مسكينة فى يديها • ويعود الأمير ليونس الى مملكته بعد أن صمم على الزواج من حبيبته المجهولة ، ويقدمهما فاليريو الى البلاط كما يقدم « آلات حية » • المقدور اذن قد حدث • ويضطر الملك الذى لا يريد أن يؤجل احتفالات الزواج حتى لا يشغله ذلك عن تأملاته الفلسفية الى الموافقة على عقد زواج العروسين المقنعين • ثم لا يلبث أن يكتشف أنهما هما ولده وعروسه • وتنتهى الرواية نهاية سعيدة ، فيخلف ليونس أباه على العرش ، وترفرف السعادة والحكمة على المملكة التى لا يعيبها سوى أن اسمها هو بوبو !(٢) •

ويلاحظ القارىء أن بشنر يسجل بهذه المسرحية ، فى اطار ساخر ، زهده فى السياسة ، وخيبة أمله فى الثورة على الاستبداد انه هنا يكرر ما قاله فى بيانه الثورى الفريد ، وان لم يقله بنفس اللهجة الجادة التى كادت تودى بحياته •

أما عن مسرحية فويسك فان بطلها « السـلبى » يعد أول شخصية كادحة تحتل مكان الصدارة فى زمنها فى مسرحية عالمية • وقد استمد بشنر موضوعها من حكاية واقعية جرت حوادثها لجندى بسيط قتل زوجته لخيانتها له • وتسود المسرحية كلها روح الانهيار الكونى الشامل والفزع من ظلام العدم والقلق أمام المجهول •

---

(٢) بوبو هى المقعدة ، كما أن بيبى ، اسم مملكة الأميرة لينـا ، هو عضو الذكورة عند الرجل •

ان البطل هنا ، مثله مثـــل دانتون ، لا يقاوم ولا يتقدم الى الأمام ، بل يحنى رأسه للقدر المعتم ، لا عن ضعف ، بل عن بصيرة بعبث كل فعل وانتصار . ولما لم يكن هناك فعل ، فليس ثمة رد فعل له ، ولا مسرحية بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة . ان الفصل ينحل الى مشاهد منفصـــلة ، ومحاورات ذاتية (مونولوج) ، ولحظات خاطفة ، وليس ثمة خط يرتفع بالحدث أو يهبط به الى نهايته ، بل لوحات وصور مفككة ، ورعشات لا يجمعها غير التوتر المتصل . ولهذا يرى النقاد أنها تمثل خطوة هامة على طريق المسرح الملحمى الحديث(٣) . وفويسك قد وجد حقيقة كما قدمنا ، واختلف الأطباء الشرعيون فى قواه العقلية . كان يقول فى المحاكمة انه سمع أصواتا تناديه « اطعن ! اطعن ! » ليس هو الذى قتل اذا ، بل قوة مجهولة طاغية يعجز عن ادراك كنهها . وتقول القضية التى تستند اليها المسرحية ان صانع القبعات يوهان كرستيان فويسك طعن أرملة الجراح فوست البالغ عمرها ستة وأربعين عاما بسكين حادة ، وذلك فى اليوم الثالث من شهر يونية عام ١٨٢١ حوالى الساعة العاشرة مساء على عتبة مسكنها فى مدينة « ليبزج » . قتلها بدافع الغيرة . فقد كانت عشيقته ، وكان يعلم ان لها علاقة برجال آخرين ، وبالأخص بالضباط والجنود . وكانت قد وعدت أن تلقاه فى المساء ، ولكنها خرجت مع غيره ، مما دفعه الى الاقدام على جريمته . وأيا ما كانت تفاصيل القضية التى شغلت الرأى العام آنذاك فقد حكم على فويسك بالاعدام بالسيف ، ونفذ فيه الحكم علنا فى السابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٨٢٤ فى سوق ليبزج . ويحتمل أن تكون هذه القضية قد ظهرت فى محيط عائلة بشنر وربما تحدث فى شأنها مع

---

(٣) راجع لكاتب السطور : المسرح الملحمى ، سلسلة كتـابك ـ دار المعارف بالقاهرة .

أبيه الذى كان هو نفسه طبيبا وكان له رأيه فى المناقشـــات الطبية الطويلة التى دارت حول فويسك ومدى قدرته العقلية • المهم أن بشنر قد تذكر هذه الحادثة التى ظلت كامنة فى عقله الباطن أثناء دراسته فى شتراسبورج ، ووجد فى شـــخصية فويسك تعبيرا عن اقتناعه بالقدرية التى تسير الانسان وتلعب بمصيره وتسلبه ارادته •

وقد ظهرت المسرحيتان بعد موت بشـــنر المفاجىء بمرض التيفوس ولم يكد يتم أربعة وعشرين عاما من عمره •

❊ ❊ ❊

مــوت دانتــون

تمهيد

كتب جورج بشنر مسرحية « موت دانتون » في شتاء سنة ١٨٣٥ ، فى أيام معدودة لم تتجاوز شهراً . كان يريد أن يمول بها هروبه عبر الحدود الفرنسية الى مدينة شتراسبورج ، التى عاش فيها ودرس الطب من سنة ١٨٣١ الى ١٨٣٣ ، ليفلت من اضطهاد البوليس واستجواباته المستمرة . فقد ألف فى مدينة جيسن قبل ذلك ـ كما قدمت ـ فرعا لجمعية سرية سماها « جمعية حقوق الانسان » كما وضع منشوره الثورى الخطير الذى فتح عيون الشرطة عليه ، وحرمه الاستقرار فى بلده .

تتألف « موت دانتون » ، مثلها فى ذلك مثل مسرحية« الجنود » للنس(١) من مشاهد صغيرة منفصلة تبلغ اثنين وثلاثين مشهدا ،

(١) ياكوب ميخائيل رينهولد لنس (١٧٥١ ـ ١٧٩٢) يعد بحياته المضطربة وأدبه من أهم ممثلى حركة « العصف والاندفاع » التى استمرت =

يساعد بعضها على دفع الحدث ، ويخلق معظمها جو المسرحية العام الذى يشبه أن يكون قبرا مخيفا شاحب الضوء ، تتردد فيه الأصداء وتتجاوب ،، وترقص الظـــلال والأطياف ، ويحب الناس ويكرهون ويتعذبون ويخطبون ويقتلون ويجنون ويحاولون أن يعزوا أنفســهم عن قدر معتم محتـــوم يتربص بهم فى كل لحظة • واذا كان أحد معاصريه من رواد المسرح الواقعى الثائر وهو جرابه (Grabbe) (١٨٠١ ــ ١٨٣٦) قد قال عن مسرحه « ليكن هو العالم » فلعل هذا القول أن ينطبق على مسرح بشـــنر أكثر مما ينطبق عليه ، ولعل هذا قد حقق مالم يحققه صاحبه من معارضة للمســـرح المثالى ــ الكلاسيكى والمسرح الرومانتيكى ، وتصوير لنبض الانسان وعذابه وعالمه الباطن الدفين ، بعيدا عن قوالب الأشكال الفنية وقيود المذاهب الفكرية والفلسفية والاجتماعية •

* * *

يبدأ الفصل الأول من المســـرحية بصالة لعب الورق ، حيث يحاول دانتون مع بعض رجال الثورة الفرنسية أن يطردوا السأم عن نفوسهم •

وليس فى هذا المشهد مجال لتصوير الانفعال بالثورة ، فالحزن والكآبة والشلل الارادى يسيطر على جوه الثقيل •

= فى الأدب الألمانى من حوالى سنة ١٧٦٧ الى سنة ١٧٨٥ وكانت كما يوحى اسمها ــ رد فعل للنزعة العقلية لحركة التنوير وتحريرا للعاطفة الجياشة والعبقرية الخلاقة • تميز انتاجه بالواقعية والثورة على الشكل المسرحى التقليدى والاهتمام بالنقدالاجتماعى وأثر تاثرا كبيرا على بشنر •

اننا نسمع أصواتا مخنوقة كانت من قبل تجلجل فى الساحات وقاعات الاجتماعات ، كما نسمع أصوات نساء تحاول أن توقظ الحب وتلمس القلوب . وبين الشك والمرارة على لسان دانتون : (اننا نعرف القليل عن بعضنا البعض . نحن وحيدون جدا) وبين الكلمات المؤثرة على لسان جولى (أنت تعرفنى يادانتون) يدور الحوار فى هذا المشهد كما يتردد فى بقية مشاهد المسرحية حتى تصرخ لوسيل صــــرختها الأخيرة قبل أن ينتابها الجنون ويقتـادها الجنود الى مصيرها المحتوم . هذا التضاد المسـتمر فى الأفكار والمشــاعر والعبارات شىء أكبر وأعمق من كل الاتجاهات والأشكال والأساليب الفنية . انه يعبر عن الصراع الكامن فى قلب بشنر نفسه ، ويصور كل ماشغل فكره وحرك عواطفه ويده بالكتابة .. وهو ماثل فى مسرحياته ورسائله ، وفى حياته ونشاطه السياسى والعلمى ، ممتد الى جذور كل ثورة سياسية أو أدبية حين تفهم على الوجه الصحيح ، « واقعى » الى الحد الذى لايمكن معه أن يوصف بالقدم أو الحداثة ، معبر عن أهون أحداث المســـرحية شأنا تعبيره عن أفظع الكوارث التاريخية . ويندر أن تجد كاتبا مثله استطاع أن يجد الكلمات التى تصور هذا كله بلا طموح أو ادعاء . ولعل هذا هو الجديد فى «موت دانتون » . ولعله أن يكون هو سر عظمتها وغرابتها فى وقت واحد . ذلك شىء يحس به القارىء ولا تنفع فى توضـــيحه الشـــروح والتحليلات . وما قيمة كل التفاصيل التاريخية والعلمية عن مكانة المســرحية فى الأدب الألمانى والعالمى الى جانب هذا الاحســاس الفريد ؟!

ومع ذلك فان هذا لايمنعنا من أن نسأل : كيف اســتطاعت كلمات بشنر وعباراته ومشاهده أن تعبر عن هذا الاحساس ؟ كيف وصل الى ذلك بلا خطب طنانة ولا أنات باكية ؟ كيف استطاع أن يكتب عن حدث تاريخى ضخم كالثورة الفرنسية فلم يمجدها ولم

يندب حظها بل جعلها مناسبة ورمزا للتعبير عن عذاب الانسان بوجه عام وعن معنى وجوده فى التاريخ أو عبث هذا الوجود ؟ وبالجملة ، لابد أن نسأل أنفسنا كيف بنى بشنر مسرحيته ؟

لا نكاد نمضى قليلا فى قراءة المشهد الأول من المسرحية حتى نسمع كتائب الرعب والفزع الزاحفة ونحس أن دانتون « بطل » الثورة الذى أنقذها من أعدائها ذات يوم ، وكان مسئولا عن حوادث القتل المشهورة فى سبتمبر سنة ١٧٩٢ ـ لابد أن يتحرك ويفعل شيئا • ولكننا سرعان ما نحس كذلك أن « البطل » لم يعد بطلا بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة ، ولم يبق فيه شىء من الحماس والتزمت والجد الذى يحتاج اليه الثوار والسياسيون • ان كلماته تفيض أسى ومرارة وشكا • وفكره قد طغى على ارادته فأصبح نسخة أخرى من هاملت لا يجد فى نفسه القوة التى تحركه الى الفعل ، وان وجدها فلن يقتنع بها :

دانتون : يستطيع الانسان أن يقرض الشرفاء ، ويشهد حفلات التعميد لديهم ، ويزوج بناته لهم ، ولكن هذا هو كل شىء !

كاميل : مادمت تعرف هذا ، فلماذا بدأت الكفاح ؟

دانتون : لأننى أحسست بالاشمئزاز من أولئك الناس • لم أستطع أبدا أن أنظر الى أمثال « كاتو » المزيفين بغير أن أفكر فى ركلهم • تلك هى طبيعتى • (ينهض واقفا) ...

جولى : أتذهب ؟

دانتون : (لجولى) لابد أن أنصرف • انهم يثيرون أعصابى بسياستهم •

هذه المستويات المختلفة فى الحوار والأسلوب ، والتداخل المستمر بين كلام الخطباء والمشرعين ، وحديث الذات الى نفسها أو الى انسان قريب منها ، وأدوار المغنين المتسكعين فى الشوارع ، وبذاءات الغوغاء فى الحارات ، هو الذى جعل بشنر يكتب ذلك الحوار الذى لم يسبقه اليه كاتب مسرحى فى المانيا من قبل ، ويخلق المسرح الذى نستطيع أن نسميه بالمسرح « الواقعى » هذا اذا فهمنا الواقعية من خلال الحقيقة الانسانية الحية ، لا من خلال المذاهب والعقائد والنظريات ويأتى بعد هذا المشهد فى حجرة اللعب مشهد آخر فى الشارع بين سكير بائس وزوجته القوادة وبعض المتسكعين المخربين بترديد الشعارات ٠

والمشهد يفيض بالسخرية والألم معا ، ويصور اصطدام البطولة المهذبة بالوضاعة والتعاسة التى تسير حافية على أرض الطريق ٠

وبعد أن نعرف حكاية الزوجين البائسين وندرك التناقض الواضح بينهما وبين عالم الخطب والوعود والآمال ٠ نرى روبسبيير النزيه ، رجل الثورة العنيد ومحاميها الجسور ، بين طائفة من النساء والصعاليك ليبرز لنا هذا التناقض العجيب ٠ لقد جعل من نفسه اللسان الناطق بأفكار الثورة ، المدافع عن قسوتها وصرامتها ، كما وضع نفسه بعيدا عن التضاد القائم بين المتشكك العارف والعاطفى المخلص فأصبح تمثالا جامدا للفضيلة ، لا يؤثر عليه الضحك ولا البكاء ٠ ولكن هل ينتصر هذا الثائر الممل حقا أم يتحول الى ترس فى عجلة الثورة ، وأداة من أدوات القتل والبؤس والتعذيب ؟ الجواب على هذا يقدمه تاريخ الثورة الفرنسية نفسها ، كما يعطيه المشهد السادس من الفصل الأول ، الذى يلتقى فيه البطلان المشهوران ، ويحاول كل منهما ــ على الرغم من القناع الذى يضعه على وجهه ــ أن ينظر فى فؤاد صاحبه ٠

يقول دانتون لروبســـبيير : « أليس فيك اذن شيء يهمس فى الخفاء قائلا : أنت تكذب ، تكذب ؟ « وعندما ينصرف دانتون نسمعه يقول لنفسه لست أدرى ما الذى يكذب فى صاحبه » انه يحاول أن يمزق القناع الذى فرضه على نفسه ، ويستمع الى قلبه الذى يهمس له بصوت خافت أنه بشر كغيره من البشر ، وأن وراء النظريات المجردة والقوانين القاسية « أنا » وحيدة لا يصـــح أن تذوب فى « النحن » المطلقة • ويمتد حديث روبسبيير مع نفســـه حتى يكاد يتشكك فى فضيلته ، ويرتاب فى الشعارات والعبارات المحفوظة ، ويدرك أن الثورة قد أصبحت آلة تتحرك من تلقاء نفسها ، كما أصبح هو نفسه قائدها وضحيتها فى آن واحد •

انه يقف الآن أمام النافذة ، ويرى الأطياف تتحرك فى الليل ، والهواجس الدفينة تتجسد أمامه وتطالب بحقها فى الوجود : « الليل يغط فى نومه فوق الأرض ويلتف فى حلم موحش • أفكار وأمانى لانكاد نحس بها ، مضطربة وغامضة ، تتوارى خائفة من ضـــوء النهار ، تكتسى الآن شكلا ورداء » •

ولكن زميله سان جوســـت لا يلبث أن يوقظه من هذا الحلم ويعيده الى صحراء الخطط والأهداف ، وينبهه الى ضرورة التخلص من دانتون وأصدقائه • ويتعجله روبسبيير كأنه يحاول أن يهرب من هواجسه بأسرع مايستطيع : « اذن فأســـرع ! غدا ! لا نريد صراعا طويلا مع الموت ! لقد اشتدت حساسيتى فى الأيام الأخيرة • المهم أن تسرع ! » وحين ينفرد بنفسه مرة أخرى لانسمعه يردد جملة محفوظة ، ولانراه يشير الى دور المخلص الذى أحب دائما أن يناديه الناس به ، بل نسمعه يقول لنفسه فى لهجة من أسى فهمه وانفض الأصحاب عنه : «ياحبيبى كاميل ! انهم جميعا يتركوننى • كل شىء حولى وحشة وخراب ـ اننى وحيد » ••

وفى الفصل الثانى نجد دانتون يتحرك الى الفعل ، على الرغم من كل مرارته وسأمه ونزعته الرواقية الزاهدة · ولكن هل سيتحرك حقا ، أم يكفى أن تشله عن الفعل عاطفة بسيطة تعبر عنها هذه الكلمات : « تعال ياولدى ! قلت لك انهم لن يجرؤوا » ؟ ان كاتبنا يعرف كيف يشكل الحدث ، أو بالأحرى مجموعة الأحداث والمواقف الخاطفة المنفصلة ليجعلها تصب جميعا فى حدث أكبر من الثورة الفرنسية نفسها ، سيظل قائما مابقى على الأرض انسان ان أصغر الأحداث وأبسط المواقف يصبح أهم من نظريات روبسبيير الثورية ، ومن خطبة دانتون التى يلقيها دفاعا عن نفسه · فمشهد لوسيل (حبيبة كاميل) فى النهاية وهى تهذى وحدها على درجات المقصلة أعمق تأثيرا من كل عبارات البطولة التى تفيض بها المسرحية · والحكايات الكثيرة المتداخلة ، والمشاهد القصيرة التى تضىء وتنطفىء كأنها أنوار أرجوحة تدور فى المهرجان ، وأغانى الشحاذين والمغنين المتسكعين ، كلها ترسم خلفية الحدث الأساسى ، وتحرك الحكاية الأصلية وتساعد على تشكيل الجو الضبابى العام للمسرحية ·· فلا نكاد نحس بان دانتون يريد أن يتحرك ويفعل شيئا حتى نسمع المغنى يقول :

خبرونى ·· خبرونى
مالذى يلقى الرجال
من نعيم أو هنـــــاء ؟
من صباح لمســاء
بين هم وعنـــاء
وعـــذاب وشـــقاء

وتدخل أغنية الشحاذ أو بكائيته فتساعد على خلق هذا الجو القدرى الذح يبدو أن الشخصيات جميعا لن تستطيع الافلات منه · (وقد تعلم الكاتبان فيديكند وبرتولت برشت كيف يستفيدان من هذه الأغانى فى داخل الحوار ، كما تبعهمـــا فى ذلك كثير من الكتاب المعاصرين) ··

فالشحاذ يشكو الزمان ويقول :

يا أهل المروءة ، يا أهل الثـواب

ما بقى من الدنيا غير التراب !

وتتبع نتف متفرقة فى الحوار ، يعود الشـــحاذ بعدها الى الغناء :

على الأرض بختى وآخر نصيبى
يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب !

وتتردد الأغنيات على هذا النحو فى بقية المشهد على لســان الشحاذين والمتسكعين والبغايا والجنود · وفى المشهد الثالث يتحدث دانتون مع كاميل ولوسيل عن الفن ، ويرثون لحال الشعراء والكتاب والرسامين الذين يخلقون شخصيات جامدة مصطنعة لا تتوهج فيها شرارة الحياة · وقبل أن يأتيهم خبر اعتزام لجنة الاصلاح القبض عليهم ، أى بين الحديث عن الفن ودوى الحدث التاريخى الهائل ، نسمع هذا الحوار البسيط يدور بين كاميل وحبيبته لوسيل بعد أن استدعى دانتون الى خارج الحجرة ·

كاميـل : ماذا تقولين يالوسيل ؟

لوسيل : لا شيء • اننى أحب أن أنظر اليك وأنت تتكلم •

كاميـل : هل تسمعيننى أيضا ؟

لوسيل : بالطبع !

كاميـل : هل أنا على حق ؟ أتعرفين ماذا قلت ؟

لوسيل : لا • فى الحقيقة لا أعرف • (يعود دانتون)

وتتداخل المسـتويات المختلفة فى الحوار من جديد ، ويعود التضاد الذى عرفناه بين الشكاك المتعب الذى يقول : « نحن لانعرف الا القليل عن بعضنا البعض » وبين النغمة الوفية الصادقة فى سؤال الحبيبة : « **هل تعرفنى ؟** » وتلهث الجمل وتتقطع ، وتدخل الأغانى والشتائم فى الحوار ، **وتقوم الاشارة والايماءة الصامتة مقام الجملة** الطويلة ، وتدوى الخطبة الفصيحة والشعارات المملة فى المحكمة ، وتنطلق الصيحات المجنونة من فم الزوجة والحبيبة ، وتتسـاقط الكلمات الشـاعرة كالأوراق الذابلة ، ويعمل هذا كله على ابراز الطابع الفريد لهذه المسرحية التى ظلمها النقاد المعاصرون لبشنر واتهموها بأنها مجرد اعداد مسرحى للمصادر التاريخية • (وخمس المسرحية منقول بالفعل نقلا حرفيا من وثائق الثورة الفرنسـية) حتى قدرها الباحثون المحدثون حق قدرها وعرفوا أن بشنر قد أعاد صياغة هذه المصادر التاريخية فى الشكل الفنى الذى يخدم غرضه وجعل منها رموزا معبرة عن وجدان الانسان أينما كان ، وتصوير ضحكه وحزنه وفرحه وموته •

ويأتى بعد ذلك مشهدان شهيران هما مشهد الخلاء والحجرة بالليل • ان دانتون يتعذب بذكرى حوادث القتل المشهورة فى شهر سبتمبر سنة ١٧٩٢ • ويزداد جو المسرحية اتساعا وقتامة ، وتتردد فيه أصداء الخواطر المرتعشة المفزوعة • وينتهى الفصل الثانى كله

باجتماع المجلس الوطنى بعد القبض على دانتون ، وبخطبة روبسبيير الرائعة المشهورة التى ستحدد مصير دانتون ·

وندخل مع بداية الفصل الثالث الى سجن اللوكسمبورج ، فى قاعة معتمة كالقبر مزدحمة بالمساجين · ولا نكاد نمضى قليلا مع أحاديثهم العدمية (التى تخطىء خطأ كبيرا لو تصورنا أنها تدعو الى الانكار أو التجديف لأنها فى حقيقتها تعبير عن يأس بشنر لا عن انكاره للذات الالهية ، واحتجاج ينبع من حساسيته المفرطة لعذاب المخلوقات وفنائها المحتوم) حتى يدخل الحراس دانتون ولاكروا وكاميل وفيليبو · ومن ناحية أخرى يعد زملاء روبسبيير لتنفيذ الحكم على دانتون · ولانلبث أن نسمع دانتون فى المشهد الرابع من هذا الفصل وقد استعاد صوته المجلجل فى قاعة المحكمة · غير أننا نعلم ســـلفا أن الأوان قد فات ، وأن المؤامرة قد أحكمت خيوطها حول رقبته · انه ينجح نجاحا مؤقتا (فى المشهد التاسع) فى كسب معظم الأصوات فى صفه · غير أن هتاف الجماهير التى تميل مع كل ريح يخيب ذلك الأمل · فهاهى ذى أصواتها تختتم الفصل الثالث وهى تدوى كالرعد : يحيا روبسبيير ! يسقط دانتون ! يسقط الخائن !

* * *

لماذا فشلت الثورة الفرنسية ؟

لابد أن بشنر سأل نفسه هذا السؤال وهو يكتب مسرحيته · ولابد أنه تأثر عند كتابتها بفشل الثورة التى شبت فى بلاده للقضاء على ظلم الارستقراطية والاقطاع ، وانعدام الوعى الثورى عند الألمان فى ذلك الحين ، سواء عند الفلاحين البائسين أو المثقفين المدعين

الذين كانوا لايملون من الكلام عن الحرية والحقوق الانسانية بينما ألوف الأطفال يموتون من الجوع · ولقد تصور بشنر ان الثورة الفرنسية تحطمت نتيجة الصدام بين رأيين يمثلهما روبسبيير ودانتون · فالأول يعتقد أن الثورة لن تنجح حتى تقضى على جميع أعدائها ، وتنشر حكم الرعب فى كل مكان · والثانى يرى أن الشعب لن يشبع من الدماء ، وأنه فى حاجة الى الطعام والملبس لا الى الرؤوس المتساقطة · ان الثورة يجب أن تكف عن افتراس أبنائها ليعيش كل فرد حياته ، ويستمتع بحاضره · احدهما يريد أن ينشر حكم الرعب والقانون والمقصلة ، والآخر يريد أن يوقف عربة الثورة أمام الماخور · وكان لابد للثورة أن تضيع بين هذين البطلين المتطرفين وتصبح لقمة سائغة فى فم طاغية أنانى مثل نابليون · وكان لابد لبشنر أيضا أن ييأس من الثورة ويفقد ايمانه بمعنى التاريخ ، فلم يكن هو ولا عصره قد أدركا مفهوم الثورة بمعناها العلمى ، ولم يكن فى استطاعتهما أن يعرفا أن الثورة لابد أن تغير من ظروف الانتاج وتعيد توزيع الثروات وتقضى على التناقض البشع بين الطبقات ، والا بقيت صرخة عالية ممزقة فى الهواء ·

* * *

ان بشنر ــ وهو فى هذا صادق مع نفسه الحساسة المتشائمة ــ لا يعتقد أن التاريخ يسير نحو هدف معلوم ، ولايرى ــ كما رأى الكلاسيكيون من قبله ــ أنه يتطور تطورا عضويا مستمرا نحو آفاق حضارية أرقى وأوسع · فهو يرى الوقائع وحدها ، ويجد أن هذه الوقائع تقول عكس ماتقول به نظريات الكلاسيكيين · ولذلك فان

مسرحيته لا تسير الى هدف أو خاتمة ، سواء أكانت هذه الخاتمة نهاية سعيدة متخيلة ، أو كارثة شاملة تحرر النفس وتطهرها ٠

ان الفصل الرابع والأخير لا يأتى معه بالنهاية المنتظرة ٠ فهو لا يزيد على أن يكون أحد المشاهد العديدة التى رأيناها تدور مع أرجوحة الأحداث ٠ فنحن نعرف أن موت دانتون لم يحسم شيئا ، ولم ينقذ الثورة و لاالفضيلة ، وان روبسبيير لن يلبث بدوره أن يلقى نفس المصير ، ليسقط رأســـه مع دورة هذه الأرجوحة الأبدية ٠ والمسرحية نفسها تقول هذا ، على لسان كولو (فى المشهد السادس من الفصل الثالث) حين يهتف بأن حدم الثورة تسيل ، وبانه اذا كان روبســـبيير يريد أن يجعل من الثورة كرسى أعتراف فعليه أن يرقد عليه لا أن يقف فوقه ٠

هو اذن حدث غير انسانى أو حدث يتخطى حدود الانسانية ، ويسير فى طريقه دون أن يعبأ بعذاب الانسان ودمه ولحمه ونبضات قلبه ٠ انه يجرى الآن وسوف يتكرر على الدوام ويمتزج فيه اليأس بالعجز بالطموح بالارادة الطيبة ، ويجتمع فيه الشك والمرارة التى عبر عنها دانتون حين قال : « نحن لانعرف الا القليل عن بعضنا البعض » مع الصدق والبراءة التى أجابته بها جولى المحبة الوفية « أنت تعرفنى » مثل هذه الخلجات تومض كالشرر تحت الخرائب أو كأنوار الفنارة فوق بحر مظلم ٠ انها تثبت وجودها على الرغم من كل شىء ، على الرغم من عجزها وضعفها بين الصيحات المدعية الغاضبة ، والنظريات المجردة والشعارات المكررة التى تلبس مسوح القداسة ، وأصوات الجماهير التى تندفع مع كل ريح وتميل بسذاجتها وضعف بصيرتها وغلبة الشـــهوات عليها مع كل مجداف ٠ هذه الخلجات البسيطة شىء لاينبغى أن نطمسه أو نخرسه ٠ انه أعظم مافى الانسان وأصدق ما يدل على وجوده ٠ ولو أخرسناه وطمسناه فى سبيل النظريات والشعارات فماذا يبقى من الانسان ؟! وليس من

قبيل الصدفة أن لا يبدأ هذا الفصل الرابع بحدث سياسى بل بمشهد بسيط ترسل فيه جولى ولدها الى دانتون ومعه خصلة شعر ، علامة على أنها ستموت معه : « اذهب ! أعرف اننى رأيته لآخر مرة · قل له اننى لا أستطيع أن أراه وهو فى هذه الحال · (تعطيه خصلة من الشعر) خذ · أعطه هذه الخصلة وقل له انه لن يذهب وحده الى هناك · انه يفهم ما أريد · »

وبداية هذا الفصل ونهايته لا تربطهما صلة مباشرة بالأحداث السياسية الجارية بل يصوران « الحدث الأكبر » الذى أشرت اليه فى بداية هذا الكلام ، وقلت انه سيظل يجرى ويتكرر ما بقى على الأرض انسان · وتصل المسرحية الى ذروتها فى مشهد «الكونسييرجرى » الذى يصور ذلك الحدث الأكبر كما يعبر عن وحدة الفرد وعن نجاحه فى بعض اللحظات فى أن يخرج من هذه الوحدة ويتحسس فى الظلام طريقه الى قلب جاره · وقبل أن نصل الى الذروة التى تحدثنا عنها ، يقابلنا مشهد بين كاميل ولوسيل ، يكاد أن يكون مشهدا سيرياليا (المشهد الرابع ـ الفصل الثالث) « لوسيل (تظهر على المسرح وتجلس على حجر تحت نافذة المساجين) كاميل ! كاميل ! (كاميل يظهر فى النافذة) اسمع ياكاميل · أنت تضحكنى بهذا الرداء الطويل الضخم والقناع الحديدى على وجهك · ألا تستطيع أن تنحنى ؟ أين ذراعاك ؟ ـ أريد أن أصيدك ، ياعصفورى العزيز » ·

وتنبض هذه الخلجات المؤثرة قبل أن نصل الى الذروة التى أشرنا اليها قبل نهاية المشهد الخامس من الفصل الرابع · فهاهم المساجين يشتركون فى حديث واحد هو فى حقيقته مونولوج طويل موزع على فيليبو ودانتون وهيرو وكاميل ، يجأرن فيه بالشكوى من قوة غيبية مسيطرة · انهم فى الحقيقة لا يجدفون ، ولكنهم فى يأسهم يصرخون · ويدخل السجان ليقتادهم الى العربة التى ستنقلهم الى

ساحة الاعدام ، فيشعرون بأنهم قد اقتربوا من بعضهم البعض أكثر من أى وقت مضى • ان فيليبو يقول لأصحابه : « تصبحون على خير يا أصدقاء ! فلنسحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون ، اللحاف الذى تتوقف تحته كل القلوب وتغمض كل العيون » •

ويعانق المساجين بعضهم البعض ، ويتأبط هيرو ذراع زميله كاميل وهو يقول له : « افرح ياكاميل ، فسوف تكون ليلتنا جميلة »• ثم ينتهى مشهد الاعدام بموت جولى الذى تؤكد به قربها من دانتون وبموت لوسيل الذى تثبت به وفاءها لكاميل •

ولكن لنتأمل معا هذا المشهد الخامس عن قرب •• فهاهم أولاء أصدقاء دانتون قد شلت ارادتهم عن الفعل ودخلوا معه بين فكى الثورة التى ســـتفترسهم بعد لحظات ، وغابوا فى تلك الطاحونة الكبرى التى ستطحنهم كما طحنت سواهم • انهم يسألون الآن عن معنى الوجود أو عبثه ، عن حقيقته أو باطله ، كما يبحثون عن شىء لعلهم يصلون اليه فى الظلام • ويمضون فى حديثهم فيمزقون كل قناع ، ويتحررون من كل الأوهام • ونسمع كلماتهم الجادة المخيفة التى لاتحاول أن تحل تناقض الوجود بالابتسامة الساخرة المريرة ، ولا تستعير من التراجيديا القديمة ذلك الانفعال البطولى والهائل ، بل تخلق لنفسها نوعا جديدا من الانفعال الأليم •

ان هيرو يكشف القناع عن اللعبة الخالدة ، لا بالســـخرية الحادة أو العبارات الطنانة ، بل فى نغمة تفيض بالجد والتعاسة • وكاميل هذا الشاب الجميل الذى يحب الجمال فى كل شىء ـ يلجأ الى الاستعارة والتشبيه الجديرين بفنان مثله • ودانتون ينزع عنه دور بطل الثورة الذى تعب من تمثيله ويتحدث بغير صيغ محفوظة أو أشكال جاهزة فتكاد عباراته أن تتحول الى دقات مطرقة : عندما

يأتى اليوم الذى يفتح فيه التاريخ قبوره ، فسوف يختنق الاستبداد من رائحة جثثنا « أو حين يقول : «العالم هو الفوضى والعماء» ولكن فيليبو هو الوحيد الذى يصر على تعزيه نفسه وأصحابه بهذا التجانس والانسجام الأبدى الذى يؤمن بوجوده : « افرح ياكاميل فسوف تكون ليلتنا جميلة » ، « فلنسحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون » انه وهو على حافة الموت لايزال يملأ عينيه من الخطوط الالهية الرائعة ولايزال يعتقد أن هناك آذانا ينسكب فيها الصراخ والعويل كأنه لحن منسجم · أما هيرو فيفضح ذلك الوهم القديم الذى يجعل البطل يتعزى بالتاريخ ، ظنا منه أن الأجيال المقبلة هى التى ستنصفه : « انها عبارات محفوظة للأجيال المقبلة · أليس كذلك يا دانتون ؟ انها لا تعنينا فى شىء » ماذا بقى اذن للمعزين ؟ لم يبق أمامهم الا أن يلتصقوا ببعضهم البعض ويصرخوا · فليس هناك أغبى من أن يطبق الانسان فمه بينما يضنيه الألم ·

وأما كاميل فهو يخلق صورة بعد صورة ، يفضح بها الأقنعة التى يرتديها الانسان فى أعماله وأتعابه وهو فى الحقيقة يفتح فمه متصنعا الفرح ، ويصبغ وجهه باللون الأحمر · ان علينا أن ننزع الأقنعة ، كل الأقنعة · ان الفروق بيننا ليست بالقدر الذى نتصوره · ونحن جميعا أوغاد وملائكة ، أغبياء وعباقرة ، وكل هذا فى وقت واحد · العناصر الأساسية فى وجودنا تختفى وراء الأصباغ المعقدة ولكنها فى صميمها واحدة · فالأرجوحة الأبدية تدور ولا تكف عن الدوران ، والحياة تنقضى بين نوم وهضم وانجاب أطفال ، وما الخلافات التى نتوهمها الا متنوعات على لحن واحد · والطموح ، والبطولة ، والعبقرية ، وتكلف الظرف كلها أقنعة فارغة · فنحن فى الحقيقة موسيقيون مساكين ، وأجسامنا كما يقول دانتون هى الآلات التى نعزف عليها أنغامنا المملة المتشابهة · ولا حقيقة لشىء خلف هذا كله الا للألم والعذاب · فلنصرخ اذن ولنبك كما ينبغى لنا !

لا بل ان هذا الصراخ نفسه لا يعدم من يعريه ويكشف عنه القناع · فهيرو يقول ان الاغريق والآلهة قد صرخت ، بينما ادعى الرومان والرواقيون البطولة والصبر · ومع ذلك فليس هذا الصراخ نفسه الا نوعا من التلذذ الأبيقورى الذى يحاول الانسان ان يريح به ذاته علينا اذن أن نمضى فى كشف كل الأقنعة ، وأن نعرى الانسان من أوراق الغار وأكاليل الورد وأوراق العنب !

وهذا الألم الذى نريد أن نصرخ به يصبح ضحكات تتردد أصداؤها فى فراغ العدم · ويضحك الآلهة على هذا « اللعب الملون لصراع الموت » ، وكأننا ، كما يقول كاميل ، أسماك ذهبية على موائد الآلهة · وتموت الأسماك الى الأبد ، وتضحك الآلهة الى الأبد · لم تفلح البطولة اذن بقناعها الحجرى المتكلف ، ولم تنجح صور الانسجام ولا « الخطوط الالهية العظيمة » التى جاء بها فيليبو أن تجلب العزاء فى موقف يصعب فيه كل عزاء · وهاهوذا دانتون يتدخل فى هذا المونولوج الطويل بهذه الصورة الكونية البشعة عن الضحك الأبدى من عذاب البشر · انهم خنازير تجلد حتى الموت لكى يلذ طعمها فى أفواه الملوك والأمراء ، وأطفال يشويهم الاله السامى الرهيب « مولوخ ويدغدغهم بأشعة الضوء لكى يسعد الآلهة بضحكاتهم الأليمة ، وأسماك ذهبية تموت أبدا على موائد الالهة المباركين ، فيضحك الآلهة أبدا على صراعهم المميت · ويلخص دانتون هذه الصور المخيفة فى عبارة واحدة تقول ان العالم هو الصماء · والعدم هو اله الكون · ويأتى السجان فيعلن أن العربات تنتظرهم أمام الباب ، وتهبط هذه الصور الكونية فجأة الى مجال الانسان وعلاقته الحميمة بالانسان · ويعانق الأصدقاء بعضهم · ويمسك هيرو بذراع كاميل ويقول له : افرح ياكاميل · ستكون ليلتنا جميلة ويحاول المساجين أن يواجهوا قدرهم وقد رفعوا الأقنعة عن وجوههم · يكتسب كل شىء وجهه البشرى · حتى صفحة السماء

وعليها خيالات الالهة الشاحبة تبدو الآن فى صورة بشرية · وتختلج القلوب بالنبض الانسانى فتحجب صورة « البشـــر الذين يموتون كالأسماك الملونة فى أطباق الالهة الضاحكين ، كما تخفف من بشاعة هذه الضحكات التى كادت تخنق صرخات الألم · وحين يقبل السجان ويعلن فى كلمة موجزة : « أيها السادة · تستطيعون الآن أن ترحلوا » بعمق احساسنا بألم الانسان ، فنزداد منه قربا وبه انفعالا · ويبقى الفرد ، على الرغم من كل عزاء ، وحيدا مع عذابه · مامن شىء يخفف عنه هذا العذاب لا العبارات المحفوظة التى قصدت بها الأجيال القادمة ، ولا الوجوه المتحجرة التى تتصـــنع البطولة أو تتكلف الابتسام أو تصرخ للتلذذ بصـــوتها ، ولا الخطوط الالهية العظيمة وآيات التجانس والانســـجام فى الكون ، ولا حتى القاء النفس بين أحضان العدم ان الانسان يظل وحيدا مع ألمه · ولكن هناك نغمة طيبة تتسلل الى هذه الوحدة الشقية المعتمة وتتجاوز ضحكات البشـــر والآلهة لتشد « الأنا » الى « الأنت » وتجمع بين الانسان وأخيه فى العذاب بصوت هادىء هامس : « تصبحون على خير يا أصدقاء » أو فى صوت يحاول أن يكون مرحا : « افرح يا كاميل ، فستكون ليلتنا جميلة ! » وليس هذا هو الموضـــع الوحيد الذى تصلنا فيه هذه النبضات البسيطة · فنحن نسمعها قبل هذا المشهد بقليل على لسان لوسيل المجنونة وهى تغنى أمام نافذة حبيبها : تعال ! ·· تعال ياصديقى ! اطلع على السلالم بهدوء ، فهم جميعا نائمون ·· » وفى كلمات كاميل المشغول بمصير لوسيل بعده :

« كان الجنون يطل من عينيها ·· » ، « لتساعدها السماء على العثور على فكرة ثابتة مريحة » ·

ونظل نستمع الى هذا الصوت الحميم العارى من كل قناع ، الذى لا تحجبه عنا الضحكات المجنونة ، ولا الصرخات المتألمة ،

ولا الضجيج المنبعث من دوران الأرجوحة الأبدية ٠٠ ان جولى تموت وهى تفكر فى دانتون : « لا أريد أن أتركه ينتظرنى لحظة واحدة » ٠ ولوسيل تهتف أمام نافذة السجن : « تعال ! تعال ياعصـــفورى العزيز » ٠ وعلى المقصلة يتكرر الصوت النقى الذى استطاع أن يتخلص من كل قناع ٠ فكاميل يختم دعاباته مع سائق العربة التى تقودهم الى ساحة الاعدام بقوله لدانتون : « الوداع يادانتون ! » وحين يقول لاكروا فى صوت لازال يحتفظ بأثر من آثار البطولة : « ستكسر رقاب الطغاة فوق قبورنا » ، يداعبه هيرو وينزع عنه هذا القناع الأخير بقوله : « انه يحسب جثته مزبلة الثورة ! » ولا تفلح كلمة فيليبو : « اننى أسامحكم وأرجو الا تكون ساعتكم أمر من ساعتى » فى احداث الأثر الانسانى الذى كانت ترجوه ٠ ولا يجد فابر ما يقوله خيرا من هذه الكلمة : « وداعا يادانتون ! اننى أموت مرتين » ٠

ويقول هيرو : « آه يادانتون ! لقد أصبحت عاجزا عن اخراج نكتة واحدة » ٠ ويحاول أن يعانق دانتون فيدفعه الجلاد بعنف فيقول له دانتون آخر كلمة نسمعها على المقصلة : « أتريد أن تكون أقسى من الموت ؟ أيمكنك أن تمنع رؤوسـنا من تقبيل بعضـــها فى قاع السلة ؟! »

كلمات لا تذكر شيئا عن التاريخ ، ولا البطولة ، ولا الطغاة ، ولا الفضيلة ، ولا العدم ٠ انها لا تحاول أن تسخر أو تتألم أو تضحك أو تبكى ، بل تعبر للمرة الأخيرة عن هذه النغمة الهادئة التى تتسلل الى القلب ، وتربط بين الانسان وأخيه الانسان برباط العذاب ، وهو أول وآخر ما يتعلمه الانسان من مواجهة الحقيقة والمصير ٠ انها النغمة التى تأتى على لســـــان هيرو وهو يمد يده ليلمس ذراع صاحبه : افرح ياكاميل ٠ ستكون ليلتنا جميلة ٠٠٠

هذه المشاهد الأخيرة من مسرحية « موت دانتون » ليست فى صميمها اذن سوى حوار ذاتى أو مناجاة (مونولوج) متصل يتحدث به بشنر الى نفسه ، وان كان يوزع عباراته على الشخصيات المختلفة صحيح أننا نجد خطبا عديدة ألقيت بنصها فى زمن الثورة الفرنسية، كما نجد مستويات مختلفة من الكلام على ألسنة الشحاذين والمغنين والبغايا والجنود والزوجات والمتسكعين فى الشـــوارع والحارات « وأبطال » الثورة أنفسهم ، تمر الى جانب بعضها البعض فلاتكاد تتلاقى أو تلتحم الا فى لحظات قليلة يبلغ الحدث الانسانى فيها ذروته ٠٠ ولكن المهم أن القاعدة الأســـاسية والخلفية الدائمة لكل هذه المستويات التعبيرية المختلفة هى احساس بشنر بشقاء الانســـان وعذاب الخليقة ٠

انه فى نظره كالدمية المسكينة التى تحرك خيوطها يد مجهولة، ويتحكم فى مصيرها قدر مجهول ، يجبرها على أن تظهر فترة على المسرح فتضحك أو تبكى أو تدعى البطولة أو تبحث عن دور تقوم بتمثيله ٠ ولكن مهمته أن يعريها من ثيابها المزركشة ، وينزع عنها جميع الأقنعة ٠ ويبرزها فى وحدتها وعريها وصفائها ٠

ان دانتون يعبر عن ذلك حين يقول « ما نحن الا دمى » تشد خيوطها قوى مجهولة ٠ عدم نحن ٠ ما نحن الا عدم ٠ ســـيوف تتصارع بها الأشباح ــ غير أن الانسان لايرى الأيدى التى تحركها ، كما يحدث فى الخرافات تماما » ٠

والسطور التى يقولها بشنر على لســـان دانتون أيضا عن الموسيقيين المساكين وعن صـــرخة الموت الالهية التى تعزف على أجسامهم لكى تصعد الى آذان السماء وتخمد شيئا فشيئا لتموت هناك ، ليست كذلك الا تعبيرا عن هذا الاحساس بالعذاب المقدور ٠ وبشنر يردد هذه الفكرة نفسها فى احدى رسائله الى خطيبته (وقد

كتبها من مدينة جيسن في شهر مارس سنة ١٨٣٤) آه ، نحن الموسيقيون المساكين الذين نرفع أصواتنا بالصراخ ! ألا نئن ونئشج على آلات تعذيبنا الا لكى ينفذ النشيج من شقوق السحب ويظل يتردد كالنغمة الهامسة حتى يموت في آذان السماء ؟ ٠٠ اننى لا أجدف ٠ ولكن الناس هم الذين يجدفون ٠ ومع ذلك أرانى وقد لقيت جزائى ٠ فأنا أخاف من صوتى ،وأخاف من مرآتى » انه يريد أن يكشف عن جوهر هذا الانسان ، ويصل الى حقيقته الملموسة وراء الأقنعة والأشكال والتقاليد ٠

وكما حطم الشكل المسرحى التقليدى فى كتاباته ، ولجأ الى ما يسمى الآن بالشكل الدرامى المفتوح والمشاهد الملحمية المستقلة كأنها الوحدات الفردة (المونادات) التى تحدث عنها ليبنتز ، وملأ لغته بالنغم والايقاع والصور الشعرية الحية والجمل المتقطعة اللاهثة والايماءات الصامتة والحركات والاشارات والأغانى الشعبية متأثرا فى ذلك بعض التأثر بشكسبير وجوته ولنس وشيلر ، فقد أراد كذلك أن يحرر الانسان بقسوة من كل القوالب والأشكال المفروضة عليه ، ليصل الى الانسان الخالص فى عريه وبؤسه وبراءته ٠ هناك يستطيع أن يحب ذلك الانسان لأنه يتعذب ، ويقترب منه لأنه أخوه وشريكه فى المصير المحتوم ، ويلعن معه كل النظريات المجردة والقوالب الجامدة والتقاليد البالية التى وضعوه فيها كما وضع أوزيريس فى التابوت ، فحرموه من السعادة باللحظة الحاضرة ، وأطفأوا الشرارة المضيئة التى أودعها الخالق فيه ٠ وهناك أيضا سيلعن الارستقراطية التى هى « أبشع احتقار مخز للروح المقدس فى الانسان » ويسخر من ذلك الركام الميت الذى يسمى بالعلم ، والغرور الكاذب الذى يدعى بالبطولة والغنى الفاحش الذى يذل الناس ويجيع الأطفال ٠ ان ما يحزنه أو يضحكه فى آن واحد كما يقول فى احدى رسائله الى

أسرته (بتاريخ فبراير ١٨٣٤) ، ليس هو حالة الانسان بل مجرد أنه انسان ، وهو أمر لا حيلة له فيه ،وهذا هو الذى يجعله يضحك أو يبكى لأنه انسان مثله يشاركه نفس المصير · فهو يشعر أنه ينسحق تحت أقدام القدرية التاريخية المقيتة ، كما يقول فى خطاب آخر الى خطيبته · ليس الفرد عنده الا زبدا يطفو على الموج ، وليست العظمة غير عرض زائل ، ولا العبقرية سوى لعب بالدمى ، وصراع مضحك مع قانون حديدى أقصى ما يطمح اليه الانسان أن يعرفه وان كان من المستحيل عليه أن يتحكم فيه ·

* * *

أهى العدمية اذن ؟

ان الكلمة تتردد كثيرا فى كتابات بشنر ، ولكن من الخطأ أن نصفه بها أو نجعلها عنوانا على اتجاهه فى الفن والحياة ، بل أن من الخطأ والظلم أيضا أن نقيده باحدى هذه المدارس الكثيرة التى نلغو بذكرها ليل نهار · ذلك أن بشنر ، كما أشرت من قبل ، هو الأب الحقيقى للمسرح الحديث بتياراته وأساليبه المختلفة · وهو كذلك بكفاحه الثورى فى سبيل المظلومين والجائعين والمقهورين والمستغلين ، أحد رواد الاشتراكية فى بلاده ·· ولكننا لن نستطيع الاقتراب من قلبه حتى نتخلص من كل النعوت والأسماء التى تصف مسرحه بأنه واقعى أو طبيعى أو اشتراكى أو عدمى أو ملحمى أو غنائى أو شاعرى ·· الخ ·· حقا ان مسرحه يجمع بين هذه الاتجاهات ، ولكنه أكبر وأعمق وأشد تعقيدا من هذا كله · واذا أردنا أن نعرف حقيقته فلابد من السير على طريق المفارقة والتضاد

ولابد من البحث عنها فى عذاب الخليقة الغانية وومضة الحياة فى كل كائن حى مهما صغر شأنه ..

* * *

لا أحب أن أختم هذه المقدمة قبل أن أشير ببضع كلمات الى ماسوف يلاحظه القارىء فى لغة هذه المسرحية وشخصياتها . فهناك تعبيرات وتشبيهات لابد أنها ستصدمه أو تفزعه . وفى بعض ألفاظها غلظة وقسوة وتلميح أو تصريح قد يستهجنه ويرفضه . وأنا لا أحاول تبريرها أو الاعتذار عنها ، فالفن كما يعلم القارىء لاشأن له بالأخلاق ـ اللهم الا فى غايته الأخيرة وتأثيره النهائى غير المباشر . والفنان لا يكتب ليؤيد الفضيلة أو يحارب الرذيلة . ولكننى سأكتفى هنا بتكرار ما أشرت اليه مرارا فى الهوامش والتعليقات على النص ، من أن بشنر لا يقصد الألفاظ النابية أو التعبيرات الغليظة لذاتها ، بل بقدر ما تصور الشخصيات وتعيد خلق العصر ، وترسم لوحة تعبر فى صدق عن تلك السنين المضطربة التى عاشتها فرنسا فى ثورتها الانسانية الكبرى . وقد لقيت المسرحية عند ظهورها فى سنة ١٨٣٥ فى مدينة فرانكفورت (لدى الناشر زوارلندر) معارضة شديدة ، وارتفعت أصوات تستنكر ماتصورته فيها من خروج أو الحاد . أجاب بشنر على هذه الاحتجاجات فى خطاب أرسله الى أبويه فى شهر يولية من تلك السنة وقال فيه أن الكاتب المسرحى فى نظره ليس الا مؤرخا وان كان يتفوق على هذا فى أنه يعيد خلق التاريخ ، ويضعنا مباشرة فى حياة العصر ، ويقدم لنا بدل الأوصاف شخصيات حية .. ان من أهم واجبات الكاتب المسرحى أن يقترب من واقع التاريخ ما أمكنه ذلك ، بحث لاتكون كتابته عنه أقل أو أكثر

أخلاقية مما هو عليه فى الحقيقة · ولم يخلق الله التاريخ لكى تتسلى الفتيات بقراءته · فاذا لام أحد الكاتب لاختياره هذه المادة أو تلك فلابد عندئذ أن نلقى بأعظم نفائس الأدب فى البحر ·

ويواصل بشنر دفاعه عن مسرحيته ونظريته فى الفن والكتابة فى خطاب متأخر فيقول انه يرسم شخصياته بالطريقة التى يعتقد أنها تناسب الطبيعة والتاريخ ويسخر بمن يحاولون أن يحملوه مسئولية اتفاقها مع قواعد الأخلاق أو خروجها عليها · وربما سارع القارىء باتهام المؤلف بالانكار ، وربما سخط على المشهد الأول من الفصل الثالث بوجه خاص · غير أنه يعلم بغير شك أن الآراء التى ترد على ألسنة الشخصيات المسرحية لا يتحتم أن تكون هى آراء المؤلف – ولا المترجم بالطبع ! – كما أن اغفال هذا المشهد أو اســـــقاط بعض العبارات من نص عالمى معترف به فى كل اللغات والآداب شىء لا يصح أن نقدم عليه · فاذا وجدنا أنه يخالف تقاليدنا أو عقيدتنا ، أمكننا دائما أن نعلق عليه أو نبحث عن مبرراته ، دون مساس بالنص الأصلى الذى ينبغى أن تكون له حرمته · ولست أدافع عن المؤلف اذا قلت اننى لم أجد فى كل ما قرأت له أو عنه مايشكك فى عقيدته · بل لقد وجدت على العكس من ذلك أنه مؤمن صادق الايمان وانه اذا كان يثور على الألم ويكفر بالعذاب الذى يقاسيه الانسان فى هذه الحياة وتقاسيه الخليقة معه ، فلأنه يجد أن هذا الألم والعذاب هو الطريق الوحيد للوصول الى الله · ولقد عبر كثيرا عن هذا المعنى فى خطاباته الى أبويه ، كما قال قبل موته المفاجىء بيومين : « ليس لدينا الكثير من الآلام ، بل أن ما لدينا منها جد قليل ، لأننا لا نتصل بالله الا عن طريق الألم » · كما قال أيضا فيما تشـــهد به كارولينه شولس وهى السيدة الطيبة التى سجلت أخبار مرضه الأخير يوما بيوم : « نحن نموت ، وتراب ، ورماد فكيف يجوز لنا أن نشكو ؟ » وليست القضية فى نهاية الأمر قضية مؤلف أو مسرحية – مضى

على صدورها أكثر من مائة وثلاثين عاما ! ـ بل هى قضية تتصل بنظرتنا للفن ، ووزنه بميزان الصدق والعمق ، لا بميزان اللوائح والقوانين ٠

* * *

ملحوظة :

رجعت فى هذه الترجمة الى النص الذى حققه ونشره فرتز برجمان فى دار « انزل » سنة ١٩٥٨ كما استفدت فى كتابة المقدمة بالبحث الذى نشره الشاعرالعالمفالترهولرر (Walter Höllerer) عن موت دانتون فى المجلد الثانى من كتاب « الدراما الألمانية » الذى أشرف عليه ونشره العلامة بنوفون فيزه ٠٠ (Benns Von Wiese) وبكتاب الأخير عن التراجيديا الألمانية من ليسنج الى هيبل) ٠

أما عن الترجمة فلابد من الاعـــتراف بأن بعض المقطوعات الشعرية فرضت نفسها على فوجدتنى أترجمها بالعامية ، تجاوبا مع الروح الشعبية التى تسرى فى كل أعمال بشنر ، وبخاصـــة فى مسرحية « فويسك » ٠ وقد أوردت النص الحرفى لهذه المقطوعات فى الهامش باللغة الفصحى ، مراعاة لحق اخوتنا من القراء فى البلاد العربية الشـــقيقة ، الذين قد يتعذر عليهم فهم بعض كلمات اللهجة المصرية ٠

هذا ويجب الا ننسى أن بشنر قد ترك مسرحيته فويسك بغير أن يتمها ٠ والنقاد والدارسون يختلفون حتى اليوم فى المشهد الذى

يناسب الخاتمة ، كما يختلفون حول ترتيب المشاهد نفسها سواء في هذه المسرحية أو غيرها وقد اعتمدت في هذه الترجمة على طبعة برجمان السابقة الذكر ولم اجد حاجة لمراجعة الطبعة الجديدة التى قام بها الأستاذ « ليمان » ونشرتها جمعية الكتاب العلمية ، وهى الطبعة التى صدرت بُعد فراغى من الترجمة بسنوات ، وتضمنت من النصوص والشذرات ما يهم الدارس المتخصص للأدب الألمانى – واخيراً اود أن أنوه بفضل أحد كبار الدارسين لفن بشنر ، وهو استاذى الدكتور جرهارت باومان الذى إصـــدر كتابا هاما عن مســــرحه ·

عبد الغفار مكاوى

مــوت دانتــون

الأشـــخاص

نواب الجمعية الوطنية :	جورج دانتون ليجيندرر كاميل دى مولان هيرو ـ سيشيل لاكروا فيليبو فابر دجلانتين مرسيير توماس بين
اعضاء لجنة الاصلاح :	روبسبيير سان جوست بارير كوللو ديربوا بللو فارن
مفوض المجلس البلدى	شوميت
جنرال	ديللون

مدع عام	فوكييه ـ تينفيل
عضوا لجنة الأمن	أمار فولان
رئيسا محكمة الثورة	هيرمان دومـــــا
صديق دانتون	بارى
ملقن	سيمون
	زوجة سيمون
	لافلوت
زوجة دانتون	جولى
زوجة كاميل دى مولان	لوســـــيل
غانيـــــــــــات .	روزالى أديلاد ماريون

سيدات على مائدة اللعب ـ رجال وسيدات وشاب مع أوجينيا يسيرون فى نزهة ـ مواطنون ـ جنود وطنيون ـ وفد من مدينة ليون ونواب آخرون ـ يعقوبيون ـ رؤساء نادى اليعاقبة والمجلس الوطنى ـ سجانون ـ جلادون ـ سائقون ـ رجال ونساء من الشـــعب ـ غانيات ـ مغنون متجولون ـ شحاذون .... الخ . .

الفصــل الأول

(هيرو ـ سيشيل وبعض السـيدات على مائدة اللعب ـ)

(دانتون وجولى على مسافة قليلة منهم • دانتون جالس عند قدمى جولى على كرسى منخفض بغير مسند) •

دانتـــــــــون : انظرى السـيدة الجميلة وكيف تدير الأوراق بمهارة ! حقا ، انها تفهم أصول اللعب • يقال انها تبرز « القلب » دائما لزوجها و « الكارو » لغيره من الرجال(١) ان فى اسـتطاعتكن أن تحببن الانسان حتى فى الكذب •

---

(١) اشارة الى انها تخدع زوجها بالحب فى حين تخونه مع غيره من الرجال •

جـــــــولى : هل تؤمن بى ؟

دانتـــــــون : وما يدرينى ؟ اننا نعرف القليل عن بعضـــنا البعض · نحن أصحاب جلود سميكة ، نمد أيدينا الى بعضنا ، ولكن بغير طائل ، فنكتفى بحك جلودنا الغليظة ببعضـــها البعض نحن وحيدون جدا ·

جـــــــولى : أنت تعرفنى يا دانتون ·

دانتـــــــون : نعم ! مايســـميه الناس معــرفة · عينـــاك سوداوان ، وشعرك متموج الخصلات ، ووجهك نضير ، وتقولين لى دائما : حبيبى جورج ! ولكن (يشير الى الجبهة والعينين) هنا ، هنا، ماذا يخفى وراءهما ! اذهبى ! ان حواسنا غليظة · نعرف بعضنا ؟ لابد لذلك من أن نفتح جماجمنا وننشد أفكارنا من تلافيف المخ ·

الســـيدة الأولى : (لهيرو) ماذا تريد بأصبعك ؟

هـــــــيرو : لا شىء !

الســـــــيدة : لا تعلق ابهامك بهذه الطريقة ، فلست أطيق أن أراه(٢) ·

هـــــــيرو : ألقى عليه نظرة ، ان تعبيرات وجهه عجيبة ·

دانتـــــــون : لا ياجولى ، اننى أحبك كالقبر ·

جـــــــولى : (تشير بوجهها بعيدا) آه !

---

(٢) لعلها اشارة جنسية مستترة ·

دانتـــــون : لا ! اسمعيني ! يقول الناس ان القبر راحة ، والقبر والراحة شيء واحد · لو صح هذا فأنا أرقد في حجرك كما أرقد تحت التراب ·· أنت أيها القبر الحلو ·· شفتاك ناقوس الموتى، صدرك رمسي ، وقلبك تابوتي ··

الســـــيدة : ضـــاع !

هـــــيرو : كانت مغامرة غرام ، تكلف مالا كغيرها ·

الســـــيدة : اذن فقد عبرت عن حبك بالأصابع ، كالصم البكم ·

هـــــيرو : ولم لا ؟ ان الناس تؤكد أن هذه هي أسهل أساليب الحب على الفهم ·· لقد حاولت أن أغازل ملكة «كوتشينة»، أصابعي كانت كالأمراء الذين تحولوا الى عناكب ، وأنت ياسيدتي كنت الجنية ، ولكن الأمور لم تسر على مايرام ، فالسيدة كانت ترقد دائما على فراش الوضع ، وفي كل لحظة تضع ولدا · لن أترك بناتي يلعبن مثل هذه اللعبة ، فالسادة والسيدات يهوون بعضهم بغير احتشام ، والأولاد يتبعون على الفور ·

(كاميل دي مولان وفيليبو يدخلان)

هـــــيرو : فيليبو ، ماهذه النظرات الكئيبة ! هل خرمت قبعتك الحمراء ؟ هل كشر يعقوب المقدس(٣)

---

(٣) نادى اليعقوبيين أو اليعاقبة ·

عن وجهه ؟ هل أمطرت السماء فى ساحة المقصلة ؟ أم لم تجد مكانا مناسبا ولم تستطع أن أن ترى شيئا ؟

كاميـــل : أنت تتهكم على طريقة سقراط · هل تعرف أيضا ماذا قال الفيلسوف الالهى لألكيبياديس(٤) عندما رآه ذات يوم حزينا مقهورا ؟ لقد سأله : « هل فقدت درعك فى ميدان الحرب ؟ هل هزمت فى السباق أو المبارزة ؟ هل غنى أحد أو عزف على القيثار خيرا منك ؟ » يالهؤلاء الجمهوريين الكلاسيكيين ! قارن بينهم وبين رومانتيكية المقصلة عندنا !

فيليبـــو : سقط اليوم أيضا عشرون ضحية · كنا على خطأ · لقد أرسلوا « الهيبرتيين » الى المقصلة لأنهم لم يكونوا منظمين بما فيه الكفاية ، أو ربما لأن « الديسمفيرى »(٥) اعتقدوا أنهم سيضيعون حتما اذا بقى هناك رجال غيرهم لمدة أسبوع واحد يخافهم الناس أكثر مما يخافونهم ·

---

(٤) ألكيبياديس (حوالى ٤٦٠ ـ ٤٠٣ ق·م) سياسى وقائد اثينى ومغامر سياسى ، وكان من أحب تلاميذ سقراط الى نفسه ·

(٥) الديسمفيرى : أى الرجال العشرة ، وكانوا فى نظام الدولة الرومانية هيئة من الموظفين تتألف من عشرة رجال · والمقصود هنا هم أعضاء اللجنة الخيرية أو لجنة الاصلاح التى كان أعضاؤها يتراوحون بين تسعة واثنى عشر رجلا ·

هـــــــــــيرو : انهم يريدون أن يعودوا بنا الى عصر الجليد !
ســـيعجب سان جوست أن يرانا نزحف على أربع لكى يستطيع محامى « أراس » أن يخترع لنا قبعات واطئة ومقاعد تلاميذ والها رحيما على طريقة صانع الساعات من جنيف(٦) ٠

فيليبـــــــــــو : لن يتورعوا عن اضافة بضعة أصفار الى حساب مارا ٠٠ الى متى يتحتم علينا أن نظل قذرين ملوثين بالدماء كالمواليد الجدد ؟! الى متى ننام فى التوابيت بدل المهود ونلعب بالرؤوس ؟ لابد أن نخطوا الى الأمام : لجنة الرأفة يجب أن تتشكل ، والأعضـــاء المطرودون يجب أن يعودوا من جديد ٠

هـــــــــــيرو : لقد بلغت الثورة مرحلة اعادة التنظيم ٠٠ لابد أن تتوقف الثورة وتبدأ الجمهورية ٠ يجب أن يتقرر فى المبادىء التى تقوم عليها الدولة أن يحل الحق محل الواجب وتقوم السلامة مقام الفضيلة ويحل الدفاع عن النفس محل العقاب ٠٠ يجب أن يتمكن كل فرد من اثبات صلاحيته وتحقيق طبيعته ٠ ليكن عاقلا أو غير عاقل ، مثقفا أو غير مثقف ، طيبا أو شريرا فذلك شىء لا يعنى الدولة كلنا حمقى وليس من حق أحد أن يفرض حماقته على غيره ـ يجب أن يكون

---

(٦) اشارة الى روسو الذى كان أبوه صانع ساعات ٠٠ أمـــا محامى « أراس » فهو روبسبيير ٠

من حق كل انســـان أن يتمتع على طريقته ، بشرط الا تكون متعته على حســـاب غيره أو يزعج سواه فى المتعة التى يفضـــلها على غيرها ٠

كاميـــــــــل : يجب أن يكون شكل الدولة كالثوب الشــفاف الذى يلتصق بجسد الشعب ٠ كل انتفاخ فى العروق ، كل توتر فى العضلات ، كل اهتزاز فى الأعصـــاب يجب أن ينطبع عليه ٠ ليكن الشـــكل جميلا أو قبيحا ، فمن حقه أن يكون على ماهو عليه ، وليس من حقنا أن نفصل له ثوبا على هوانا ٠ ــ أولئك الذين يريدون أن يلقوا نقاب الراهبات على كتفى فرنســـا المذنبة الحبيبة سنعرف كيف نضـــربهم على أيديهم ٠ ــ نريد آلهه عـــارية ، عابدات باخوس(٧) ، ألعابا أوليمبية ، ومن الشـــفاه المنسجمة نريد الحب الذى يريح الاعضاء ، الحب الشـــرير ! ــ لا نريد أن نمنع الرومان من أن يجلسوا فى ركن ويطبخوا البنجر كما يشاءون ، ولكننا لن نسمح لهم بعد اليوم بأن يقدموا لنا مصـــارعات الجلادين ٠ يجب أن يقف أبيقور الالهى وفينوس(٨) ٠ ذات المؤخرة

---

(٧) هن النساء اللاتى كن يشاركن فى الاحتفالات بأعياد باخوس اله الخمر ، وقد منعت هذه الاحتفالات عند الرومان فى سنة ١٨٦ ق٠م لافراطها فى الخلاعة والعربدة ٠

(٨) فينوس هى ربةالحب والجمال عند الرومان ، وتقابل أفروديت عند الاغريق أما أبيقور الآلهى فالمقصود به دانتون نفسه ، اشارة الى افراطه فى اللذات ٠

الجميلة حارسين على باب الجمهورية بدلا من مارا المقدس وشالييه ـ دانتون ! ســـتقوم بالهجوم فى الجمعية !

دانتــــــــون : سأقوم ، ستقوم ، سيقوم · ان عشنا ، كما تقول العجائز · بعد ساعة ستكون ستون دقيقة قد انقضت · أليس كذلك ياولدى ؟ ·

كاميـــــــــل : مامعنى هذا ؟ هذا شيء مفهوم من تلقاء نفسه

دانتــــــــون : آه ! كل شيء يفهم من تلقاء نفسه · من عليه اذن أن ينفذ كل الأشياء الجميلة ؟ ·

فيليبـــــــــو : نحن والشرفاء ·

دانتــــــــون : هذه الواو بينهما حرف طويل ، فهى تبعد بيننا بعض الشيء · ان المسافة طويلة ، والشرف يفقد أنفاسه قبل أن نجتمع سويا · وحتى لو حدث هذا ! يستطيع الانسان أن يقرض الشرفاء ويشهد حفلات التعميد لديهم ، ويزوج بناته لهم ، ولكن هذا هو كل شيء !

كاميـــــــــل : مادمت تعرف هذا ·· فلماذا بدأت الكفاح ؟ ·

دانتــــــــون : أحسست بالاشمئزاز من أولاء الناس · لم أستطع أبدا أن أنظر الى أمثال « كاتو »(٩) المزيفين بغير أن أفكر فى ركلهم · هذه هى طبيعتى · (ينهض واقفا) ··

---

(٩) أو هؤلاء الكاتونيون ، ويحتمل ان تكون اشارة الى كاتو (مارسيوس بورتيوس) (٢٣٤ ـ ١٤٩ ق·م) أحد الحكام الرومانيين الرجعيين ··

جـــــــــولى : أتذهب ؟ ٠

دانتـــــــــــون : (لجولى) لابد أن أنصرف ٠ انهم يثيرون أعصابى بسياستهم ٠ (وهو يتهيأ للخروج من البـــاب) أريد أن أتنبأ لـــكم بين البـــاب والمقصلة(١٠) بأن تمثال الحرية لم يصب بعد ٠ لازال الفرن يتوهج ، وقد تحترق أصـــابعنا جميعا فيه ٠

(يخرج)

كاميـــــــــــــل : دعوه ! هل تظنون انه يمكن أن يرفع يديه اذا آن أوان العمل ؟ ٠٠

هـــــــــــــيرو : نعم ، ولكن لمجرد التسلية ، كلعب الشطرنج ٠

***

حـــــــارة

ســـيمون ٠٠ زوجتـــــه

ســـــــــــيمون : (يضرب زوجته) ياقوادة ، ياحبة التصعيد المكرمشة(١١) ، ياتفاحة الخطيئة التى تفترسها الديدان ٠

---

(١٠) أى باختصار أو على الحدود الفاصلة بين عهدين ٠

(١١) التصعيد هو العملية الكيماوية المعروفة ، ولعله يذكر هننا اشارة الى كلوريد الزئبق الذى يستعمل فى علاج مرض الزهرى ٠٠

الزوجـــــــــة : النجدة ! النجـدة ! (يهـــرع بعض الناس فرقوهما ! فرقوهما !)

ســــــــيمون : لا ، اتركونى أيها الرومان ! أريد أن أحطم هذه المومياء ! أنت يافستالية(١٢) ٠

الزوجـــــــــة : أنا ؟٠٠ هذا ما أريد أن أراه ٠٠

ســــــــيمون : اذن فسوف أنزع رداءك عن كتفيك ، وأدحرج جثتك فى الشمس ٠ يافراش العار ! فى كل ثنية من جسدك تعشش الفحشاء ٠

(يفرق الناس بينهما) ٠

المـــواطن الاول : ماذا حدث ؟

ســــــــيمون : أين العذراء ؟ ٠ تكلمى ! لا ٠ لايمكن أن أقول عنها هذا ٠ الآنسة ! لا ٠ ولا هذا ٠ المرأة ، السيدة ! ولا هذا ! ولاهذا ! لم يبق الا اسم واحـــد ٠ انه يخنقنى ! لا أجد النفس الذى يساعدنى على النطق به ٠

المــــــواطن ٢ : هذا حسن ، والا فاح الاسم برائحة الخمر ٠

ســــــــيمون : يافرجنييوس(١٣) العجوز ، غط رأسك الأصلع ــ ان غراب العار يقف عليها وينقر عينيك ٠

---

(١٢) كاهنات الفستا (اله النار الرومانية) فى روما القديمة اللاتى كن يتعهدن النار الخالدة فى معبد فينوس ٠

(١٣) أحد الزعاع الرومانيين ، قتل ابنته فرجينيا لينقذها من أبيوس كلاوديوس (أحد رجال السلطة العشرة) الذى كان يريد الاعتداء عليها ٠

أعطونى سكينا ، أيها الرومان ! (يسقط على الأرض)

الزوجــــــــة : آه ! انه فى العادة شهم ، الا انه لايستطيع التحمل ، فالخمر توقعه من طوله ٠

المـــــــواطن ٢ : ولذلك يسير على ثلاثة ٠

الزوجــــــــة : بل يسقط ٠

المـــــــواطن ٢ : تماما ٠ يسير أولا على ثلاثة ،ثم يقع على الثالثة حتى تسقط هى أيضا ٠

ســـــــيمون : أنت الغول الذى يمتص دم قلبى الدافىء ٠

الزوجــــــــة : اتركوه ، فهو دائما يغلبه التأثر فى مثل هذا الوقت ٠ سيعود الى طبيعته ٠

المـــــــواطن ١ : ماذا حدث اذن ؟

الزوجــــــــة : انظروا / كنت أجلس هناك على الحجر أتدفأ فى الشمس ـ انظروا ـ لأننا لا نملك خشـــبا ـ انظروا ـ

المـــــــواطن ٢ : تدفئى اذا بأنف زوجك ٠

الزوجــــــــة : وكانت ابنتى قد ذهبت الى الناصية هناك ٠ انها بنت طيبة وتجرى على أبويها ٠

ســـــــيمون : ها ! انها تعترف !

الزوجــــــــة : يايهوذا ! وهل كنت تجد سروالين تلبسهما اذا لم يخلع الشبان سراويلهم مع ابنتك ؟ يابرميل خمرة ! هل تحب أن تموت من العطش اذا جفت

البئر ؟ هه ؟ اننا نعمل بكل أعضائنا ، فلماذا لا نعمل بهذا العضو أيضا ؟ أمها ظلت تشقى حتى جاءت الىالعالم ، وذاقت المر ٠ الا يمكنها أن تشقى قليلا لأجل أمها ؟ هه ؟ ولو ذاقت المر أيضا ؟ ٠ ياغبى ! هه ؟

سيمون : لوكريتسيا(١٤) ! سكين ! أعطونى سكينا أيها الرومان ! ها ! أبيوس كلاوديوس ٠

المواطن ١ : نعم ! أعطوه سكينا ، لا للعاهرة المسكينة ٠ ماذا جنت ؟ لاشىء ٠ ان جوعها هو الذى يفجر ويتسول ٠ ويل لأولئك الذين يشترون لحم نسائنا وبناتنا ! ويل لهؤلاء الذين يفجرون مع بنات الشعب ! أحشاؤكم تتلوى من الجوع وأمعاؤهم تتلوى من التخمة ، ثيابكم مملوءة بالخروق وثيابهم دافئة ، أيديكم متشققة من التعب وأيديهم ناعمة كالحرير ٠ اذن(١٥) ، فانتم تعملون وهم لايعملون شيئا ، اذن فقد كسبتم اللقمة بالعرق وهم الذين سرقوها منكم ، اذن فان أردتم أن تستمدوا بضعة ملاليم من أملاككم المسروقة فلابد أن تلجأوا الى الدعارة والشحاذة ، اذن فهم لصوص ولابد من قتلهم !

---

(١٤) يخلط سيمون هنا بين لوكرتسيا وفريجنيا التى سبقت الاشارة اليها ــ وقد ظلت لوكرتسيا نموذجا عاليا لسيدة البيت الرومانية ، التى فضلت ان تقتل نفسها على ان يسىء تاركوني‌يوس سوبريوس الى شرفها ٠

(١٥) يستخدم المواطن الأول هنا كلمة أرجو (ergo) اللاتينية ومعناها اذن أو بالتالى ٠

المـــــواطن ٣ : ان عروقهم لا يجرى فيها الا الدم الذى امتصوه منا ٠ قالوا لا ! : اقتلوا الارستقراطيين ، فهم ذئاب ! وعلقنا الارستقراطيين على المشانق ٠ قالوا : « الفيتو »(١٦) ، يفترس خبزكم ، وقتلنا الفيتو ٠ قالوا الجيرونديون يجيعونكم فأرسلنا الجيرونديين الى المقصـــلة ٠ ولكنهم جردوا الموتى من ثيابهم وهانحن نسير الآن على سيقان عارية ونتجمد من البرد كما كنا نفعل من قبل ٠ نريد أن ننتزع جلدهم من أفخاذهم ونفصـــل منه سراويل ، نريد أن نعتصر شحمهم ونطبخ به شربتنا ٠ هيا ! اقتلوا من لا تجدون ثقبا فى ردائه !

المـــــواطن ١ : اقتلوا كل من يقرأ ويكتب !

المـــــواطن ٢ : اقتلوا كل من يغادر بيته ٠

الجميـــــــع : (يصرخون) أقتلوا ! اقتلوا !

(بعض العامة يسحبون شابا وراءهم)

أصـــــــوات : معه منديل !ارستقراطى ! الى المشـــنقة الى المشنقة !

المـــــواطن ٢ : ماذا ؟ ألا يمخط فى يديه ؟ الى المشنقة !

(تعلق احـــدى المشـــانق)

---

(١٦) الفيتو (Veto) هو صيغة الاعتراض ، والمقصود به هنا هو الحق الذى يتمتع به لويس السادس عشر فى الاعتراض على قرارات الجمعية التشريعية ، وقد قضى على هذا الحق باعدامه ٠

الشـــــــاب : آه ياسادتى !

المـــــــواطن ٢ : ليس فينا سادة ·· الى المشنقة ! ·

البعض (يغنون) :

أجدى من الرقاد فى التراب

فريسة للدود والفساد ـ

أن تسلموه ليد الجلاد

فيرفع الجثة فى العراء

لكى تشم نسمة الهواء !

الشـــــــاب : الرحمة !

المـــــــواطن ٣ : لعبة بسيطة بالحبل حول الرقبة ! لحظة واحدة لاغير ! نحن أرحم منكم · حياتنا قتل بطىء بالعمل ، نعلق ستين سنة فى حبل ونتلوى ، ولكننا سنعرف كيف نخلص أنفســنا ـ الى المشنقة !

الشـــــــاب : كمـا تحبـــون ،لن يجعلكم هذا ترون رؤية أوضح(١٧) ·

الواقفـــــــون : برافو ! برافو !

---

(١٧) التعبير هنا متصـل بالتعبير الأصلـــى عن الشنق وهو « الى الفوانيس » !) ·

أصـــــــــوات : اتركوه يذهب !

(الشاب يهرب بجلده)

(يظهر روبسبيير ، فى صحبة نساء وبعض المتسكعين الصعاليك)

روبســـــــبيير : ما هذا ، أيها المواطنون ؟

المـــــــواطن ٣ وماذا عسى أن يكون ؟ أن قطرات الدم القليلة التى سالت من أغسطس الى سبتمبر لم تجعل خدود الشعب حمراء ٠ المقصلة فى غاية البطء نحن فى حاجة الى سيل !

المـــــــواطن ١ : زوجاتنا وأطفالنا يصرخون طلبا للخبز ٠ نريد أن نطعمهم من لحم الارســـتقراطيين ٠ ها ! اقتلوا كل من يلبس رداء لا ثقب فيه !

الجميـــــــــع : اقتلوه ! اقتلوه !

روبســـــــبيير : باسم القانون !

المـــــــواطن ١ : ماهو القانون ؟

روبســـــــبيير : ارادة الشعب ٠

المـــــــواطن ١ : نحن الشعب ، ونريد ألا يكون هناك قانون ، اذن فهذه الارادة هى القانون ، اذن فباسم القانون لم يعد هناك قانون ، اذن فاقتلوا !

أصـــــــــوات : استمعوا الى أرستيدس(١٨) ! استمعوا الى النزيه !

---

(١٨) أرستيدس ، سياسى أثينى (حوالى ٥٤٠ ـ ٤٦٧ ق٠م) كسب احترام الشعب ٠

امــــــــــرأة : استمعوا المخلص(١٩) الذى أرســـل ليحكم ويقتص ! سيقضى على الأشرار بحد السيف . عيناه عينا القضاء ، يداه يدا العدالة!

روبســــــبيير : أيها الشـــعب الطاهر المســكين ! أنت تؤدى واجبك ، وتضحى بأعدائك . أيها الشعب ، أنت عظيم ! أنت تكشف عن روحك فى الصـــواعق والرعود . لكن معاركك لا يجب أن تجـــرح جسدك ، والا قتلت نفسك بغضبك . انك لن تسقط الا بارادتك ، وهذا ما يعرفه عنك أعداؤك .. ان الذين يشرعون لك يقظون ، وســـوف يأخذون بيديك . ان عيونهم لا تنخدع ، ويداك لا يفلت منها أحد : تعالوا معى الى اليعاقبة ! ان اخوتكم سيفتحون أذرعهم لكم ، وسنؤلف محكمة الدم لأعدائنا .

أصـــوات كثيرة : الى اليعاقبة ! عاش روبسبيير

(الجميع يخرجون)

ســـــــــيمون : ويلى ، لقد تركتنى !

الزوجـــــــــة : هاك ! (تسنده)

---

(١٩) تعبير عن المسيح (Messias) أو المخلص كما ورد فى العهد القديم وفى كثير من الأديان وخرافات الشعوب ، رمزا للمنقذ الذى يظهر فى آخر الزمان ليقر مملكة الله على الأرض . وقد حـاول اعداء روبسبيير ان يسيئوا كثيرا الى سمعته حين كانوا يربطون بينه وبين « كاثرين تيو » وهى مجنونة كانت تعتقد انها هى أم الله وتبشر بمقدم المسيح الجديد .

سيمون : آه ياحبيبتى باوكيس(٢٠) ! أنت تجمعين الفحم على رأسى ·

الزوجة : قف !

سيمون : هل تتخلين عنى ؟ هل تسامحيننى يابورسيا(٢١) ؟ هل ضربتك ؟ لم تكن يدى ، لم تكن ذراعى · جنونى هو الذى فعلها والجنون عدو هاملت المسكين · هاملت لم يفعل شيئا · هاملت ينكر ما فعله · أين ابنتنا ؟ أين سوزانا الصغيرة ؟

الزوجة : هناك على الناصية ·

سيمون : هيا بنا اليها ! تعالى يازوجتى الصالحة !

(يخرجان)

« نادى اليعاقبة »

رجل من سكان ليون : لقد أرسلنا اخوتنا فى ليون لنفرغ سخطهم المرير فى صدوركم · اننا لا نعرف ان كانت العربة التى حملت رونسان(٢٢) الى المقصلة

---

(٢٠) فيلمون وباوكيس عجوزان خلدتهما الخرافات اليونانية لوفائهما فى الحب كما خلدهما جوته فى القسم الثانى من فاوست ·

(٢١) بورسيا هى زوجة مارسيوس جونيوس بروتوس قاتل قيصر وأحد رجال الدولة الرومانيين ، وقد اشتهرت بشجاعتها وكبريائها ، وقتلت نفسها بعد هزيمة زوجها وموته ·

(٢٢) هيبرتى ، أحد قواد الثورة ، شارك فى حوادث الرعب المشهورة فى ليون ·

هى نفس العربة التى حملت جثة الحـــرية ، ولكننا نعرف أن قتلة شالييه قد عادوا منذ ذلك اليوم يسيرون فى طمأنينة وثبات على الأرض ، كأنه ليس هناك قبر يسعهم ۰ هل نسيتم أن ليون قطعة من أرض فرنسا يجب أن نغطيها بعظام الخونة ؟ هل نسيتم أن عاهرة الملوك هذه لايمكنها أن تغسل صديدها وقبحها الا فى مياه الرون ؟ هل نسيتم أن هذا النهر الثائر لابد أن يحطم أساطيل بت(٢٣) فى البحر الأبيض فوق جثث الارستقراطيين ؟ ان رأفتكم تقتل الثورة ۰ ان النفس الذى يتردد فى صـــدر أرستقراطى هى الحشرجة الأخيرة فى صـدر الحرية ۰ الجبـــان وحده هو الذى يموت فى سبيل الجمهورية ،أما اليعقوبى فهو يقتل من أجلها ۰ اعلموا اننا ان لم نجد فيكم حمية رجال العاشـــر من أغســـطس وسبتمبر والواحد والثلاثين من مايو فلن يبقى أمامنا الا خنجر كاتو(٢٤) ، كما فعـــل الوطنى جايار(٢٥) ۰
(تصفيق وصيحات مختلفة)

---

(٢٣) اشارة الى الحصار الذى فرضته الاساطيل الانجليزية على الموانىء الفرنسية بأمر من رئيس وزراء انجلترا فى ذلك الحين بت « الصغير » ۰

(٢٤) كاتو «الاصفر» (٩٥ الى ٤٦ ق۰م) أحد الجمهوريين الرومانيين ، قتل نفسه بعد هزيمة حزبه ۰۰

(٢٥) أحد الهيبرتيين ، مات منتحرا ۰

يعقـــــوبى : سنشرب معكم السم الذى شربه سقراط ·

ليجنـــــدر : (يقفز فوق المنصة) لسنا فى حاجة الى توجيه ابصـــارنا الى ليـــون · ان هؤلاء الذين يلبسون الحـــرير ، ويركبون العربات الفخمة ويجلسون فى المسرح فى « الالواج » ويتكلمون على طريقة قاموس الأكاديمية ، قداطمأنوا منذ أيام الى أن رؤوسهم ثابتة فوق أكتافهم · انهم يتظرفون ويقولون آن من الواجب أن نســاعد مارا وشاليبه على الاســتشهاد مرتين وقطع رؤوسهم بعد موتهم فى احتفـــال كبير(٢٦) ،

(حركة عنيفة فى الاجتماع) ··

اصـــــواب : انهم أموات ، والســنتهم هى التى ستقطع رؤوسهم ·

ليجنـــــدر : ليغرقهم دم هؤلاء القديسين ! اننى اســأل الأعضاء الموجودين من لجنة الاصلاح · منذ متى أصبحت آذانكم صماء ؟ ··

كوللوديربوا : (يقاطعه) وأنا أسألك ياليجندر ، صوت من هذا الذى جعل مثل هذه الأفكار تتنفس وتحيا وتجرؤ على الكلام ، لقد حان الوقت لانتزاع الأقنعة · اســمعوا ان العلة تتهم معلولها ، والنداء صداه ، والسلب نتيجته · ان لجنة

---

(٢٦) اشارة الى العادة التى كانت متبعة حتى القرن الثامن عشـــر بتنفيذ حكم الاعدام فى المذنبين الاموات أو الهاربين باحراق صورهـــم أو تماثيلهم ·

الاصلاح تفهم كثيرا فى المنطق ياليجندر ٠٠ هدىء نفسك ! ان تماثيل القديسين النصفية(٢٧) لن تمس ، وستظل كرؤوس المدوزا(٢٨) تحول الخونة الى أحجار ٠

روبسبيير : أطلب الكلمة ٠

البصاقية : اسمعوا ! اسمعوا النزيه !

روبسبيير : لقد كنا ننتظر أن نسمع صيحة السخط التى تتردد الآن من كل جانب لكى نتكلم ٠ كانت أعيننا مفتوحة ، وقد رأينا العدو يتسلح ويتحفز ، ولكننا لم نعط الاشارة بالتحرك ٠٠ لقد تركنا الشعب يسهر على نفسه بنفسه ، ولم ينم الشعب ، بل أمسك بالسلاح ٠ لقد تركنا العدو يبرز من مخبئه ، تركناه يتقدم ، وهو الآن يقف حرا مكشوفا فى وضح النهار ٠ كل ضربة توجه اليه ستصيبه ، انه سيموت بمجرد أنتقع عيونكم عليه ٠ لقد قلت لكم من قبل ان الأعداء الداخليين للجمهورية قد انقسموا الى فرقتين أو معسكرين ٠ انهم يحملون اعلاما مختلفة الألوان ويسيرون فى طرق متعددة المسالك ولكنهم يسرعون جميعا الى نفس

---

(٢٧) اشارة الى تماثيل مارا وشالييه التى وضعها فوركييه ـ تويفيل فى قصر العدالة ٠

(٢٨) اشارة الى رأس الميدوزا وهى وحش أنثوى تروى الاساطير الاغريقية انه يحول كل شىء ينظر اليه الى حجر ٠

الهدف . ان أحد هذين المعسكرين لم يعد له وجود(٢٩) . لقد حاول فى جنونه وتطرفه أن يدمغ أصـــلب الوطنيين بالضـــعف والخور لينحيهم جانبا ، ويحرم الجمهورية من أشـــد أذرعتها قوة . وأعلن الحرب على الالوهية والملكية لكى ينفذ مؤامرته المنحرفة لصـــالح الملوك . وتهكم على مسرحية الثورة السامية لكى يسىء الى سمعتها ويفضحها بالاستهتار والفحش المتعمد المـــدبر . لو قدر لهيبر أن ينتصـــر لتحـــولت الجمهورية الى فوضى ولرضى الاستبداد .. ان سيف القانون قد أصاب الخائن . وماذا يهم الأجانب مابقيت هناك مجموعة أخـــرى من المجرمين الذين يعملون على الوصول الى نفس الهدف ؟ اذا لم ندمر هذا المعسكر الآخر فكأننا لم نعمل شيئا . انه يسير فى عكس الاتجاه الذى سار فيه المعسكر الأول . انه يدفعنا الى الضعف وصيحته فى المعركة هى : الرحمة ! انه يريد أن ينتزع السلاح من الشعب كما ينتزع القوة التى يقبض بها على السلاح لكى يسلمه عاريا خائر القوة الى الملوك .

ان ســـلاح الثورة هو الرعب ، وقوة الجمهورية هى الفضيلة ـ الفضيلة لأن الرعب بدونها مهلك ،والرعب لأن الفضـــيلة بدونه

---

(٢٩) اشارة الى حزب الهيبرتيين الذى تم القضاء عليه .

عاجزة . ان الرعب هو النتيجة المترتبة على الفضيلة . ليس الرعب الا العدالة الحاسمة الصلبة الصارمة . يقولون ان الرعب هو سلاح الحكومة المستبدة ، ويريدون بذلك أن يشبهوا حكمنا بالحكم المستبد . هذا صحيح ! ولكن بقدر ما يشبه السيف فى يد بطل الحرية ذلك السيف الذى يحمله أتباع الطاغية . اذا كان المستبد يحكم بالرعب رعاياه الذين يشبهون القطعان ، فذلك حقه كطاغية مستبد ، اسحقوا بالرعب اعداء الحرية وسيكون ذلك من حقكم كمؤسسين للجمهورية . ان حكومة الثورة هى استبداد الحرية ضد الطغيان .

بعض الناس ينادون قائلين : ارحموا الملكيين ! هل نرحم الأشرار ؟ لا : بل نرحم البراءة ، نرحم الضعف ، نرحم البؤساء ، نرحم الانسانية ! ان المواطن المسالم هو وحده الذى يستحق حماية المجتمع .

ليس هناك مواطنون فى ظل الجمهورية الا الجمهوريين ، أما الملكيون والأجانب فهم أعداؤها . ان انزال العقاب بأولئك الذين يضطهدون الانسانية هو الرحمة ، أما العفو عنهم فهو الوحشية . ان كل علامات الحساسية الزائفة تبدو لى تنهدات تطير فى اتجاه انجلترا أو النمسا . لم يقتنعوا بتجريد الشعب من السلاح ، بل راحوا يسممون أقدس منابع قوته بالرذيلة . هذا هو أخبث وأخطر وأبشع هجوم

على الحرية ٠ ان الرذيلة هى علامة قابيل(٣٠) التى تسم الارستقراطية ٠ انها ليست فى النظام الجمهورى جريمة أخلاقية فحسب ، بل هى كذلك جريمة سياسية ٠ ان مرتكب الرذيلة هو العدو السياسى للحرية ، ويعظم خطره عليها كلما عظمت الخدمات التى يدعى انه أداها لها ٠ ان أخطر المواطنين هو ذلك الذى يسهل عليه أن يستهلك بضع قبعات حمراء(٣١) من أن يقوم بعمل واحد نافع ٠

سيكون من السهل عليكم أن تفهموا قصدى اذا فكرتم فى أولئك الذين كانوا يعيشون فى حجرات على السطوح فأصبحوا الآن يركبون العربات المطهمة بالخيول ويرتكبون الفحش مع الماركيزات والبارونات السابقات ٠ ان من حقنا أن نسأل : هل نهبنا ثروة الشعب أم هل أصبحنا نضغط على أيدى الملوك الذهبية(٣٢) ، اذا كنا نحن المشرعين للشعب نتظاهر بكل رذائل رجال البلاط السابقين وترفهم ، اذا كنا نرى ماركيزات الثورة وأمراءها يتزوجون

---

(٣٠) يذكر العهد القديم ان قابيل حكم عليه بالنفى عقابا له على قتل شقيقه هابيل ، ولكن حمته علامة على جبهته اشتهرت فيما بعد بانها اشارة الى جريمة قتل الأخ ٠

(٣١) قبعة كان يلبسها اليعاقبة ، متاثرين فى ذلك بالقبعة التى كان يلبسها الفريجيون القدماء وتعد أقدم رمز للحرية ٠

(٣٢) أى هل وصل بنا الأمر الى حد التعاون معهم ضد الشعب ؟

النســاء الثريات ، ويولمون الولائم ويقامرون ويستخدمون الخدم ويلبسون الثياب الفخمة ؟ أن من حقنا أن نتعجب حين نرى الأفكار الملهمة تهبط عليهم ، ونسمع أحاديث المثقفين المهذبين تتدفق من أفواههم · لقد حدث منذ وقت غير بعيد أن تهكم أحدهم « بتاسـيت » على نحو مخجل(٣٣) في استطاعتي كذلك أن أجيب على طريقة « ساللوست » وأن أعرض بكاتلينا(٣٤)، غير أنني فيما أظن لم أعد في حاجة الى لمسات أخرى ، فقد تم رسم أصحاب هذه الوجوه · لن تكون هناك معاهدة ولا هدنة مع أناس لم يفكروا الا في نهب الشـعب ، أناس اطمأنوا الى أنهم سيستطيعون أن يواصلوا هذا النهب بغير عقاب وحسبوا أن الجمهورية مضارية . وان الثورة أداة في أيديهم · انهم يحاولون في هدوء تام أن يبردوا حرارة العـــدالة بعد أن أفزعهم التيار الجارف الذي يضـــرب الأمثلة كل يوم يـــكاد الانســـان يعتقـــد أن كل واحد منهم يقول لنفســـه : « لســـنا فضلاء

---

(٣٣) اشارة الى « كتاب ديمولان » الفرنسسكاني العجوز « الذي نشر فيه اجزاء من كتاب المؤرخ الروماني تاسيتوس عن استبداد القيصر تبيريوس قاصدا بذلك ان يتهكم من بعيد بدكتاتورية اليعاقبة ·

(٣٤) يريد روبسبيير انه يستطيع ان يرد بأجزاء من المؤرخ الروماني ساللوست الذي كتب عن المـــؤامرة المشـــهورة بمؤامرة كاتيلينا ضـــد القنصلية ··

الى الحد الذى يجعلنا مرعبين بهذه الدرجة ·
أيها المشرعون المتفلسفون ، ارحموا ضعفنا !
اننى لا أجرؤ أن أقول لكم اننى أحب الرذيلة ،
ولهذا أفضل أن أقول لكم : « لا تكونوا قساة بشعين ! »

هدىء نفسك ، أيها الشعب العفيف !
هدءوا نفوسكم أيها الوطنيون ! قولوا لاخوتكم فى ليون : أن سيف الحرية لا يصدأ فى الأيدى التى وضعتم ثقتكم فيها ! ستضرب مثلا عظيما للجمهورية ·

(تصفيق عام)

اصوات كثيرة : عاشت الجمهورية ! عاش روبسبيير !

الرئيس : رفعت الجلسة !

ـ حارة ـ

لاكروا ـ ليجندر

لاكروا : ماذا فعلت ياليجندر ! هل تعلم من الذين أسقطت رؤوسهم بتماثيلك النصفية التى حطمتها ؟

ليجندر : بعض التافهين المتحذلقين والنساء الأنيقات ، هذا هو كل شىء ·

لاكروا : أنت انسان ينتحر ،ظل يقتل أصله ويقتل بذلك نفسه ·

ليجنـــــــــدر : لست أفهم ماذا تقصد ·

لاكـــــــــروا : أظن أن كوللو تكلم بوضوح ·

ليجنـــــــــدر : وما أهمية هذا ؟ لقد كان مخمورا كعادته ·

لاكـــــــــروا : الحمقى والأطفال و ·· السـكارى يقولون الحقيقة · من الذى تعتقد أن روبسـبيير قد قصده بالكلام عن كاتيلينا ؟

ليجنـــــــــدر : ما رأيك أنت ؟

لاكـــــــــروا : المسألة بسيطة · لقد أرسل الملحدون والثوريون المتطرفون الى المقصلة · ولكن الشعب لم يستفد شـيئا ، فمازال يمشى حافيا فى الحوارى ويطـالب بأن يفصـل أحـذيته من جلود الارستقراطيين · ان ترمومتر المقصلة لا يجب أن يهبط ، لم تبق الا بضع درجات وتذهب لجنة الاصلاح الى ميدان الثورة لتنام هناك ··

ليجنـــــــــدر : وما علاقة تماثيلى النصفية بهذا ؟

لاكـــــــــروا : ألم تفهم العلاقة بعد ؟ لقد أعلنت وجود الثورة المضـادة ، وحفزت الرجال العشرة (٣٥) الى العمل الحاسم ، وقدتهم من أيديهم · ان الشعب مينوتاوروس (٣٦) يصر كل أسـبوع على أن يتسلم جثثه ، والا افترسهم ·

---

(٣٥) او الديسمفير ، انظر التعليق السابق ·

(٣٦) وحش رهيب تصوره الاساطير اليونانية برأس ثور وجسد انسان وكان على مدينة أثينا ان تقدم له القرابين من الشباب والعذارى ·

ليجنـــــدر : أين دانتون ؟

لاكـــــروا : ومن أين لى أن أعلم ؟ انه يحاول أن يجمــع فينوس المديشية منكل بغايا القصر الملكى(٣٧)، أو يصنع على حد قوله فسيفساء(٣٧م) · السماء وحدها تعلم ماهو العضو الذى وصـل اليه الآن · انه لشىء محزن حقا أن تمزق الطبيعة الجمال وتوزع أجزاءه المتفرقة بين الأجساد ، كما مزقت ميديا(٣٨) شقيقها · هيا نذهب الى القصر الملكى !

(يخــرجان)

« حجــرة »

دانتــون ··· مــاريون

مــــاريون : لا ! دعنى راقدة عند قدميك · أريد أن أحكى لك شيئا ·

دانتـــون : يمكنك أن تستعملى شفتيك فيما هو أفضل ·

مــــاريون : لا · دعنى هكذا · كانت أمى امرأة ذكية وكانت تقول لى دائما ان العفة فضيلة جميلة · وعندما كان يأتى الناس لزيارتنا ويبدأون فى الحديث

---

(٣٧) مــاخور مشهور كان معروفا قبل الثـورة فى باريس ·

(٣٧م) أو موزايكو ·

(٣٨) تصورها الاساطير الاغريقية ساحرة جبارة هربت مع شقيقها ثم قتلته ومزقته قطعا القت بها فى البحر لكى تضلل أباها الذى كان يطاردها ·

عن أمـــور معينة كانت تطلب منى أن أغادر الحجرة · فاذا سألتها عما يريدون قالت ان على أن أخجل من نفسى · واذا أعطت لى كتابا لأقرأه كنت دائما أمر على بعض صفحاته بغير قراءة · ولكننى كنت أقرأ الكتاب المقدس كما يحلو لى ، فقد كان كل شىء فيه مقدسا ولكن كان فيه شىء لم أستطع فهمه · لم أحاول أن أسأل أحدا عن معناه ، وعكفت على نفسى ورحت أفكر فيه وحـــدى · وجاء الربيع · احسست أن هناك أمورا تجرى فى كل مكان من حولى دون أن أشارك فيها · ووجدتنى أعيش فى جو غريب يكاد يخنق أنفاسى · رحت أتأمل أعضائى ، كان يبدو لى فى بعض الأحيان كأن حجمى يتضاعف وكأننى أعود فأصبح عضوا واحدا يندمج فيه كيانى كله · فى ذلك الوقت بدأ شاب يتردد على البيت · كان جميلا وكان يتكلم فى معظم الأحيان كلاما عجيبا · لم أكن أفهم ما يريده تماما ، ولكننى لم أكن أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك · دعته أمى الى الاكثار من زيارتنا ، وأعجبنا هذا · وأخيرا لم نجد ما يمنع من أن ننام معا بين ملائتى سرير ،مثلما نجلس معا على كرسيين · وجدت فى هذا متعة أعظم من المتعة التى كنت أجدها فى الاستماع الى كلامه ،ولم أفهم لماذا كانوا يســـمحون لى بالمتعة القليلة ويحرموننى من المتعة الكبيرة · ورحنا نفعل ذلك ســـرا ،

واستمر الحال على هذا . ولكننى أحسست كأننى أصبحت بحرا يبتلع كل شىء وتجيش أعماقه وتجيش . كان هناك ضد واحد بالنسبة لى ، وذاب لدى كل الرجال فى جسد واحد . أمى أيضا كانت كذلك ؟ وهل يستطيع أحد أن يهرب من طبيعته ؟ وأخيرا لاحظ كل شىء . جاء فى صباح يوم من الأيام وقبلنى قبلة كادت تكتم أنفاسى . وطوق رقبتى بذراعيه فأحسست برعب هائل . ثم ابتعد عنى وضحك وقال انه كان على وشك أن يقوم بفعلة غبية ، وأن على أن أحتفظ بثوبى واستعمله لأنه سـيبلى من نفسه ، وهو لايريد أن يفسد على حظى قبل الأوان لأنه هو الشىء الوحيد الذى أملكه . ثم ذهب ، ولم أعرف مرة أخرى ماذا كان يريد .. وعندما جاء المساء كنت أطل من النافذة ، فأنا شديدة الحساسية ولاشىء يربطنى بما حولى الا العاطفة . واسـتغرقت فى أمواج الشفق . ثم انتبهت على موكب يهبط الشارع تتقدمه الأطفال وتتبعه النساء من النوافذ . نظرت الى هناك فرأيتهم يحملونه فى سلة كبيرة والقمر يسطع على جبهته الشاحبة ، وخصلات شعره مبتلة .. كان قد أغرق نفسه . ووجدتنى أنشج بالبكاء . كان هذا هو الكسر الوحيد فى كيانى . ان غيرى من الناس يعملون فى أيام ويستريحون فى أيام .. انهم يعملون ستة أيام ويصلون فى اليوم السابع . وفى كل سـنة

يتاثرون مرة فى عيد ميلادهم ويفكرون قليلا فى رأس السنة ٠أما أنا فلا أفهم شيئا من هذا ولا أعرف راحة أو تغييرا ٠ أنا دائما كيان واحد ، شوق لا ينقطع ، لهيب تيار ٠ أمى ماتت من الغم ، الناس يشيرون الى ٠ هذا غباء ٠ ففى النهاية يتســـاوى الناس فى المتعة التى يجدونها فى الأجساد أو صور المســـيح أو الزهور أو العاب الأطفـــال ، انه دائما نفس الشعور ، من يزدد متعة يزدد عبادة ٠

دانتـــــــون : لماذا لا أحتوى جمالك كله وأعانقه كله ؟

مـــــــاريون : دانتون ، لشفتيك عينان ٠

دانتـــــــون : تمنيت أن أكون بعضا من الاثير لكى تستحمى فى موجى وأتكسر على كل موجة من أمواج جسدك الجميل ٠

(لاكروا ، أديلاده وروزالى يدخلون)

لاكـــــــروا : (يظل واقفا بالباب) لابد أن أضحك ! لابد أن أضحك !

دانتـــــــون : (متبرما) وبعد ؟

لاكـــــــروا : الحارة خطرت على بالى ٠

دانتـــــــون : ثم ماذا ؟

لاكـــــــروا : كانت هناك كلبة كبيرة وكلب بولونى صـــغير يعذبان نفسيهما ٠

دانتـــــــــون : مامعنى هذا ؟

لاكـــــــــروا : خطر هذا على بالى فلم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك • كان منظرا يشرح القلب ! كانت البنات تنظر من النوافذ • لابد أن يحتـــاط الانسان ولا يتركهن يجلسن فى الشمس • والا قرصـــهن البعوض فى أيديهن ، وهذا يهيج الأفكار • طفت أنا وليجندر على كل الصوامع تقريبا • تعلقت راهبات الوحى الجســـدى بحجـــرنا وطلبن البركة • أنزل ليجندر بركته على احداهن ، ولكنه سيضطر أن يصوم من أجل ذلك شهرا • وهأنذا أحضر معى راهبتين من راهبات الجسد •

مـــــــاريون : صباح الخير يا آنسة أديلاده ! صباح الخير يا آنسة روزالى !

روزالى : لم نتشرف من مدة طويلة •

مـــــــاريون : كان على عينى ••

اديلاده : آه ياربى ! نحن مشغولون بالليل والنهار •

دانتـــــــــون : (لروزالى) أنت ياصغيرة ! لقد أصـــبحت ملفوفة الاوراك !

روزالى : طبعا • نحن كل يوم فى تحسن •

لاكـــــــــروا : ما هو الفرق بين أدونيس القـــديم وأدونيس الجديد(٣٩) ؟

---

(٣٩) هو فيما تروى الاساطير اليونانية حبيب افروديت الجميل الذى مزقه خنزير وحشى فحولته الى زهرة شقائق النعمان دائمة العطر ••

دانتـــــون : وأديلاده أصبحت مؤدبة وظريفة ، تغيير يرد الروح ·
وجهها يبدو كورقة التين التى تستر بها جسدها كله · شجرة تين كهذه على طريق مريح كهذا تلقى ظلا منعشا ·

اديلاده : كنت سأصبح طريقا تسير عليه القطعان لو أن السيد ··

دانتـــــون : فهمت · المهم الا تغضبى يا آنستى !

لاكـــــروا : أرجرك أن تسمعنى ! ان أدونيس الجديد لن يمزقه خنزير برى بل ستمزقه اناث الخنازير · انه لن يجرح فى فخذه بل فى جنبيه ولن تنبثق الورود من دمه بل ستتفتح براعم الزئبق(٤٠) ·

دانتـــــون : الآنسة روزالى تشبه تمثالا ناقصا(٤١) أعيد ترميمه وليس فيه شيء قديم سوى الساقين والقدمين ·
انها مثل ابرة المغنطيس : ما يطرده قطب الرأس يجـــذبه قطب القدم ، أما المركز فهو منطقة استوائية كل من يعبر خط الاستواء فيها يحصل على تعميد طبى(٤٢) ·

---

(٤٠) كانت هذه الأوراق توصف علاجا للامراض التناسلية (كالزهرى)، والكلمة تشير هنا الى الالتهابات والأورام الناجمة عن هذا المرض ·
(٤١) يقصد بالتمثال الناقص (Torso) غالبا ذلك التمثال الذى فقدت رأسه ولم يبق منه الا الجذع ·
(٤٢) اشارة الى تقليد بحرى لايزال متبعا الى اليوم عند عبور خط الاستواء وهو الاحتفال بكل من يعبره لأول مرة ·

لاكـــــــــروا : انهما ممرضتان رحيمتان ، كل منهما تخدم فى مستشفى ، أقصد فى جسدها هى ٠

روزالى : أخجل من أن تجعل آذاننا حمراء من الخجل !

اديلاده : يجب أن تتعلم فن الحياة أكثر من هذا ٠

(تخرج اديلاده وروزالى)

دانتـــــــــون : ليلتكم سعيدة ياحلوات !

لاكـــــــــروا : ليلتكم سعيدة يامناجم الزئبق !

دانتـــــــــون : اننى أرثى لهما ٠ فهما لا تأتيان الا لتنـــاول العشاء ٠

لاكـــــــــروا : اسمع يادانتون ! لقد كنت الآن مع اليعاقبة ٠

دانتـــــــــون : أليس لديك أكثر من هذا ؟

لاكـــــــــروا : قرأ وفد ليون بيانا أعلنوا فيه أنه لم يبق أمامهم الا أن يلتفوا بالتوجا(٤٣) ٠ ان كل واحد منهم يضع تكشيرة على وجهه كانما يريد أن يقول لجاره : « بيتووس » ، انه لا يؤلم(٤٤) ٠ هتف ليجندر مطالبا بتحطيم تماثيل مارا وشـــالييه النصفية ٠ أعتقد أنه يريد أن يحمر وجهه مرة أخرى من الخجل ، لقد خرج من زمرة الكبار

---

(٤٣) التوجا (Toga) ثوب فضفاض كان يلبسه الرومانيون ، ولعل المقصود ان أهل ليون يريدون العودة الى سياسة الدماء ٠

(٤٤) كلمات قالتها « أريا » بعد أن غرزت الخنجر فى قلبهـــا ومدت يدها به الى زوجها الذى كان القيصر كلاوديوس قد غضب عليه ٠

المخيفين ولم يعد أحد يأخـــذه مأخذ الجد ،
والأطفال فى الحارة يشدونه من ثيابه ٠

دانتـــــــون : وروبسبيير ؟

لاكـــــــروا : أشار بأصبعه الى المنصة وقال : يجب أن تحكم الفضيلة بالرعب ٠ لقد جعلتنى عبارته أحس الألم فى رقبتى ٠

دانتـــــــون : لأنها تنجر ألواح الخشب للمقصلة ٠

لاكـــــــروا : وصاح كوللو كمن مسته الشياطين : لابد من انتزاع الأقنعة !

دانتـــــــون : اذن فسوف ينتزعون معها الوجوه ٠

(يدخل بارى)

لاكـــــــروا : ماهى الأخبار يافابريسيوس ؟

بـــــــارى : تركت اليعاقبة وذهبت الى روبسبيير لأطلب منه تفســـيرا ٠٠ حاول أن يتظاهر بالحزن كأنه بروتوس وهو يضحى بأولاده(٤٥) ٠ تكلم عن الواجبات بوجه عام ، قال انه لا يعبأ فى سبيل الحـــرية بأى اعتبـــار ، وأنه لن يتردد عن التضـــحية بكل شىء ، بنفســـه وشـــقيقه وأصدقائه ٠

---

(٤٥) كان أولاد القنصل الرومانى لوسيوس جونيوس بروتوس ، الذى حرر البلاد من الملكية ، قد اشتركوا فى مؤامرة مع الملك المطرود ، ونفـذ فيهم حكم الاعدام أمام أبيهم ٠

دانتـــــــــون : لقد تكلم بوضوح · علينا أن نقلب السلم فحسب وبذلك يقف فى الدور الأسفل ويحمل السـلم لأصحابه · نحن مدينون بالشكر لليجندر ، فقد جعلهم يتكلمون ·

لاكــــــــــروا : ان الهيبرتيين لم يموتوا بعد ، والشعب يعيش عيشة بائسة ، وهذا ثقل فظيع · ان كفة الدماء لا يجب أن تثقل ، حتى لا تتحول الى مشانق لاعضاء لجنة الاصلاح انه فى حاجة الى حمل يثقل دماغه ·

دانتـــــــــون : أعرف أن الثورة مثل ســـاتورن(٤٦) ، فهى تفترس أبنـــاءها (بعـد تفكير) ولكنهم لن يجرؤوا !

لاكــــــــــروا : دانتـــون · أنت قديس ميت · ولكن الثورة لا تعترف بالعظام الباقية ، لقد ألقت بعظام الملوك جميعا الى الشارع وقذفت بكل التماثيل من الكنائس · أتظن أنهم ســيتركونك كتمثال أثرى ؟

دانتـــــــــون : اسمى ! الشعب !

لاكــــــــــروا : اسمك ! انك معتدل ، وكذلك أنا ، وكاميل ، وفيليبو وهيرو · والشـــعب يعتبر الاعتدال والضعف شـــيئا واحدا ، ولذلك يقتل كل من يتأخر ويتباطأ ، ان خياطى قســم القبعات

---

(٤٦) اله رومانى (يقابل خرونوس أو الزمن عند اليونان) وقد التهم ابناءه على اثر ولادتهم بعد ان قالت له النبوءة انهم سيزيحونه عن عرشه ·

الحمراء[٤٧] سيحسون بالتاريخ الرومانى كله على طرف ابرتهم[٤٨] ، اذا شعروا بأن رجل سبتمبر يقف منهم موقفا معتدلا ٠

دانتـــــون : هذا حقى ٠ أضف اليه ان الشـــعب كالطفل الذى يصـــر على أن يكســـر كل شىء ليرى ما بداخله ٠

لاكـــــروا : اضف الى هذا أيضا يادانتون أننا كما يقول روبسبيير نرتكب الرذائل ، فنحن نستمتع ، فى حين أن الشعب فاضل ، أى لايستمتع لأن العمل أصاب حواسه بالصدأ ، ولا يسكر لأنه لايملك المال ، ولا يتردد على المواخـــير لأن رائحـــة الجبن والرنجة تصعد من رقبته والآنســـات يشعرن بالاشمئزاز لذلك ٠

دانتـــــون : انه يكره القادرين على الاستمتاع كما يكره الخصى الرجال ٠٠

لاكـــــروا : انهم يسموننا الأوغاد (يميل على أذن دانتون) وفى هذه التسمية ـ فيما بيننا ـ شىء من الحق ٠ روبسبيير والشعب يتمسكان بالفضيلة ٠٠ سان جوست سيكتب رواية وباربر سيفصل

---

(٤٧) اى اليعاقبة ٠

(٤٨) أى سترتفع قيمة اليعاقبة لو تمكنوا من القضاء على رجل مثـل دانتون انقذ الثورة ذات يوم ٠

« كارمانيولا »(٤٩) · ويضــــع معطف الدماء حول جسم الجمعية و ···· اننى أرى كل شىء ·

دانتـــــــون : أنت تحلم ·· لم تكن لديهم الشـــجاعة أبدا بدونى · لن تكون لديهم الشجاعة لمواجهتى · ان الثورة لم تنته بعد وقد يحتاجون الى · انهم سيحتفظون بى فى ترسانتهم ·

لاكـــــــروا : يجب أن نعمل شيئا ·

دانتـــــــون : ســـنرى ·

لاكـــــــروا : الى أن يتم هذا سنكون قد ضعنا ·

مـــــــاريون : (لدانتون) شفتاك أصبحتا باردتين ، كلماتك خنقت قبلاتك ·

دانتـــــــون : (لماريون) ما أكثر الوقت الذى ضيعناه ! كان الأولى أن نستفيد منه ! (للاكروا) · سأذهب غدا الى روبسبيير : سأثير غضبه ولن يستطيع أن يســـكت · الى الغد اذن ! طابت ليلتكم يا أصدقائى ! طابت ليلتكم ! اننى أشكركم !

لاكـــــــروا : تثبتوا يا أصدقائى الاعزاء ، تثبتوا ! طابت ليلتك يادانتون · ان أفخاذ الآنســـة ستفصل

---

(٤٩) الكارمانيولا اسم أغنية شعبية ثورية اطلقت بعد الثورة على سترة شعبية قصيرة بغير رقبة سميت كذلك سترة اليعاقبة ·

رقبتك عن جســـدك ، والمونس فنيريس(٥٠)
سيكون هو صخرتك الترابية(٢) (يخرج مع
بارى)

« حجـــرة »

روبسبيير ـ دانتون ـ بارى

روبســـــبيير . قلت لك ان من يمســـك بذراعى عندما أجرد سيفى فهو عدوى · لا أهمية بعد هذا لقصده ونيته ، ومن يحل بينى وبين الدفاع عن نفسى فهو يقتلنى تماما كما لو كان يهاجمنى ·

دانتـــــــون : حيث يتوقف الدفاع عن النفس ، تبدأ جرائم القتل لست أرى سببا يحملنا على الاستمرار فى القتل ·

روبســـــبيير : ان الثورة الاجتماعية لم تنته بعد ، من يكتف من الثورة بنصفها يحفر لنفســـه قبرا · ان المجتمع المرفه لم يمت بعد ، والقوة الشـــعبية السليمة يجب أن تحل محل هذه الطبقة المتفشية فى كل اتجاه · يجب أن تلقى الرذيلة العقاب الرادع ، وتحكم الفضيلة عن طريق الرعب ·

دانتـــــــون : أنا لا أفهم معنى لكلمة العقاب · أنت وفضيلتك ياروبسبيير ! انك لم تسرق ، ولم تستدن ، ولم

---

(٥٠) أى الجبل الوقور (٢) وهى القمة الجنوبية للتل الذى يقوم عليه بناء الكابيتول فى روما وقد كان يقذف بالمجرمين والخونة من فوقه ، والاشارة ذات معنى جنسى ·

تنم مع امرأة · تعودت دائما أن تلبس الثياب المحترمة ، لم تسكر أبدا فى حياتك · روبسبيير انك مستقيم الى حد مزعج· لو أننى عشت ثلاثين عاما بأكملها أدور بين السماء والأرض بنفس السحنة الأخلاقية لمجرد الاحساس بهذه اللذة البائسة التى تجعلنى أجد غيرى أسوأ منى ، لو فعلت هذا لخجلت من نفسى · أليس فى داخلك اذن شىء يهمس لك فى الخفاء قائلا : أنت تكذب ، تكذب ؟!

روبسبيير : ان ضميرى نقى ·

دانتون : الضمير مرآة ، يعذب القرد نفسه أمامها ، كل انسان يتزين بقدر ما يستطيع ، ثم يمضى ليروح عن نفسه كما يشاء هذا شىء يستحق أن نشد من أجله شعور بعضنا ! من حق كل انسان أن يدفع عن نفسه اذا وجد من يفسد عليه مزاجه ·

هل من حقك أن تجعل من المقصلة حوض غسيل للملابس المتسخة لغيرك من الناس ، ومن رؤوسهم المقطوعة كرات لازالة البقع من ثيابهم القذرة ، لمجرد انك تلبس دائما ثوبا منظفا بالفرشاة ؟

نعم من حقك أن تدافع عن نفسك اذا بصقوا عليه أو أحدثوا ثقوبا فيه ، ولكن ما شأنك بهم ماداموا يتركونك فى حالك؟ واذا كان لايضايقهم أن يدوروا هكذا فى الشوارع ، فهل يعطيك ذلك

الحق فى أن تحبسهم فى القبور ؟ هل أنت شرطى السماء ؟ اذا كنت لاتستطيع أن تنظر اليهم كما ينظر الهك العزيز فضع منديلك أمام عينيك ٠

روبسبيير : هل تنكر الفضيلة ؟

دانتون : والرذيلة أيضاً ٠ ليس هناك الا أبيقوريون ، غلاظ ورفيقون ، وقد كان المسيح أرقهم ٠ هذا هو الفارق الوحيد الذى أميز به الناس ٠ كل انسان يتصرف على حسب طبيعته ، أى يعمل مايروقه ٠ أليس شيئا فظيعا أن أدوس على كعب حذائك أيها النزيه ؟

روبسبيير : دانتون ٠ ان الرذيلة فى بعض الأوقات خيانة ٠

دانتون : لايجوز لك بحق السماء أن تحتقرها ، والا كان هذا جحودا منك ٠ انك مدين لها بالكثير ، على الأقل بالضد المقابل لها ٠٠ زد على هذا – لكى لا أبتعد عن أفكارك – ان معاركنا يجب أن توجه لصالح الجمهورية ، ولا يجوز أن نأخذ الأبرياء بذنب المجرمين ٠

روبسبيير : من قال لك اذن ان أحد الأبرياء قد أصيب ؟

دانتون : هل سمعت يافابريسيوس ؟ لم يمت برىء واحد حتى الآن !

(ينصرف وهو يقول لبارى) لا يجب أن نضيع لحظة واحدة ٠ يجب أن نكشف عن أنفسنا !

(يخرج مع بارى)

روبسبيير : (وحده) اذهب ! يريد أن يوقف خيول الثورة أمام الماخور ، كما يفعل السائق بجياده المدربة، ولكنهم سيجدون القوة الكافية لسحبه الى ميدان الثورة · يدوس على كعب حذائى ! لكى لا أبتعد عن أفكارك ! ــ قف ! قف ! هذه هى الحقيقة ؟ ــ سيقولون ان هئيته العملاقة ألقت ظلالها الكثيرة على ، ولذلك عملت على ابعاده عن الشمس · ــ واذا كانوا صادقين فى قولهم ؟ ــ أهو أمر ضرورى حقا ؟ ــ نعم ! نعم ! الجمهورية ! لابد أن يذهب · من المضحك أن تراقب أفكارى بعضها البعض · ــ لابد أن يذهب · ان من يتوقف عن السير وسط الجماهير الزاحفة فهو يقاومها كما لو كان يمنع تقدمها : ولابد أن تدوسه الأقدام ·

لن ندع سفينة الثورة تتحطم على تقديرات هؤلاء الناس الضحلة وشواطئهم الموحلة ، يجب علينا أن نقطع اليد التى تجرؤ على وقفها ، حتى ولو تشبثت بها بالاسنان ! فلتستأصل هذه الجماعة التى جردت الارستقراطية الحمراء من ملابسها وورثت عنها قروحها !

لا فضيلة ! ــ الفضيلة كعب حذائى ! ــ لكى لا أبتعد عن أفكارك ! ــ لماذا تلح على هذه الخواطر ؟ ألا أستطيع أن أتخلص من هذه الفكرة ؟ انها تشير دائما باصبع دامية الى

هناك ! الى هناك ! وكلما حاولت أن ألف الخرق حولها نفدت منها الدماء ! (بعد فترة صمت) لست أدرى من الذى يكذب فى صاحبه ٠٠ (يتقدم الى النافذة) الليل منسدل فوق الأرض يغط فى نومه ويلتف فى حلم موحش ٠ أفكار وأمانى لانكاد نحس بها ، مضطربة وغامضة ، تتوارى خائفة من ضوء النهار ، تتلقى الآن شكلا ورداء وتتسلل الى بيت الأحلام الساكن انها تفتح الأبواب ، تطل من النوافذ ، تتجسد وتمد أعضاءها فى النوم وتتمتم منها الشفاه ٠

ــ أليست يقظتنا حلما ناصعا ؟ ألسنا نسير نياما ؟ أليست أفعالنا هى نفس الأفعال التى نقوم بها فى الحلم ، ولكن بصورة أوضح وأدق ؟ من الذى يستطيع أن يلومنا على هذا ؟ ان العقل ينجز فى ساعة واحدة من الأفعال الفكرية أكثر مما يقدر الكيان العضوى الكسول على انجازه فى أعوام ٠ ان الخطيئة كامنة فى الفكرة ٠ أما أن تصبح الفكرة عملا ، أو أن يؤديها الجسم بعد ذلك فهذا أمر متروك للصدفة ٠

(يدخل سان جوست)

روبسبيير : ها ، من هناك فى الظلام ؟ ها ! نور ! نور !

سان جوست : هل تعرف صوتى ؟

روبسبيير : أنت ياسان جوست ! (احدى الخادمات تحضر مصباحا)

ســـان جوســت : هل كنت وحدك ؟

روبســـــــبيير : دانتون كان هنا وذهب منذ لحظة ٠

ســـان جوســت : قابلته فى الطريق فى « القصر الملكى » كان يســـتعرض جبهته الثورية ويتكلم بالحكم ، ويتحدث مع الرعاع(٥١) بغير كلفة ٠ وكانت البغـــايا تمشى وراءه والناس يقفون مذهولين ويتهامسون بما يقوله ٠ – ســـنضيع مزية الهجوم٠ الى متى تتردد ؟ ســـنتصرف من غيرك ٠ لقد عزمنا على هذا ٠

روبســـــــبيير : ماذا تريدون أن تفعلوا ؟

ســـان جوســت : نريد أن ندعو لجان التشريع والأمن والاصلاح الى اجتماع عام ٠

روبســـــــبيير : تعقيد لاداعى له ٠

ســـان جوســت : يجب أن ندفن الجثة العظيمة باحترام ، كالكهنة لا كالقتلة ٠ لا يصح أن نشوهها ، بل يجب أن نوارى معها كل أعضائها ٠

روبســـــــبيير : أوضح كلامك !

ســـان جوســت : يجب علينـــا أن ندفنه فى التراب وهو بكامل سلاحه وأن نذبح خيوله وعبيده على قبره : لاكروا ٠٠

---

(٥١) فى الأصل عديمى السراويل (Sans-Culottes) وهـــم طبقة من الرعاع والصـــعاليك الذين اشتهروا بهذا الاسم أيام الثورة الفرنسية ٠

روبسبيير : وغد حقيقى ، كاتب محام سابق ، وجنرال فرنسا فى الوقت الحاضر . استمروا .

سان جوست : هيرو ـ سيشيل .

روبسبيير : رأس جميل !

سان جوست : كان الحرف الأول الجميل فى وثائق الدستور ، لم نعد الآن فى حاجة الى هذه الحلية ، سنمحوها . فيليبو ، كاميل .

روبسبيير : وهذا أيضا ؟

سان جوست : (يناوله ورقة) أظن اقرأ !

روبسبيير : آه ! « الفرنسسكانى العجوز ! لاشىء غير هذا؟ انه طفل وقد ضحك عليكم .

سان جوست : اقرأ هنا ، هنا ! (يبين له وضعا بعينه)

روبسبيير : (يقرأ) « هذا المسيح الملطخ بالدماء فوق جبل جلجاثة(٥٢) بين زميليه كوتو وكوللو ، حيث يضحى ولا يضحى به . الاخوات البتول يقفن تحت المقصلة مثل مريم والمجدلية . سان جوست حبيب الى قلبه مثل يوحنا والمسيح وهو الذى يعرف المجلس بالوحى الذى يهبط

---

(٥٢) اشارة الى الجبل الذى صلب عليه السيد المسيح ، وبجانبه اللصان ، والاشارة الى روبسبيير الذى كان يشبه نفسه بالمخلص مع فارق واحد وهو انه لا يقبل أن يصلب !

على المعلم ، انه يحمل رأسه كما يحمل القسيس وعاء السر المقدس .

سان جوست : سأجعله يحمل رأسه كما حمله القديس دنيس(٥٣) .

روبسبيير : (يواصل القراءة) هل نصدق أن سترة المسيح النظيفة هي كفن فرنسا ، وأن أصابعه النحيلة المرتعشة التي يشير بها الى المنصة هي سكاكين المقصلة ؟ وأنت يابارير - أنت يامن قلت ان عملات النقود ستسك في ميدان الثورة(٥٤) ! ومع ذلك فلست أريد أن أنكش الكيس القديم(٥٥) . انه أرملة تزوجت نصف دستة من الرجال ونجحت في أن تقبرهم جميعا .. وهل لأحد يد في هذا ؟ انها موهبة طبيعية . انه يرى السحنة الابقراطية(٥٦) على وجوه الناس قبل موتهم بنصف سنة .. ومن الذي يحب أن يجلس مع الجثث ويشم العفن ؟

---

(٥٣) سان دنيس أو القديس ديونكس ، قطعت رأسه في باريس سنة ٢٧٣ .

(٥٤) أي ان كل رأس تسقط من رؤوس النبلاء انما تزيد الثورة قوة .

(٥٥) تلاعب بكنية بارير وهي فييساك (Vieuzac) (الأصح Vieux Sac) أي الكيس أو الشوال القديم .

(٥٦) اي يرى علامات الموت والانهيار على وجوههم ، من التعبير اللاتيني (Facies hyppocratica)

أنت كذلك يا كاميل ؟ ـ ليذهبوا جميعـــــا ! وبســــــرعة ! ان الأموات وحدهم هم الذين لا يرجعون · هل أعددت وثيقة الاتهام ؟ ·

ســـان جوســت : اعدادها ســـهل ·· لقد أشـــــرت اليه عند اليعاقبة ·

روبســــــــبيير : أردت أن أرعبهم ·

ســـان جوســت : على أن أنفذ فحسب ، المزورون(٥٧) سيقدمون البيضة ، والأجانب(٥٨) التفاحة · ـ سيموتون من هذه الأكلة · أعدك بهذا ·

روبســــــــبيير : اذن فلنسرع ! غدا ! لا نريد صراعا طويلا مع الموت ! لقد اشتدت حســــاسيتى فى الأيام الأخيرة · المهم أن نسرع ! (يخرج ســــان جوست)

روبســــــــبيير : (وحده) أجل ! المسيح الملطخ بالدماء · الذى يضحى ولا يضحى به · لقد خلصهم بدمه ، وأنا أخلصهم بدمائهم · جعلهم يذنبون ، وأنا أحمل الذنب على كتفى · أحس بلذة الألم ، وأنا أحس عذاب الجلاد · من منا الذى أنكر نفسه أكثر من صاحبه · أنا أم هو ؟ ـ ومع

---

(٥٧) اشارة الى المزورين الأربعة شابو بازير ، دى لونى وفابر دجلانتين الذين زوروا مرسوما يأخذون بمقتضاه مبالغ رشوة كبيرة عند تصفية شركة الهند الشرقية ·

(٥٨) هم الاجانب المعتقلون فى فرنسا وقد حوكموا مع دانتون واتباعه ·

ذلك ففى الفكرة نفسها نصيب من الحمق ٠
ـ لماذا نتطلع جميعا اليه وحده ؟ حقا ان ابن الانسان يصلب فينا جميعا ٠ كلنا يصارع فى بستان جتسمان(٥٩) فى عرقنا الذى يقطر دما ، ولكن لا أحد يخلص الآخر بجراحه ٠ ياحبيبى كاميل ! ـ انهم جميعا يتركوننى ـ كل شىء حولى وحشة وخراب ـ اننى وحيد ٠

(٥٩) بستان يقال ان صلب السيد المسيح تم فيه ٠

الفصـــل الثـــانى

حجـــــرة

دانتون ـ لاكروا ـ فيليبو ـ بارى ـ كاميل ـ
دى مولان

كاميـــــــــــــــل : أسرع يا دانتون · ليس لدينا وقت نضيعه ·

دانتـــــــــــــون : (يرتدى ملابسه) ولكن الوقت يضيعنا · ـ هذا شىء ممـــل الى أقصـــى حد ، أن نبدأ بالقميص ثم نلبس السروال فوقه ونتسلل الى الفراش بالليل ونتسلل منه فى الصباح ونقدم رجلا على الأخرى ، فلا يدرى الانسان كيف يمكن أن يتغير هذا كله ، هذا شىء محزن الى أقصى حد ، ويزيد من حزنه أن الملايين من الناس قد فعلوه من قبل ، وأن الملايين سيفعلونه فى المستقبل ، وأننا بالاضافة الى ذلك نتكون من نصـــفين يقـــومان بنفس الشىء بحيث يتضاعف كل فعل ـ انه شىء محزن حقا ·

كاميـــــــــــــــل أنت تتكلم كالأطفال تماما ·

دانتـــون : المشــــرفون على الموت يكونون فى الغالب كالأطفال ·

لاكـــروا : انك بترددك هذا تلقى بنفسك الى الهلاك وتشد كل أصدقائك معك · أبلغ الجبناء أن الوقت قد حان لكى يتجمعوا حولك ، ناد على سكان الوادى والجبل ! أطلق صــيحتك عن طغيان الديســمفير(١) ، تكلم عن الخناجر ، خاطب بروتوس ، وســوف تزلزل المنابر من الرعب وتجمع حولك حتى أولئك الذين يهددونهم بأنهم مشــتركون مع هيبير فى الجريمة ! يجب أن تطلق العنان لغضــبك · لا تتركنا على الأقل نموت منزوعى السلاح مهانين كما مات المخزى هيبير !

دانتـــون : ان ذاكرتك ضعيفة · لقد ســميتنى القديس الميت · وكنت صادقا أكثر مما تظن أنت نفسك ·· لقد كنت فى زيارة الاقسام ، كانت تبدو عليهم الهيبة والوقار ، ولكن كما تبدو على أهل الميت · اننى بقية عظام ، وبقايا العظام يلقى بها فى الطريق · كان معك الحق ·

لاكـــروا : لماذا تركت الأمور تصل الى هذا الحد ؟

دانتـــون : الى هذا الحد ؟ حقا ·· لقد أحسست بالملل من أن أتمشى دائما فى نفس الثوب وأضع على وجهى نفس التجاعيد! هذا شىء يثير الشفقة ·

---

(١) ذى الرجال العشرة ، وقد مر ذكرهم ··

أن تكون آلة بائسة ، يردد الوتر المشدود فوقها نفس النغمة ! ـ انه شيء لايحتمل أردت أن أيسر الأمر على نفسي · وقد وصلت الى هذا ، ان الثورة تحيلني على المعاش ، ولكن على غير ما كنت أتصور · ومع ذلك ، فعلام أستند ؟ ان عاهراتنا يستطعن أن يؤدين العمل الذى تقوم به الاخوات المتبتلات بجانب المقصلة ، ولست أعرف شيئا غير هذا · كل شيء يمكن أن يعد الآن على الأصابع : لقد أعلن اليعاقبة أن الفضيلة أصبحت فى جدول الأعمال ، وأتباع كور ديلييه يلقبونني جلاد هيبير ، والمستشار(٢) يكفر عن ذنبه ، والجمعية ـ ربما استطعنا أن نلجأ اليها ! ولكن سيأتي يوم مثل ٣١ مايو وحينئذ لن يرضوا بالتراجع · أن روبسبيير هو عقيدة الثورة ، ولا يجوز أن تمحى لا يصح أيضا أن يحدث هذا · اننا لم نصنع الثورة ، ولكن الثورة هى التى صنعتنا ·

وحتى اذا تم ذلك ـ انني أفضل أن تقطع رأسي على أن أتسبب فى قطع الرؤوس · لقد سئمت · ما الذى يدعونا نحن البشر الى أن نتصارع ؟ خير لنا أن نجلس بجانب بعضنا البعض وننعم بالهدوء · ان هناك غلطة ارتكبت

---

(٢) المقصود به شوميت ، زعيم المجلس القومى (الكومونه) وقد كان متفقا مع سياسة هيبير واتباعه ، ولكنه عارض التمرد الذى دبروه ·

عندما خلقنا ، هناك شيء ينقصنا لا أدرى كيف أسميه ولكننا لن نستطيع أن ننتزعه من احشائنا ، فلماذا نحاول أن نشق أجسامنا ؟ اذهبوا ! اننا كيماويون تعساء(٣) !

كاميـــل : وبصورة عاطفية اكثر حدة يمكن أن نسأل : الى متى تظل البشرية على جوعها الأبدى تفترس أعضاءها ؟ أو الى متى نظل نحن الذين تحطمت سفينتهم عطاشا نمتص دماء بعضنا بغير أن نرتوى ؟ أو الى متى نظل ، نحن أصحاب الجبر(٤) نبحث فى اللحم البشرى عن « س » المجهولة الممتنعة أبدا ونكتب مسائلنا بأعضاء ممزقة ؟

دانتـــون : أنت صدى قوى ..

كاميـــل : أليس كذلك ؟ ان طلقة المسدس تدوى كقصف الرعد . وهذا من مصلحتك . عليك أن تحتفظ بى دائما الى جوارك .

فيليبـــو : وهل تبقى فرنسا فى أيدى الجلادين ؟

دانتـــون : وما الضرر ؟ ان الناس مستريحون لهذا . انهم أشقياء الحظ ، وهل يطلب المرء اكثر من هذا لكى يكون عاطفيا ، نبيلا ، فاضلا أو

---

(٣) بالمعنى المعروف عن الكيمياء فى أوائل العصور الوسيطة ، أى السحر الأسود أو فن تحويل المعادن الى ذهب والبحث عن حجر الفلاسفة .. الخ .

(٤) نسبة الى علم الجبر ..

ساخرا ، أو لكى يتخلص تماما من الملل ؟ ــ وسواء بعد ذلك أن يموتوا بالمقصلة أو بالحمى أو بالشيخوخة ! مازال أمامهم أن يختاروا . فهم يدخلون وراء الكواليس يحركون أعضاءهم المرنة ويستطيعون قبل مغادرة المسرح أن يؤدوا حـــركات لطيفة ويســـتمعوا للمتفرجين وهم يصفقون لهم . هذا كله شىء جميل ومناسب لنا ، فنحن نقف دائما على خشبة المسرح ، وان كنا نطعن فى النهاية طعنة جادة . من الخير أن يختصر العمر قليلا، لقد كان الثوب طويلا جدا ، وعجزت أعضاؤنا عن ملئه .. ستصبح الحياة حكمة موجزة(٥) ، وهذا شىء لابأس به ، ومن لديه النفس أو الروح الذى يكفى لملحمة من خمسين أو ستين نشيدا ؟ لقد حان الوقت لنكف عن شرب القليل من عصير الروح(٦) من أحواض الغســـيل لنشربه من كئوس الخمرالمسكرة ، بهذا يمتلىء الفم ولولاه لما أمكننا أن نجمع بضـــع قطرات فى الاناء الغليظ . وأخيرا ــ ليتنى أستطيع أن أصرخ . هذا شىء لايستحق كل هذا العناء . والحياة

---

(٥) الكلمة الأصلية هى الابيجرام التى يصـــعب أن نجد لها ترجمة مناسبة فالابيجرام قصيدة قصيرة كان يكتبها اليونان على شواهد القبور ثم تطورت فأصبحت شكلا أدبيا مستقلا .

(٦) محاولة لترجمة « الاسنس » وهو خلاصـــة مشـــروب أو نوع من العطور .

لا تستحق الجهد الذى يبذله الانسان فى سبيل المحافظة عليها ٠

بـــــــارى : أهرب اذن يادانتون !

دانتـــــــون : هل يأخذ الانسان وطنه معه فى كعب حذائه ؟ وأخيرا ـ وهذا هو المهم ، فانهم لن يجرؤوا ٠ (لكاميل) تعـــال يا بنى ، قلت لك انهم لن يجرؤوا ٠٠ الوداع ٠٠ الوداع !

(دانتون وكاميل يخرجان)

فيليبـــــــو : انه ذاهب الى هناك ٠

لاكـــــــروا : ولا يؤمن بكلمة واحدة مما قاله ٠ ياللكسل ! انه يفضل أن تقطع رأسه على أن يلقى خطبة ٠

بـــــــارى : والعمـــل ؟

لاكـــــــروا : نذهب الى بيوتنا وندرس قضية محترمة مثلما فعل لوكرتسيا ٠

* * *

« نزهـــــة »

رجـــال ونســـاء فى نزهة

مـــــــواطن : حبيبتى جاكلين ـ أردت أن أقول كورز ٠٠٠٠ أردت كور ٠٠٠

سـيمون : كورنيليا ياموا‌طن ٠٠ كورنيليا ٠

المـواطن : حبيبتى كورنيليا فرحت قلبى بمولود صغير ٠٠

سـيمون : أهدت الجمهورية ولدا ٠

المـواطن : الجمهورية ؟ ولكن هذا تعبير عام جدا ٠ ربما أمكننا أن نقول ٠٠

سـيمون : بالضبط ، يجب أن يهب الفرد نفسه للمجموع ٠

المـواطن : آه ! نعم ! هذا ما تقوله زوجتى أيضا ٠٠

مغن متجـول : (يغنى) خبرونى ٠٠ خبرونى ٠٠

ما الذى يلقى الرجال

من نعيم أو هناء ؟

المـواطن : الاسم هو الذى يحيرنى الآن ٠

سـيمون : حمده على بيكى أو مارا !

المغنى المتجـول : من صباح لمساء

بين هم وعنـاء

وعذاب وشـقاء

المـواطن : أفضل أن تكون ثلاثة أسـماء ان العدد ثلاثة له دائما جاذبية خاصة ٠ ثم أريد أن يكون الاسم شيئا نافعا وصحيحا ٠ الآن وصلت اليه: فلوج(٧) ، روبسبيير ٠ والثالث ؟

---

(٧) فلوج (Pflug) هو المحراث بالالمانية ، أما (Pike) فهى نوع من الحراب الطويلة كان يستخدمه المشاه فى أواخر العصور الوسطى ، ولعل المقصود بهذه الأسماء هو معانيها قبل حروفها ٠

ســــــــــــيمون : بيكى ٠٠

المـــــــــــواطن : أشكرك ياجارى ، بيكى ، فلوج ، روبسبيير كلها أسماء لطيفة ، حلوة على اللسان ٠

ســــــــــــيمون : اســـمع كلامى ٠٠ ان ثدى زوجتك كورنيليا سيكون كضرع الذئبة الرومانية ٠٠ لا ، ليس هذا ما أريده : روسولوس(٨) كان طاغية ، لا ولا هذا أيضا ٠ (يسيران)

شـــــــــــحاذ : (يغنى) دى دنيا غرورة ، ودنيا زوال ٠٠

الهى ما تحتاج لذل السؤال ٠٠

يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب ٠٠

ما باقى من الدنيا غير التراب ٠٠

الســــيد الأول : أنت ياجدع ! اشتغل ! الشبع ظاهر عليك !

الســــيد الثانى : خذ ! (يعطيه قطعة نقود) يده ناعمة كالقطيفة شيء مخجل !

الشـــــــــحاذ : سيدى ! لماذا أشتغلت ؟

الســــيد الثانى : يا أحمق ! لأشترى الثوب الذى على ٠

---

(٨) يقال انه هو الذى أسس روما مع شقيقه التوأم ريموس وكان كذلك أول ملك لها ، كما يروى انه ألقى بهما فى الجبال بعد ولادتهما فأرضعتهما ذئبة ورباهما راع وزوجته ٠

الشحاذ : عذبت نفسك لتحصل على متعة · لأن مثل هذا الثوب متعة ·· يمكن أيضا أن توفرها لك الخرقة البالية ··

السيد الثاني : بالطبع · والا اصبحت الحياة مستحيلة ·

الشحاذ : ليتنى كنت أحمق ان هذا شيء يحقق التوازن ·· الشمس دافئة على الناصية ، والمسألة تتم ببساطة ·

(يغنى)

ما باقى من الدنيا غير التراب

يا أهل المروءة يا أهل الثواب

روزالى : (لاديدلادة) خذى بالك ! العساكر قادمون ! من أمس لم نضع شيئا فى بطوننا ·

الشحاذ : (يغنى) على الأرض بختى وآخر نصيبى

يا أهل المروءة ، يا أهل الثواب !

ياستات هوانم ، يازينة الشباب !

جندى : حاسب عندك ! الى أين يا أولادى ؟ (لروزالى) كم سنك ؟

روزالى : سنى من سن أصبعى الصغير ·

الجندى : لسانك حامى ·

روزالى : وأنت كلك صدا ·

الجندى : اذن أسن نفسى عليك ·

(يغني) :

ياحلوة ياقمورة

قولى لى ياشطورة

الجرح بيأذيكى

وبتشكى زى زمان ؟

روزالى : (تغنى)

لا أبداً ياحضرات

ياعساكر يا صولات

انا عايزة منه كمان

انا عايزة منه كمان !

(يظهر دانتون وكاميل)

دانتون : أليس هذا شيئاً ظريفاً ؟ ـ اننى أشم شيئاً فى الجو ، كأن الشمس تفرز الفحشاء والرذيلة ـ ألا يود الانسان أن يقفز وينزع سرواله عن جسده ويضاجعهم كالكلاب فى الحارة ؟

(يمران)

شاب : آخ يامدام ! لحن الناقوس ، ضوء المساء على الأشجار ، بريق النجم ..

المدام : عطر زهرة ! هذه الافراح الطبيعية ، هذه المتعة الخالصة التى توفرها الطبيعة ! (لابنتها)

انظرى ، يا أويجينى ، الفضيلة وحدها هى التى ترى هذا ٠

أويجينى : (تقبل يد أمها) آخ ياماما ! أنا لا أرى غيرك ٠

المـــــدام : ياطفلتى الطيبة !

الشـــــاب : (يهمس فى أذن أويجينى) هل ترين السيدة الجميلة التى تمشى هناك مع الرجل العجوز ؟

أويجينى : أنا أعرفها ٠

الشـــــاب : يقال ان حلاقها قص شـــعرها على طريقة الأطفال ٠

أويجينى : (تضحك) طول لسان !

الشـــــاب : الرجل العجـــوز يمشى بجوارها ، انه يرى البرعم يتفتح ويتنزه فى الشـــمس ويظن أن المطر هو الذى جعله ينمو ٠

أويجينى : قلة أدب ! يكاد وجهى يحمر من الخجل ٠

الشـــــاب : أما أنا فكان من الممكن أن يصـــفر وجهى ٠

(يخرجان)

دانتـــــون : (لكاميل) لا تقل أين الجد فى هذا ! اننى لا أفهم لماذا لا يقف الناس فى الحارة ويضحكون فى وجوه بعضهم البعض ٠ كان الواجب عليهم أن ينظروا الى النوافذ والقبور ويضحكوا ، وكان على السماء أن تنفجر من الضـــحك وتتمرغ الأرض على بطنها من الضحك ٠

(يخرجان)

الســـــيد الأول : أؤكد لك أنه اكتشـــاف خارق للعادة ! كل الصناعات والفنون سيتغير وجهها قريبا · ان الانسانية تسرع بخطوات جبارة الى مصيرها المجيد ·

الســـــيد الثانى : هل رأيت المسرحية الجديدة ؟ برج بابل ! خليط من الأقبية والسلالم والأروقة ، وكل هذا يرتفع فى الهواء فى خفة وجسارة · ان الانســـان يشعر بالدوار مع كل خطـوة · رأس عجيب (يقف مرتبكا) ·

الســـــيد الأول : ماذا جرى لك ؟

الســـــيد الثانى : آه ! لاشىء ! يدك ياسيدى ! النقرة ـ هكذا ! أشكرك كنت على وشك الوقوع فيها ، كان من الممكن أن يحدث شىء خطير ·

الســـــيد الأول : ولكنك لم تكن خائفا ؟

الســـــيد الثانى : نعم ! ان الأرض قشرة رقيقة ، أقول لنفسى دائما اننى قد أسقط فيها حيث يكون ثقب كهذا ·· يجب أن يطأها بحذر فقد تنزلق قدمه ·· ولكن لاتنس أن تذهب الى المسرح · اســـمع نصيحتى !

***

« حجـــــرة »

دانتون ـ كاميل ـ لوســـيل

كاميـــــــــــل : صدقونى انه لم يقدم اليهم كل شىء فى نسخ خشبية ، موزعة بين المسارح وصالات الموسيقى

ومعارض الرسم ٠ لم يستطيعوا أن يروا شيئا أو يسمعوا شيئا ٠ ان صنع أحد دمية يظهر الحبل الذى تشد منه وتطقطق مفاصلها مع كل حركة على الوزن اليامبى(٩) قالوا يالها من شخصية ! ياله من اتقان ! ان أخذ أحد احساسا ، أو عبارة ، أو فكرة وألبسها سترة وسروالا ، وجعل لها يدين ورجلين ولون وجهه وجعل المخلوق المسكين يتعذب ثلاثة فصول بأكملها حتى يتزوج أو يطلق النار على نفسه فى النهاية صاحوا ياله من مثل أعلى ! ان لحن أحدهم أوبرا تصور كيف ترتفع العواطف وتنخفض فى الوجدان كما تصور الصفارة صوت البلبل هتفوا آخ ! ياللفن ! ـ اترك الناس تغادر المسرح الى الحارة : ياللواقع المحزن ! ـ ان الفنان الردىء ينسيهم الفنان الأكبر ، فهم لايسمعون ولا يرون شيئا من الخليقة التى تتوهج وتفور وتضىء فيهم وحولهم ، وتخلق نفسها فى كل لحظة خلقا جديدا ، انهم يذهبون الى المسرح ويقرءون الأشعار والروايات ، ويقلدون المسخ التى يجدونها فيها ويقولون لمخلوقات الله : كم هى

---

(٩) أحد بحور الشعر يتألف من أربع تفعيلات قوامها مقطع قصير يتبعه مقطع طويل و من مقطع مشدد النطق يتبعه مقطع غير مشدد ٠

عادية ! ـ لقد فهم الاغريق ما كانوا يقولون حين رووا أن تمثال بيجماليون دبت فيه الحياة حقا ولكنه لم ينجب أطفال ٠

دانتـــــــون : والفنانون يعاملون الطبيعة معـاملة دافيد(١٠) الذى راح فى برود يرسم قتلى سبتمبر عندما ألقوا بهم من مغارة « الفورس » الى الشارع ويقول : اننى أسجل آخر اختلاجات الحياة فى هؤلاء الأشرار ٠

(دانتون يستدعى الى الخارج)

كاميـــــــل : ماذا تقولين يالوسيل ؟

لوســـــــيل : لاشىء ٠ أحب أن أنظر اليك وأنت تتكلم ٠

كاميـــــــل : هل تسمعيننى أيضا ؟

لوســـــــيل : بالطبع !

كاميـــــــل : هل أنا على حق ؟ أتعرفين ماذا قلت ؟

لوســـــــيل : فى الحقيقة لا ٠ (دانتون يعود)

كاميـــــــل : ماذا بك ؟

دانتـــــــون : قررت لجنة الاصلاح القبض على ٠ لقد حذرونى وعرضوا على مكانا ألجأ اليه ٠ انهم يريدون رأسى ، كما يحبون ٠ لقد سئمت الكســـل

---

(١٠) هو الرسام الشهير جاك لوى دافيد (١٧٤٨ ـ ١٨٢٥) وقد كان من انصار روبسبيير ٠ ولد فى باريس ومات فى المنفى فى بروكسل ٠

والاهمال . فليأخذوه اذا شاءوا . وما أهمية هذا ؟ سأعرف كيف أموت بشجاعة ، هذا أسهل من الحياة التى أعيشها .

كاميـــــــــل : دانتون . مازال الوقت أمامك !

دانتـــــــون : مستحيل .. ولكننى لم أكن أتصور ..

كاميـــــــــل : كســـلك !

دانتـــــــون : لست كسولا ، بل متعب ، ان قدمى ملتهبتان .

كاميـــــــــل : الى أين ؟

دانتـــــــون : نعم ، ومن يدرى ؟!

كاميـــــــــل : أنا لا أمزح . الى أين ؟

دانتـــــــون : أتنزه ياولدى ، أتنزه (ينصرف)

لوســـــــيل : آه ! كاميل .

كاميـــــــــل : اهدئى ياطفلتى المحبوبة !

لوســـــــيل : حين أتصور أن هذه الراس .. ! كاميل .. حبيبى ! هذا جنـــون .. أليس كذلك ؟ أنا مجنونة ؟

كاميـــــــــل : اهدئى . دانتون وأنا لسنا شخصا واحدا .

لوســـــــيل : الأرض واسعة ، وعليها أشياء كثيرة ـ لماذا اذن هذا الشىء بالذات ؟ من يجرؤ على أخذه منى ؟ سيكون شـــيئا محزنا . وما الذى سيفعلونه به ؟

كاميـــــــل : أكرر لك ماقلت : يمكنك أن تهدئى · لقد تكلمت أمس مع روبســـبيير : كان لطيفا معى · ان أعصابنا متوترة بعض الشىء · هذا صحيح · اختلاف فى الرأى · ولاشىء غير هذا ·

لوســــيل : اذهب اليه !

كاميـــــــل : لقد كنا نجلس على مقعد واحد فى المدرسة · كان دائما متجهما ووحيدا · أنا الوحيد الذى كنت أتحدث معه وأضحكه أحيانا · لقد كان دائما يظهر حبه لى · أنا ذاهب ·

لوســــيل : بهذه السرعة ياصديقى ؟ اذهب ! تعال ! هذه القبلة فقط ! (تقبله) وهذه اذهب ! اذهب ! (ينصرف) هذا زمن شرير · وهكذا الأيام · من الذى يملك تغييرها ؟ لابد من الصبر ·

(تغنى)

أنفترق ؟ ياويلتى ! أنفترق ؟

من الذى أوجد لفظ نفترق ؟

كيف خطر هذا على بالى ؟ كيف عرف الطريق من تلقاء نفسه ؟ لا ليس هذا علامة خير ـ عندما خرج خيل لى أنه لن يعود سيبتعد دائما عنى · دائما ·· كم تبدو الحجـــرة خالية ، النوافذ مفتوحة ، كأن ميتا كان يرقد فيها ·· اننى لا أحتمل البقاء هنا · (تنصرف)

« خـــــلاء »

دانتـــــون : لا أريد أن أواصل السير . لا أريد أن أزعج هذا السكون بثرثرة خطاى ولهاث أنفاسى .. (يجلس . بعد فترة صمت) لقد حكوا لى عن مرض يجعل الانسان يفقد ذاكرته . لابد أن الموت يشبهه فى هذا . ويراودنى الأمل أحيانا أن يكون أقوى أثرا وان يجعل الانسان يفقد كل شىء . لو كان الأمر كذلك ! ـ لجـــريت كمسيحى لأنقذ عدوا ، أعنى لأنقذ ذاكرتى .

لابد أن المكان مأمون ، لذاكرتى لا لى ، القبر أكثر أمانا ، فهو على الأقـــل يمنحنى النسيان . انه يقتل ذاكرتى . ولكن ذاكرتى تحيا هناك وتقتلنى . أنا أوهى ؟ الجـــواب سهل . (يقف ويعود من نفس الطريق) أنا أداعب الموت ، انه شـــعور ممتع أن يغازله الانسان على البعد بمنظار مكبر .. الحقيقة اننى لابد أن أضحك على التاريخ . ان الشعور بالبقاء هو الذى يقول لى : سيكون الغد وبعد الغد الى مالانهاية مثل اليوم . انها ضجة فارغة . يريدون أن يخيفونى ، لن يجرؤوا أبدا ! (يخرج)

***

« حجـــرة »

ـ ليـــل ـ

دانتـــــــــون : (وهو يطل من النـــافذة) أليس لهذا كله نهاية ؟ ألن ينطفىء النور ويخمد الصوت ؟ ألن ينتشر السكون والظلام حتى لا نسمع أو نرى خطايانا البشعة ــ سبتمبر !

جـــــــــولى : (تنادى من الداخل) دانتون : دانتون !

دانتـــــــــون : هيه ؟

جـــــــــولى : (تدخل) ماهذا الهتاف ؟

دانتـــــــــون : هل هتفت ؟

جـــــــــولى : كنت تتكلم عن الخطايا البشـــعة ، ثم تأوهت وقلت : سبتمبر !

دانتـــــــــون : أنا ؟ أنا ؟ لا · لم أتكلم · لم يخطر هذا على بالى · كانت مجرد أفكار خفية هامسة ·

جـــــــــولى : أنت ترتعش يادانتون !

دانتـــــــــون : كيف لا أرتعش والجـــدران تثرثر هكذا ؟ وجسدى قد تهشم الى حد أن أفكارى تتحدث قلقة حائرة بشفاه الأحجار ؟

جـــــــــولى : جورج ! جورج حبيبى !

دانتـــــــــون : أجل ياجولى · انه شىء غريب · لا أحب أن أفكر بعد الآن ، اذا كانت الأفكار تتكلم بهذه الطريقة · هناك ياجولى أفكار لايجب أن توجد الآذان التى تسمعها · ليس حسنا أن تصرخ عند ولادتها كما تصرخ الأطفال ، ليس حسنا ·

جـــــــــولى : ليحفظ الله عقلك ! ـ جورج ـ جورج ، هل تعرفنى ؟

دانتـــــــــون : ولم لا ؟ أنت انسانة وامرأة وأنت أخيرا زوجتى والأرض فيها خمس قارات أوروبا وآســـــيا وأفريقيا وأمريكا واستراليا ، واثنان مضروبين فى اثنين يساوى أربعة · اننى فى تمام عقلى · أرأيت · هل سمعتنى أصرخ : سبتمبر ؟ ألم تقولى شيئا كهذا ؟

جـــــــــولى : نعم يادانتون · ملأت الصرخة الحجرة كلها ·

دانتـــــــــون : عندما اقتربت من النافذة (يطل على الشارع) كانت المدينة هادئة وكل الأنوار مطفأة ··

جـــــــــولى : هناك طفل يصرخ بجوارنا ··

دانتـــــــــون : عندما اقتربت من النافذة ـ كانت صـــرخة الاستغاثة تدوى فى كل الحارات : سبتمبر !

جـــــــــولى : كنت تحلم يادانتون · عد الى نفسك !

دانتـــــــــون : أحلم ؟ ـ نعم ·· لقد كنت أحلم ومع ذلك فقد كان شيئا يختلف عن هذا ·

سأصفه لك حالا ـ رأسى المسكين ضعيف ـ حالا ! نعم · الآن وصلت اليه : كانت الكرة الارضية تلهث تحتى وهى تتذبذب وتهتز ، كنت قد أمسكت بزمامها كأنها جواد شرس ، ورحت أغوص بأعضاء ضخمة فى خصلات عرفها وأضغط بكل قوة على ضلوعها

·· كان رأسى يتدلى الى أسفل،وشعرى يرفرف فوق الهاوية · وهكذا وجدتنى أجر جرا الى الأعماق · هناك صرخات فى فزع وصحوت من النوم · اتجهت الى النافذة ـ وهنـاك سمعتها ياجولى ·

ماذا تريد هذه الكلمة منى ؟ لماذا تعود هى نفسها ؟ ما شأنى بها ؟ لماذا تمد نحوى يديها المخضـــبتين بالدماء ؟ لست أنا الذى أطلقها · ـ آه ! ·· ساعدينى ياجولى ! ان حسى قد تبلد ! ألم يكن ذلك فى ســـبتمبر ياجولى ؟

جـــــــولى : كان الملوك على بعد أربعين ساعة فقط من باريس ··

دانتـــــــون : وكانت القلاع قد سقطت ، والارستقراطيون فى المدينة ··

جـــــــولى : كانت الجمهورية قد أوشكت على الضياع ··

دانتـــــــون : نعم على الضياع ·· لم نستطع أن نترك العدو فى ظهورنا ، والا لكانت حماقة منا · كان هنالك عدوان يقفان على لوح واحد ، اما نحن أو هم ، والأقوى يطيح بالأضـــعف أليس هذا عدلا ؟

جـــــــولى : نعم ·· نعم ··

دانتـــــــون : ضربناهم الضربة القاضية ـ لم يكن ذلك قتلا، بل حربا من الداخل ·

جـــــــــولى : لقد أنقذت الوطن ٠

دانتـــــــون : نعم ، لقد أنقذت الوطن ، كنا فى حالة دفاع عن النفس ٠ كان لابد أن نفعل مافعلناه ٠٠ المخلص على الصليب هون الأمر على نفسه : لابد أن يأتى كدر ، ولكن الويل لمن يتسبب فى الكدر ! ـ لابد ! كل شىء جاء من هذه «اللابد» من يستطيع أن يلعن اليد التى نزلت عليها لعنة « لابد » ؟ من الذى نطق بهذه الكلمة ، من ؟ ما هذا الذى يكذب فينا ، ويفجر ، ويسرق ، ويقتل ؟ ـ نحن دمى ، تشدها قوى مجهولة من السلك المعلقة فيه ٠ لاشىء ٠ لسنا نحن أنفسنا ! فما نحن الا السيوف التى تتصارع بها الأشباح ـ لكن لا أحد يرى الأيدى التى تحملها ـ تماما كما يحدث فى الحواديت ـ الآن هدأت نفسى ٠

جـــــــــولى : هل هدأت تماما ، ياحبيبى ؟

دانتـــــــون : نعم ياجولى ـ تعالى الى الفراش !

* * *

شــــارع أمام بيت دانتون

سيمون ـ جنود من المواطنين

ســــــيمون : كم تقدم الليل الآن ؟

المــواطن الأول : ماذا فعل الليل ؟!

سيمون : أقول كم تقدم الليل ؟

المواطن الأول : مسافة ما بين شروق الشمس وغروبها ··

سيمون : يا وغد ! أسألك كم الساعة !

المواطن الأول : انظر الى الميناء ، فهو الوقت الذى يتوقف فيه البندول تحت اللحاف ·

سيمون : يجب أن نصعد اليه · هيا أيها المواطنون ! لقد تكفلنا لذلك برؤوسنا · حيا أو ميتا ! ان أعضاءه جبارة · سأتقدم أيها المواطنون ·· لنشق للحرية طريقا · اعتنوا بزوجتى ! سأترك لها اكليلا من فروع البلوط ·

المواطن الأول : أكليل من البلوط ؟ سيسقط كل يوم فى حجرها على كل حال من ثمره مايكفى(١١) ·

سيمون : الى الامام ، أيها المواطنون ! ستؤدون خدمة جليلة للوطن !

المواطن الثانى : ليت الوطن هو الذى يؤدى لنا خدمة ! من كل الثقوب التى خرمناها فى أجسام الناس ، لم يرتق ثقب واحد فى سراويلنا(١٢) ·

---

(١١) فى كلمة ثمر البلوط تلاعب لفظى ، ربما تختفى وراءه اشارة جنسية ·

(١٢) أى أن قطع الرؤوس لم يصلح من حال الشعب ولم يبدد من بؤسه وجوعه ·

المـــواطن الأول : هل تحب أن يستروا ثقوب سروالك ؟ ها ! ها ! ها ! ها !

الآخـــــــرون : ها ، ها ، ها !

ســـــــيمون : هيا ! هيا !

(يدخلون بيت دانتون)

(الجمعية الوطنية)

« جمـــاعة من الأعضـــاء »

ليجنـــــــدر : ألن يتوقف اذن ذبح الأعضاء ؟ من الذى يضمن الآن متى يسقط دانتون ؟

عضـــــــو : وما العمل ؟

عضـــو آخـــر : يجب أن يسمع صوته أمام الجمعية · ان نجاح هذه الوسيلة مؤكد ، وما الذى يستطيعون أن يردوا عليه ؟

عضـــو آخـــر : مستحيل · هناك قرار يمنعنا من ذلك ·

ليجنـــــــدر : يجب أن يسحب هذا القرار أو يسمح باستثناء خاص · سأقدم طلبا بذلك ، وســـأعتمد على تاييدكم ··

الـــــــرئيس : فتحت الجلسة ··

ليجنـــــــدر : (يصـــعد على المنصة) لقد ألقى القبض فى الليلة الماضية على أربعة من أعضاء الجمعية

الوطنية · وقد علمت أن دانتون هو أحد الذين تم القبض عليهم ، أما أسماء بقية الأعضـــاء فلا أعرفها · ليكن هؤلاء الأعضاء من يكونون، فكل ما أطالب به أن تسمع أقوالهم أمام الجمعية ·· أيها المواطنون ، هأنذا أعلنها صـــريحة أمامكم : أننى أعد دانتون طاهر النفس مثلى تماما ، ولا أظن أن هناك أى مأخذ يمكن أن يوجه الى · لا أريد أن أتهم أحدا من أعضاء لجنة الاصــــلاح أو لجنة الأمن ، ولكن هناك أسبابا تجعلنى أخشى أن يكون الحقد الشخصى والعواطف الشخصية هى التى دفعت البعض الى أن ينتزعوا من الحـــرية رجالا أدوا لها أعظم الخدمات · ان الرجل الذى أنقذ فرنسا فى سنة ١٧٩٢ بعزيمته يستحق أن تسمع أقواله يجب أن يكون من حقه الدفاع عن نفسه اذا اتهمه أحد بالخيانة العظمى · (اضطراب بين الأعضاء) ·

بعض الأصــوات : نحن نؤيد اقتراح ليجندر ·

أحـد الأعضـــاء : نحن هنا باسم الشعب ، ولا يستطيع أحد أن يقصينا عن أماكننا الا بأرادة ناخبينا ·

عضـــو آخـــر : كلماتكم تفوح منها رائحـــة الجثث ، لقـد أخذتموها من أفواه الجيروندبيين · هل تريدون امتيازات ؟ ان بلطة القانون تحوم فوق كل الرؤوس ·

عضـــو آخـــر : لايمكننا أن نسمح للجان بأن تنتزع مشرعينا من ملجأ القانون لتبعث بهم الى المقصلة ·

عضـــو آخـــر : الجريمة لا ملجأ لها · المجرمون المتوجون هم وحدهم الذين يلجئون الى عروشهم ·

عضـــو آخـــر : الأشـــرار وحدهم هم الذين يطالبون بحق الالتجاء ·

عضـــو آخـــر : والقتلة وحـــدهم هم الذين لا يعترفون بهذا الحق ·

روبســـبيير : ان الاضطراب الغريب الذى يسود هذا الجمع من وقت طويل يثبت أن الأمر يتعلق بقضـــايا خطيرة · سوف يتقرر اليوم ان كان من حق بعض الرجال ان يفرحوا بالانتصار على الوطن - كيف يمكنكم أن تذهبوا فى التنكر لقوانينكم الى حد أن تمنحوا اليوم بعض الأفراد مامنعتموه بالأمس عن شابو وديلوناى وفابر ؟ ما معنى هذه التفرقة لصـــالح بعض الرجال ؟ وماذا تعنينى المدائح التى يغدقها البعض على أنفسهم وأصحابهم ؟ ان التجارب الكثيرة التى مرت بنا علمتنا أن نتبين قيمتها على حقيقتها · اننا لا نسأل ان كان الرجل قد قام بهذا العمـــل البطولى أو ذاك ، وانما نســأل عن تاريخه السياسى كله - يبدو أن ليجندر لا يعـــرف أسماء المعتقلين ، بينما تعرفهم الجمعية كلها ·· ان صـــديقه لاكروا واحد منهم · لماذا يتظاهر بأنه لا يعرف هذا ؟ لأنه يعلم تمام

العلم أن الوقاحة وحــــدها هى التى يمكنها الدفاع عن لاكروا . انه لم يذكر الا اســـم دانتون لاعتقـــاده أن هذا الاســـم يرتبط به امتياز معين . لا . نحن لا نريد امتيازات ، نحن لا نريد أصناما ! (تصفيق) ماهو فضل دانتون على لافاييت وديمورييه وبرسو وشابو وهيبير ؟ ماذا يمكن أن يقال عن هؤلاء ولايقال عنه ؟ هل أبقيتم عليهم ؟ ما الذى يميزه عن مواطنيه ؟ ألأن بعض المخـــدوعين فيه وبعض الذين لم يستطع خداعهم قد اصــــطفوا حوله لكى يلقى بهم فى أحضان السعادة والسلطة ؟ بقدر ما خدع الوطنيين الذين وضـــــعوا ثقتهم فيه ، يجب أن يحس بقسوة أصدقاء الحرية .

يريد البعض أن يبث فى قلوبكم الخوف من سوء اســتعمال الســـــلطة التى مارستموها بأنفسكم . انهم يصرخون من استبداد اللجان، وكأن الثقـــة التى أهـــــداها الشـــــعب اليكم ووضعتموها فى هذه اللجان لاتكفى لكى تكون ضمانا أكيدا على وطنيتكم . انهم يصورونكم وكأنكم ترتعشون . ولكننى أقول لكم ان من يرتعش فى هذه اللحظة فهو مذنب ، لأن البراءة لاترتعش أبدا أمام يقظة الشعب (تصفيق عام) لقد أرادوا أيضا أن يرهبونى ، حـــاولوا أن يفهمونى أن الخطـــر الذى يقترب من دانتون يمكن أيضا أن يصـــــل الى . لقد كتبوا الى يقولون ان أصدقاء دانتون يحاصروننى ، ظنا

منهم أن ذكريات صــداقة قديمة أو الايمان الأعمى بالفضــائل الخادعة يمكن أن تجعلنى أخفف من حماسى وعاطفتى للحرية • ولكن هأنذا أعلنها أمامكم : ليس هناك شيء يمكنه أن يقف فى طريقى ، ولو تعرضت للخطر الذى يتعرض له الآن دانتون • نحن جميعا فى حاجة الى شيء من الشـــجاعة والكبرياء • ان المجرمين والسفلة هم الذين يخافون أن يروا أشباههم يسقطون الى جانبهم ، لأنهم اذا انفض شركاؤهم الذين يتخفون بينهم وجدوا أنفسهم يواجهون نور الحقيقة • واذا كان أمثال هؤلاء موجودين فى هذا الاجتماع ، ففيه كذلك غيرهم من الأبطال • ان عدد الأوغاد ليس كبيرا ، لم يزل أمامنـــا بعض الرؤوس التى يجب أن نقطعها وبذلك ننقذ الوطن • (تصفيق) اننى أطالب برفض اقتراح ليجندر • (يقف الأعضاء جميعا علامة الموافقة) ••

ســان جوســت : يبدو أن فى هذا الجمـــع بعض الآذان التى لا تتحمل ســـماع كلمة « الدم » • ان بعض الخواطر العامة قد تقنعهم بأننا لســنا أقسى من الطبيعة ولا أفظع من الزمان • ان الطبيعة تخضع فى هدوء وبغير مقاومة للقوانين التى تتحكم فيها ، وحيثما دخل الانسان فى صراع معهـــا قضى عليه • ان تغييرا يطــرأ على العناصر المكونة للهواء ، أو تأججا فى النار الكامنة فى جوف الأرض ، أو تذبذبا فى توازن

كتلة من المياه ، أو وباء أو انفجارا بركانيا أو فيضانا يمكنها جميعا أن تدفن ألوف البشر .. وماهى النتيجة ؟ تغيير تافه لايكاد يلاحظ فى مجموع الطبيعة الفزيائية ، تغيير كان من الممكن الا يترك وراءه أثرا لو لم توضع الجثث فى طريقها . اننى أسأل الآن : هل ينبغى على الطبيعة العاقلة فى ثوراتها أن تعطى للحياة من الاعتبار أكثر مما تفعل الطبيعة الفزيائية ؟ أليس من حق الفكرة كما هو من حق القانون الطبيعى أن تقضى على كل ما يقف فى طريقها؟ الا يجوز لحدث يغير بناء الطبيعة الأخلاقية كله ، أعنى يغير البشرية أن يتم عن طريق الدم؟ ان الروح الكونى يستخدم أذرعنا فى مجال العقل ، بمثل مايستخدم البركان والفيضانات فى مجال الطبيعة . وما أهمية أن يموت الناس بالوباء أو يموتوا بالثورة ؟!

ان خطوات البشرية بطيئة جدا ، ولا نستطيع أن نعدها الا بالقرون ، ووراء كل خطوة ترتفع قبور أجيال . ان الوصول الى أبسط الاكتشافات والمبادىء قد كلف الملايين من الناس حياتهم لكى يصلوا اليها . أليس من الطبيعى اذن أن تتقطع أنفاس بعض الناس فى وقت تتحرك فيه عجلة التاريخ بسرعة أكبر ؟ من هذا نستنتج بسرعة وبساطة : ان الجميع ماداموا قد خلقوا فى نفس الظروف ، فهم جميعا متساوون ، ولا

تقلل من ذلك الفروق التى أوجدتها الطبيعـــة بنفسها · ولذلك فلكل انسان أن يتمتع بفضائل تميزه من غيره ولكن ليس له أن يستأثر بحقوق يحرم منها سواه ، سواء فى ذلك الفرد أو الفئة الصغيرة أو الكبيرة من الأفراد – ان كل فقرة من هذه العبارة التى طبقت فى الواقع قد قتلت عددا من الناس وأيام ١٤ يولية و ١٠ أغسطس و٣١ مايو هى عـــلامات التنقيط فيها · لقد احتاجت الى أربع سنوات لكى تنفذ فى العالم المادى ، ولو كنا فى ظروف عادية لاحتاجت الى قرن من الزمان والى أجيال عديدة لتضع فيها النقط على الحروف · فهل من العجيب اذن أن يلفظ نهر الثورة جثثه عند كل تقاطع أو عند كل منحنى جديد ؟

ان علينا أن نضـــيف الى عبارتنا بعض النتائج ، فهل تمنعنا من ذلك بضع مئات من الجثث ؟ لقد قاد موسى قومه فشق بهم البحر الأحمر وعبر بهم الصحراء ، حتى قضى على الجيل القديم الفاسد واستطاع أن يقيم الدولة الجديدة · أيها المشرعون ! نحن لا نملك البحر الأحمر ولا الصـــحراء ولكننا نملك الحرب والمقصلة !

ان الثورة أشبه ببنات بلياس(١٣) · فهى

(١٣) ملك تروى عنه الأساطير الاغريقية أن بناته مزقنه اربا وطبخنه بحجة اعادة الشباب اليه ···

تمزق البشرية اربا لكى تعيدها شابة من جديد ·· ان البشرية ستخرج من مرجل الدم كما خرجت الأرض من الطوفان فتبعث بأعضاء قوية شابة ، وكأنها خلقت لأول مرة ·

(تصفيق حاد متصل · بعض الأعضاء يأخذهم الحماس فيقفون)

اننا نطلب من كل اعداء الطغيان المنتشرين فى أوروبا وعلى سطح الأرض كلها ، أولئك الذين **يخفون خنجر بروتوس تحت ثيابهم** ، نطلب منهم أن يشاركونا فى هذه اللحظة المجيدة ·

(ينشد الأعضاء وجمهور المستمعين النشيد الوطنى الفرنسى « المرسلييز ») ·

الفصـــل الثـــالث

(سجن اللوكسمبورج ـ قاعة بها مساجين)

(شوميت ـ بين ـ مرسييه ـ هيرو دى سيشيل ومساجين آخرون)

شـــــــــوميت : (يشد بين من كمه) اسمع يابين ، قد يكون الأمـــــر كما تقول ، فهكذا تسـلط على هذا الاحساس منذ قليل · أشعر اليوم بصداع · أرجوك أن تساعدنى قليلا بحججك المنطقية · اننى أحس بانقباض فظيع ·

بـــــــــين : تعال اذن أيها الفيلســـوف أناكساجوراس(١) سوف أعلمك على طريقة السؤال والجواب(٢)

---

(١) اشـارة الى أناكســا جوراس (حوالى ٤٢٧ ـ ٤٩٩ ق·م) من كلازومنياى ، فيلسوف وعالم طبيعى اغريقى كان صديقا لبريكليس ، فسر النشوء والفساد بأنهما تركيب وتحلل العناصر الاولية غير المتناهية فى العدد والصغر ، وقال بالعقل (نوس) مبدأ أول للوجود ·

(٢) التعبير الأصلى هو « الكاتشية » (Katschismus) وهى نوع من التعليم الدينى على طريقة السؤال والجواب ·

ليس هناك اله ، لأنه اما أن يكون الاله قد خلق العالم أولا يكون قد خلقه . فان لم يكن قد خلقه ، فالعالم يحمل علته فى ذاته ، وبذلك لا يكون هناك اله ، لأن الاله لا يكون الها حتى يحمل فى ذاته علة الوجود كله . ولكن لايمكن أن يكون الاله قد خلق العالم ، لأنه اما أن تكون الخليقة أزلية مثل الاله ، واما أن تكون لها بداية . فاذا صح الفرض الأخير فلابد أن يكون الاله قد خلقها فى لحظة زمنية محددة . يتحتم اذن أن يكون الاله قد أصبح فى وقت من الأوقات فعالا ، بعد أن استراح زمنا يمتد كالأزل أى يتحتم أن يكون قد عانى نوعا من التغيير فى ذاته يسـمح بتطبيق فكرة الزمن عليه ، وكلا الأمرين مخالف لماهية الاله .. لا يمكن اذن أن يكون الاله قد خلق العالم .. والا ما كنا نعلم الآن بوضوح تام أن العالم أو أن ذاتنا على الأقل موجودة ، وأنها بحسب ما تقدم لابد أن تحمل علتها فى ذاتها أو شيء آخر ليس هو الاله ، فلا يمكن تبعا لذلك أن يكون هناك اله . وهو ما أردنا اثباته(٣) .

شـــميت : صدقت . ان هذا يضيء لى الطريق من جديد أشكرك . أشكرك !

---

(٣) هذه العبارة مكتوبة فى الأصل باللاتينية
(Quod erat demonstrandum.)

مرســــــــــييه : مهلا يا بين ! ولكن ماقولك اذا كانت الخليقة أزلية ؟

بـــــــــــين : عندئذ لاتكون خليقة ، عندئذ تكون هى والاله شيئا واحدا أو تكون صفة من صفاته كما يقول اســـبينوزا ، بذلك يكون الاله قد حل فى كل شىء ، فيك ، أيها المحترم ، وفى الفيلســوف أنكساجوراس وفى · لو حدث هذا فلن يكون الأمر سيئا كما تتصور ، ولكن لابد أن تعترف بأنه لا يشرف الجلالة السماوية أن يحس الاله فى كل واحد منا بألم فى الاسنان أو يصاب بمرض تناسلى ، أو يدفن حيا أو يتخيل على الأقل أفظع التصورات عنها ·

مرســــــــــييه : ولكن لابد مع ذلك أن تكون هناك علة ·

بـــــــــــين : ومن الذى ينكر هذا ؟ ولكن من الذى يقول لك ان هذه العلة هى ما نتصور أنه هو الاله أى ما نتصور أنه الموجود الكامل ؟ هل تعتقد أن العالم كامل ؟ ·

مرســــــــــييه : لا ·

بـــــــــــين : كيف تريد اذن أن تستدل من المعلول الناقص على وجود العلة الكاملة ــ ان فولتير لم يجسر على افساد الأمر بينه وبين الاله ولا بينه وبين الملوك ، ولذلك فقد فعلها · ان من لا يملك غير العقل ومع ذلك لا يعرف أو لا يجد الشجاعة التى تجعله يستخدمه استخداما منطقيا فهو غشاش ومضلل ·

مرســـــــــيه : أريد أن أسأل سؤالا غير هذا : هل يمكن أن يكون للعلة الكاملة معلول كامل ؟ أعنى هل يمكن لموجود كامل أن يخلق موجودا كاملا ؟ أليس هذا مستحيلا ، لأن المخلوق لا يمكن أن يحمــــل علته فى ذاته ، وهو الأمر الذى يدل على الكمال كما قلت ؟

شـــــــــوميت : اسكت ! اسكت !

بــــــــــين : هدىء نفسك يافيلسوف ! ـ ان الحق معك ، ولكن اذا كان من الضرورى أن يخلق الاله واذا لم يكن فى اســــــتطاعته أن يخلق غير الموجودات الناقصــة ، فأولى به أن يترك كل شىء على ماهو عليه · أليس طبعا بشـــريا خالصا ألا نستطيع تصور الاله الا من جهة الخلق ؟ · ألاننا ننفعل دائما ونهذى لكى نقول لأنفسنا نحن موجودون يتحتم علينا أيضا أن نلصق هذه الحاجة التعيســـة بالاله ؟ ـ هل يتحتم علينا ، حين تستغرق روحنا فى حقيقة كائن سعيد أزلى مكتف بنفسه ومنسجم مع نفسه أن تفترض دائما أنه لابد أن يمد أصبعه ويجبل من العجين بشرا صغارا ؟ عن حاجة مفرطة الى الحب ،كما نتهامس بذلك فى آذان بعضنا البعض ؟ هل من الضرورى أن نفعل هذا كله لمجرد أن نجعل من أنفسنا ابناء للآلهة ؟ اننى أفضل أن أقنع بإله أضعف شأنا ، فأنا على أقل تقدير لن أستطيع أن أقول عنه انه قد أنشأنى فى حظائر الخنازير أو بين عبيد الحرب المقيدين

على أسطح السفن القديمة ٠ تخلصوا من كل الموجودات الناقصة ، وعندئذ تستطيعون أن تثبتوا وجود الاله ، لقد حاول اسبينوزا ذلك ٠

قد يستطيع الانسان أن ينكر وجود الشر ، ولكنه لن يستطيع أن ينكر وجود الألم ، العقل وحده يمكنه أن يبرهن على وجود الاله ، أما الشعور فيحتج عليه ٠ انتبه يا انكساجوراس : لماذا أتعذب ؟ ان هذه هى صخرة الالحاد ٠

ان أقل رعشة ألم ، ولو كانت فى ذرة ضئيلة تحدث صدعا فى الخليقة من أعلاها الى أسفلها ٠

مرسييه : والأخلاق ؟

بين : انكم تبدءون باثبات وجود الاله عن طريق الأخلاق ، ثم تثبتون وجود الأخلاق عن طريق الاله ــ فماذا تريدون اذن بأخلاقكم هذه ؟ أنا لا أعرف أن كان هناك شر أو خير فى ذاته ، ولا أجد لذلك داعيا لتغيير سلوكى ٠ اننى أتصرف بما يوافق طبيعتى ، فكل مايتلاءم معها فهو عندى خير وأنا أفعله ، وكل ما يتعارض معها فهو عندى شر ولا أقربه بل أدفعه عن نفسى اذا وقف عقبة فى طريقى ٠ انك تستطيع، كما يقولون ، أن تظل على أخلاقك الفاضلة وأن تدافع عن نفسك ضد الرذيلة ، بغير أن يلزمك ذلك باحتقار خصومك وهو كما تعلم احساس مؤسف ٠

شـــــــوميت : صادق ، عين الصدق !

هــــــــيرو : ونســـتطيع أيضـــا ، يا أيها الفيلســـوف أنكساجوراس ، أن نقول : لأجل أن يكون الاله كل شيء فلابد كذلك أن يكون الضد من ذاته ، أى أن يكون كاملا وناقصا ، وخيرا وشريرا ، وسعيدا وشقيا ، وســـتكون النتيجة بالطبع مساوية للصفر ، وسيلغى نفســـه بنفســـه ، وســـنصل فى النهاية الى العدم · ــ افرح يا انكســـاجوراس ، فســـوف تنجو بنفسك ! انك تستطيع وأنت مطمئن أن تتعبد فى مدام مومورو[٤] أنفس تحفة أخرجتها الطبيعة ، فهى على أقل تقـــدير قد تركت أكاليل الورد التى تثبت ذلك فى جنبيك[٥] ·

شـــــــوميت : أشكركم من صميم قلبى ، ياسادتى ! (يخرج)

بــــــــــــدين : انه لم يطمئن بعد ، سيطلب فى النهاية حسن الختام فيلتمس البركة من الكنيســـة ، ويمد قدميه ناحية القبلة ، ويطاهر نفسه ، لكى لايفوته طريق واحد ·

(يدخل الحراس دانتون ، ولاكروا ، وكاميل وفيلبيو)

---

(٤) هى زوجة الطباع مومورو الذى أعـــدم مع هيبير ، وكانت فاتنة الجمال الى حد أن شوميت صورها فى كتابه « عبد العقل » واحدة من ربات الجمال ·

(٥) المقصود هو القروح التى تتركها الأمراض التناسلية فى هذا الموضع من الجسم ·

هيرو : (يندفع الى دانتون ويعانقه) صباح الخير ! لا بل يجب أن أقول مساء الخير لا أستطيع أن أسألك كيف نمت ـ كيف سننام ؟

دانتون : حسن · يجب على الانسان أن يذهب الى الفراش وهو يبتسم ··

مرسييه : (لبين) هذه الكلمة التى تحمل أجنحة الحمام! انه روح الثورة الشرير · لقد تجرأ على أمه . ولكنها كانت أقوى منه ·

بين : ان حياته وموته كلاهما نكبة فظيعة ·

لاكروا : (لدانتون) لم أتصور انك ستأتى بهذه السرعة ·

دانتون : كنت أعلم ، وقد حذرونى ·

لاكروا : ولم تقل شيئا ·

دانتون : عن أى شيء ؟ ان موت الفجأة هو أفضل أنواع الموت · هل كنت تريد أن تمرض قبله ؟ ثم اننى ـ لم أتصور أنهم يمكن أن يجرؤوا على ذلك · (لهيرو) الأفضل ان يرقد الانسان فى جوف الأرض على أن يمشى فوقها بقدمين متورمتين ، وأنا أحب أن تكون الأرض مخدتى على أن تكون الكرسى الذى أجلس عليه ·

هيرو : على الأقل لن تداعب خدى السيدة الجميلة التى يسمونها « الفساد » بأصابع مشققة ·

كاميل : (لدانتون) لا تتعب نفسك ! تستطيع أن تخرج لسانك الى أقصى مسافة تشاء ، فلن يمكنك أن

تلعق عرق الموت الذى يتصبب على جبينك ..
آه يالوسيل ! هذه تعاسة فظيعة !

دانتـــــــــون : (لبين) ان ما قدمته لخير بلدك ، قد حاولت أنا أيضا أن أقدمه لبلدى . كنت أقل منك حظا . وهاهم يرسلوننى الى المقصـــلة ، ليفعلوا ما يشاءون ، فلن أتعثر ..

مرســــــــــييه : (لدانتون) ان دم الاثنين والعشرين يغرقك .

ســـــــــجين : (لهيرو) ان قوة الشـــعب وقوة العقل شىء واحد .

ســـجين آخـــر : (لكاميل) والآن ، يامدعى الشنق العام ، ان اصلاحك للاضاءة فى الشوارع لم يزد الأمور وضوحا فى فرنسا(٦) .

ســـجين آخـــر : دعوه ! فهاتان هما الشفتان اللتان نطقتا بكلمة « الرأفة » (يعانق كاميل ، ويتبعه فى ذلك عدد كبير من المساجين)

فيليبـــــــــــو : نحن كهنة صلينا مع أموات ، لقد أصـــابتنا العدوى وها نحن نموت بنفس الوباء .

بعض الأصـوات : ان الضربة التى تصيبكم ستقتلنا جميعا .

كاميـــــــــــل : سادتى ! اننى أرثى لجهـــودنا التى لم تؤت ثمرة .

---

(٦) يتلاعب المؤلف هنا بالكلمة التى تدل على المشنقة والمصباح فى آن واحد Lateme كما سبقت الإشارة الى ذلك .

٠٠ الآن أذهب الى المقصلة لأننى نظرت الى مصير بعض الأشقياء فابتلت عيناى بالدموع ٠

« حجـــــرة »

(فوكييه ـ تانفيــل ـ هرمـــان)

فوكييــــــــه : هل أعددت كل شىء ؟

هرمـــــــــان : سيكون من الصعب تنفيذ خطتنا ٠ لو لم يكن دانتون بينهم لتم الأمر بسهولة ٠

فوكييــــــــه : يجب أن نبدأ به ٠

هرمـــــــــان : سيبث الرعب فى قلوب المحلفين ٠ انه هو خيال الصحراء(٧) الذى يخيف الثورة ٠ هناك وسيلة ولكنها ستكون انتهاكا للشكل القانونى ٠

فوكييــــــــه : هات ماعندك !

هرمـــــــــان : من رأيى الا نختـــار بالقـــرعة ، بل ننتقى المضمونين منهم ٠

فوكييــــــــه : يجب أن يتم هذا ٠ ـ يجب أن نشـــغل النار المطلوبة على الذور ٠ انهم تسعة عشر وهم خليط ممتـــاز ٠ المزيفون الأربعة ، ثم بعض رجال البنوك والأجانب ٠ ستكون محكمة مثيرة ٠

---

(٧) أو خيال المآتة (الناطور) ٠

الشعب دائما فى حاجة الى مثل هذا . ـ علينا اذن بمن يعتمد عليها ! من على سبيل المثال ؟

هرمـــان : ليروا . انه أصم ولا يسمع لذلك شيئا من كل ما يقوله المتهمون . يستطيع دانتون أن يصرخ أمامه حتى يبح صوته !

فوكييـــه : عظيم جدا ، ومن غيره ؟

هرمـــان : فيلات ولوميير . احدهما يجلس دائمـــا فى الخمارة ، والآخر ينام على الدوام ، وكلاهما لا يفتح فمه الا ليقول « مذنب » ! وجيرار يسير على المبدأ القائل بأن من يقدم للمحاكمة لايجوز أن يفلت من العقاب . وريذواذان .

فوكييـــه : وهذا أيضا ؟ لقد ساعد مرة بعض القسس على الافلات من المقصلة .

هرمـــان : اطمئن . لقد جاء الى منذ أيام وطـــالب بأن نفصد بعض الدماء من المحكوم عليهم قبـــل تنفيذ الاعدام فيهم، لكى يصابوا قليلا بالضعف والهمود ، انه ســـاخط على موقف العنـــاد والتحدى من جانبهم .

فوكييـــه : آه ، عظيم جدا . اذن فأســـتطيع الاعتماد عليك ؟

هرمـــان : اترك لى حرية التصرف !

* * *

الكونسييرجيرى .. ممـر

(لاكروا ـ دانتون ـ مرسييه وغيرهم من المساجين يقطعون الممر جيئـة وذهـابا)

لاكـروا : (لأحد المساجين) ماذا ؟ كل هؤلاء التعساء ، وفى مثل هذا البؤس ؟

السـجين : ألم تقل لك العربات المسرعة الى المقصلة ان باريس قد أصبحت مجزرة ؟

مرسـييه : ألست معى يالاكروا ؟ ان المساواة تهز منجلها فوق كل الرؤوس ، وحمم الثورة تسـيل ، والمقصلة تنشر مبادىء الجمهورية ! الجمهور يصـفق ، والرومان يفركون أيديهم ، ولكنهم لايدرون ان كل كلمة من هذه الـكلمات هى حشرجة ضحية . ابحثوا وراء كلماتكم حيث تجسدت انظروا حولكم ، نقد نطقتم بهذا كله انه محـاكاة لكلماتكم بالايماءات وتعبيرات الوجوه . هؤلاء التعساء وجلادوهم والمقصلة التى ستقطع رؤوسـهم هم خطبكم التى دبت فيهـا الحيـاة . لقد بذيتم نظمكم كما بنى بايزيد[٨] أهرامه من رؤوس الناس .

دانتـون : صدقت ـ ان كل الأعمال فى هذه الأيام تسجل على لحم البشر . هذه هى لعنة العصر ..

---

(٨) سلطان تركى (١٣٤٧ ـ ١٤٠٣) فتـح آسيا الصـغرى وهزم المسيحيين فى نيكوبوليس (١٣٩٦) . أمر بذبح ثلاثة آلاف أسير حرب تعبيرا عن سخطه للخسائر التى فقدها فى تلك المعركة .

وسوف يستهلك جسدى أيضا · لقد انقضت سنة على انشاء محكمة الثورة · اننى أرجو من الله والناس أن يغفروا لى ذلك · أردت الا تتكرر حوادث سبتمبر وما جرى فيها من جرائم القتل البشعة ، رجوت أن أنقذ الأبرياء، ولكن هذا القتل البطىء بكل اجراءاته الشكلية أكثر بشاعة وهو مثله لايمكن تلافيه · سادتى ، لقد كنت أرجـــو أن أخرجكم جميعاً من هذا المكان ·

مرســــــــيه : آه ! وسنخرج منه حتما ·

دانتـــــــــون : **أنا الآن معكم · الســـماء وحدها تعلم كيف** سينتهى هذا كله ·

* * *

محكمة الثـــورة

هرمـــــــــان : (لدانتون) ما اسمك ، أيها المواطن ؟

دانتـــــــــون : **الثورة تعرف أسمى · عما قريب سيكون سكنى** فى بيت العدم واسمى فى بانثيون(٩) التاريخ ·

هرمـــــــــان : دانتون ! المجلس يوجه اليك تهمة التآمر مع

---

(٩) البانثيون : معبد مقام لجميع الالهه ، وبخاصة فى روما القديمة ، وفى باريس معبد تذكارى مشهور بهذا الاسم يضم رفات العظماء والمشاهير ·

ميرابو وديمورييه وأورليـــانز والجيروندبين والأجانب وأتباع لويس السابع عشر(١٠) ٠

دانتـــــــــون : ان صوتى الذى كثيرا ماسمعتموه يدوى دفاعا عن قضية الشـــعب سيرد هذا الافتراء بغير عناء ٠ ليظهر هؤلاء التعساء الذين يتهموننى ، وســـوف ألطخهم بالعار ٠ ليحضـــر أعضاء اللجان الى هنا ، فلن أرد على الأســـئلة الا أمامهم ٠ اننى فى حاجة اليهم كمتهمين وشهود فعليهم أن يظهروا ٠

ومع ذلك ، فماذا يهمنى منكم ومن حكمكم؟ لقد سبق أن قلت لكم ان العدم سيكون عما قريب ملجئى ٠ ــ لقد أصبحت الحياة عبئا على ، فلتنزعوها عنى ان شئتم لأنى فى شوق أن أنفضها عن نفسى ٠

هرمـــــــــان : دانتون ٠ ان الجســـارة من طبيعة المجرم ، والهدوء من طبع البرىء ٠

دانتـــــــــون : أن الجسارة الفردية تستحق اللوم بغير شك ، اما تلك الجسارة الوطنية ، التى طالما أبديتها وطالما كافحت بها فى سبيل الحرية ، فهى أرفع الفضائل وأعظمها شأنا ٠ انها جسارتى أنا ،

---

(١٠) هو لويس فيليب امير أورليانز ، وقد أصبح منذ عام ١٧٨٩ عضوا فى الجمعية الوطنية ثم فى المجلس الوطنى تحت اسم فيليب ايجـــاليتيه (المساواة) ٠ صوت بالموافقة على أعدام لويس السادس عشر ، ثم اتهم فى عام ١٧٩٣ بالسعى الى الملك وأعدم ٠

وهى التى ألجأ الآن اليها لصالح الجمهورية ولمواجهة أولئك التعساء الذين يتهموننى ··· هل يمكن أن أضبط نفسى ، بينما أراهم يفترون على هذا الافتراء الحقير ؟ لاينبغى أن ينتظر أحد من ثائر مثلى دفاعا باردا · ان الرجال من أمثالى لايمكن تقديرهم بثمن ، ان روح الحرية تطوف فوق جبينهم ·

(علامات تصفيق وحماس بين جمهور المستمعين) ·

انهم يتهموننى بأننى تآمرت مع ميرابو وديموربيه وأورليانز ، وأننى ركعت عند أقدام المستبدين التعساء · انهم يطالبوننى بأن أرد على العدالة الصارمة المحتومة · أنت ياسان جوست الحقير ستكون مسئولا عن هذا التجديف أمام الأجيال المقبلة !

هرمان : اننى أطالبك بالرد على الأسئلة الموجهة اليك فى هدوء ـ تذكر « مارا » الذى وقف أمام قضاته فى خشوع ·

دانتون : لقد وضعتم أيديكم على حياتى كلها ، فمن حقها أن تشد عزيمتها وتقف فى وجهكم ، وسأعرف كيف أدفن هذه الأيدى تحت ثقل الأعمال التى أديتها · لست فخورا بهذا ـ فالقدر هو الذى يسحبنا من أيدينا ، ولكن أصحاب الطبائع الجبارة هم أدواته · لقد أعلنت الحرب على الملكية ونازلتها فى الميدان · هزمتها فى

العاشر من أغسطس وقتلتها فى الواحد والعشرين من يناير والقيت فى وجه الملوك براس ملك كأنه قفاز المبارزة ٠

(تتكرر علامات الحماس والتأييد بين المستمعين ٠ دانتون يمسك بوثائق الاتهام) ٠

كلما ألقيت نظرة على هذه الوثائق المخزية شعرت بكيانى كله يتزلزل ٠ أين اذن هؤلاء الذين ألحوا على دانتون بالظهور فى ذلك اليوم التاريخى ، اليوم العاشر من أغسطس ؟ أين اذن تلك الصفوة التى استمد منها قوته ؟ ـ فليظهر هؤلاء الذين يتهموننى ! اننى أطلب هذا وأنا فى كامل قواى العقلية ٠ سوف اكشف الأوغاد السفلة وأقذف بهم فى هاوية العدم التى لن يخرجوا منها رؤوسهم بعد اليوم ٠

هرمان : (يدق الجرس) الا تسمع الجرس ؟

دانتون : ان صوت انسان يدافع عن شرفه وحياته لابد أن يعلو على صوت جرسك ٠ لقد أطعمت شباب الثورة بأجسام الارستقراطيين الممزقة ٠ ان صوتى هو الذى صنع الأسلحة للشعب من ذهب الارستقراطيين والأغنياء ٠ وصوتى هو العاصفة التى دفنت أتباع الطغيان تحت عباب البنادق ٠ (تصفيق حاد) ٠

هرمان : دانتون ٠ لقد أجهدت صوتك ٠ انك فى غاية التأثر والانفعال ٠ ستختتم دفاعك فى المرة

القادمة . انك فى حاجة الى الراحة . رفعت الجلسة .

دانتـــــــون : عرفتم الآن من هو دانتون . لن تمر ساعات قليلة حتى ينام فى أحضان المجد .

« اللكسمبورج ســجن »

« ديللون ـ لافلوت ـ حارس »

ديللـــــــــون : ولد ! ، لاتسلط نور أنفك فى وجهى هكذا(١١) . ها ! ها ! ها !

لافلـــــــوت : أغلق فمك . ان هلالك يرسل الضوء حوله(١٢) ها ! ها ! ها !

الحـــــــارس : ها ! ها ! ها ! هل تعتقد ياسيد أنك ستستطيع أن تقرأ على ضوئك ؟

(يشير الى ورقة يحملها فى يده)

ديللـــــــــون : هات !

الحـــــــارس : سيدى . ان هلالى قد تسبب فى حدوث الجزر عندى(١٣) .

---

(١١) أى لاتلتصق بى الى هذا الحد ، وفى العبارة اشارة جنسية .

(١٢) أى أن على انفك علامات مرض تناسلى ، والصورة مشتقة من الهلال وحوله الشعب .

(١٣) اى بدد ماله على النساء أو الخمر .

لافلــــــــوت : يبدو من سراويلك كان الفيضان قد وقع(١٤) ٠

الحــــــارس : لا انها تجذب الماء فحسب(١٥) (لديللون) لقد توارت ياسيدى أمام شـمسكم يجب أن تعطونى شيئا ، حتى تشتعل فيها النار من جـديد ، اذا كنتم تريدون أن تقرءوا على ضوئها ٠

ديللـــــــون : هاك ياولد ! وأمسك نفسك ! (يعطيه نقودا فينصرف ـ ديللون يقرأ) أفزع دانتون المحكمة وترنح المحلفون وتذمر المســتمعون ٠ كان الزحام غير عادى ٠ تدافع الشعب على قصر العدالة ووقف فى صفوف بلغت الى الجسور ٠ حفنة من المال وذراع واحدة ـ هم ! هم ! (يذهب ويجىء ويصـب فى كأسه بين حين وحين من زجاجة خمر) لو استطعت أن أضع قدمى على أرض الحارة ! لن أتركهم يذبحوننى بهذه الطريقة نعم ! أن أضع قدمى فى الحارة فقط !

لافلــــــوت : وفى العربات المسرعة الى المقصلة ، فكلاهما واحد ٠

ديللــــــون : أهذا هو رأيك ؟ بل ان بينهمـا بضـع خطـوات تكفى لكى تقـاس بجثث الرجال العشرة(١٦) ٠ لقد آن الأوان أخيرا لكى يرفع الشرفاء رؤوسهم ٠

---

(١٤) اشارة الى الاستثارة الجنسية ٠
(١٥) اشارة أخرى الى مرض تناسلى ٠
(١٦) الديسمفير أو الرجال العشرة ٠

لافلـــــــوت : (لنفسه) وهذا أفضل ، لكى يسهل قطعها ٠٠ استمر ياصديقى العجوز ٠ بضعة كئوس أخرى ويعتدل مزاجى !

ديللـــــــون : هؤلاء الأوغاد ، الحمقى ، سيقطعون فى النهاية رؤوسهم بأنفسهم ٠

(يذرع المكان ذهابا وايابا)

لافلـــــــوت : (يحدث نفسه على انفراد) يستطيع الانسان أن يحب الحياة حبا مخلصا من جديد ، كأنه طفله عندما و بُه الحياة ٠٠ لا يتكرر كثيرا أن يفجر الانسان مع المصادفة ويصبح أبا لنفسه ٠ الأب والولد فى نفس الوقت ، ياله من أوديب مريح !

ديللـــــــون : ان الشعب لا يعيش على الجثث ، فلتلقى زوجتا دانتون وكاميل النقود على الناس فذلك أفضل من القاء الرؤوس عليهم ٠

لافلـــــــوت : (لنفسه)لن أنتزع عينى بعد ذلك من محجريهما فربما احتجت اليهما لكى أبكى على الجنرال ٠

ديللـــــــون : هل وضعوا أيديهم حقا على دانتون ؟ ومن يأمن بعد هذا على نفسه ؟ ان الخوف سيوحد بينهم ٠

لافلـــــــوت : (على انفراد) لقد ضاع وانتهى ٠ وما الضرر فى ان أدوس على جثة لكى أخرج من القبر ؟

ديللـــــــون : المهم أن أضع على أرض الحارة ! سأجد العدد الكافى من الناس ، جنودا قدامى وجيرونديين،

ونبلاء سابقين ، سنقتحم السجون · لابد من التفاهم مع المساجين ·

لافلـــــــوت : (لنفسه على انفراد) المسألة تفوح منها طبعا رائحة النذالة · وما الضرر فى هذا ؟ ان لدى الرغبة فى تجربة ذلك أيضا · لقد ظللت حتى الآن ضيق الأفق · سيؤذبنى ضـــميرى وهذا نوع من التغيير · ليس مما يكدر النفس كثيرا ان يشم الانسان رائحة نتانته بنفســـه ــ لقد سئمت النظر الى المقصــلة · ومللت كل هذا الانتظار ! جربتها بخيالى عشرين مرة · لم يعد فيها شىء يثير الانتباه · لقد أصـــبحت شيئا حقيرا ·

ديللـــــــون : يجب أن نرسل ورقة لزوجة دانتون ·

لافلـــــــوت : (لنفسه على انفراد) ثم اننى ــ لا أخاف من الموت ، بل من الألم · ربما سببت لى ألما ، ومن الذى يستحق هذا ؟ يقولون انها لا تستغرق الا لحظة واحدة ، ولكن للألم مقياسا زمنيا أدق ، انه يستطيع أن يقســم جزءا على ستين من الثانية ·

لا ! ان الألم هو الخطيئة الوحيدة ، والعذاب هو الرذيلة الوحيدة · سأظل محتفظا بفضيلتى

ديللـــــــون : اســمع يالافلوت !! أين ذهب الجوع ؟ معى نقود · يجب أن ننجح · لابد أن نصب الحديد · ان خطتى جاهزة ·

لافلـــــــــوت : حالا ! حالا ! اننى أعرف السجان ، وسأتكلم معه · يمكنك أن تعتمد على ، ياجــنرال · ستخرج من هذا الجحر (لنفسه وهو ينصرف) لندخل فى غيره : سأدخل أنا الجحر الأوسع ، أى العالم ، وسيدخل هو الجحر الأضيق ، أى القبر ·

* * *

« لجنـــــة الاصــــلاح »

(سان جوست ، بارير ، كوللو ديربوا ، بيللو ــ فارين »

بـــــــــارير : ماذا يقول فوكييه فى كتابه ؟

ســـان جوســت : مر الاســـتجواب الثانى · المساجين يطالبون بظهور عدد كبير من أعضــاء الجمعية ولجنة الاصـــلاح ، انهم يهيبون بالشـــعب الامتناع عن الادلاء بأقوالهم · يبدو أن المشـــاعر فى هياج لا يوصـــف · ــ ولقـــد هزأ دانتــون بجوبيتر[17] وراح يهز خصلات شعره ·

كوللـــــــــو : سيسهل هذا على شمشون أن يمسكه منه ·

بـــــــــارير : يجب أن نمتنع عن الظهور ، فربما وجـــدت

---

(١٧) اكبر الالهه عند الرومان ، ويقابل زيوس عند الاغريق ·

صيادات السمك وجامعو الخرق أن شخصياتنا أضعف مما كانوا يظنون ·

بيللـــــــو : ان الشعب يحب بغريزته أن يستذل ويحتقر حتى ولو كان ذلك بالنظـــرات وحدها · مثل هذه الوجوه المتعجرفة تعجبه · ومثل هذه الجباه أسوأ من شـــعارات النبلاء ، فأخبث أنواع الارستقراطية التى تحتقر الانسان تلتصق بها· ان كل من تسيئه نظرة فاحصة من أعلى الى أسفل يجب عليه أن يساعد فى تحطيمها ·

بـــــــارير : انه أشبه بسيجفريد ذى القرون ، وقد حصنته دماء المقتولين فى سبتمبر(١٨) من الجراح · ماذا يقول روبسبيير ؟

ســـان جوســت : انه يتظاهر بأن لديه شيئا يقوله · ـ يجب أن يعلن المحلفون أنهم قد اطلعوا على المعلومات الكافية ويجب أن يختموا المناقشات ·

بـــــــارير : مستحيل · لايمكن أن يتم هذا ·

ســـان جوســت : يجب أن نتخلص منهم بأى ثمن ولو اضطررنا أن نخنقهم بأيدينا · تجرءوا ! هذه هى الكلمة التى تعلمناها من دانتـــون ولا يصـــح ان تضيع عبثا · ان الثورة لن تتعثر على جثثهم ، ولكن اذا بقى دانتون حيا فسوف يشدها من ثيابها(١٩) · وفى هيئته ما يوحى بأنه يستطيع أن يغتصب الحرية اذا شاء ·

---

(١٨) المقصود بهم ضحايا الثورة الذين سقطوا فى سبتمبر ١٧٩٢ ·
(١٩) اى سيوقف تقدمها المحتوم ·

(ينادى على سـان جوسـت · يدخل أحد السجانين)

السـجان : هناك مساجين فى سـان بيلاجى(٢٠) · فى النزع الأخير ، وهم يطلبون طبيبا ·

بيللـو : لا ضـرورة لهذا · فهم يخففـون من عبء الجلاد ·

السـجان : بينهم نساء حوامل ·

بيللـو : من مصـلحتهن ، فلن يحتاج أطفالهن الى توابيت ·

بـاريز : ان السل الذى يصيب أحد الارستقراطيين يوفر على محكمة الثورة جلسـة · كل دواء يقدم اليهم هو ضربة موجهة الى الثورة ·

كوللـو : (يتناول ورقة) التماس ، باسم امرأة !

بـاريز : لابد أنها واحدة من هؤلاء الذين يحبون أن يخيروا بين خشبة المقصلة وفراش أحد اليعاقبة ·· انهن يمتن مثل لوكريتسيا(٢١) بعد ضياع شرفهن ، ولكنهن يتأخرن قليلا عن تلك السيدة الرومـانية : فيمتن بعد الولادة أو يمتن بالسرطان أو الشيخوخة · ربما لايكون طرد تاركوينيوس من الجمهورية الفاضـلة لاحدى العذارى أمرا سخيفا الى هذا الحد ·

---

(٢٠) احد السجون فى باريس ·
(٢٦) راجع الهامش الذى تقدم فى المشهد الثانى من الفصل الأول ·

كوللـــــــــــو : انها عجوز جدا · المدام تطلب الموت وتحسن التعبير عن نفسها فتقول ان الســـجن يخنق أنفاسها مثل غطاء التابوت ، لقد قضت فيه أربعة أسابيع · الجواب سهل (يكتب ثم يقرأ ماكتبه) « أيتها المواطنة · لم يمض عليك من الوقت مايبرر طلبك للموت » ·

(ينصرف الســـجان)

بـــــــــــاريو : أحسنت القول ! ولكن لا يصح ياكوللو أن تبدأ المقصلة فى الضحك ، والا زال خوفهم منها · يجب الا ترفع التكليف الى هذا الحد · (سان جوست يعود)

ســـان جوســـت : تلقيت الآن تقرير اتهـــام · انهم يتآمرون فى السجن · وقد استطاع شاب اسمه لافلوت أن يكشف كل شيء · كان مع ديللون فى نفس الحجرة ، وقد شرب ديللون وبدأ يثرثر ·

بـــــــــــاريو : سيقطع رقبته بزجاجته · لقد حدث هذا أكثر من مرة ·

ســـان جوســـت : دبرت الخطة بحيث توزع زوجتا دانتون وكاميل النقود على الشعب ، ويهرب ديللون من السجن ويحرروا المساجين وينسفوا الجمعية الوطنية ·

بـــــــــــاريو : هذه حواديت عجائز ·

ســـان جوســـت : ولكننا سنعرف كيف نحكى لهم هذه الحواديت ليناموا · ان البلاغ فى يدى · أضف الى ذلك

وقاحة المتهمين ، وتذمر الشـــعب ، وذهول المحلفين ـ سأكتب تقريرا ٠

بـــــــاريير : نعم ياسان جوست : هيا انظم عباراتك الرصينة التى تشبه كل شولة فيها ضربة سيف ، وكل نقطة راسا مفصولا عن جسده !

ســان جوسـت : يجب أن تصدر الجمعية قرارها ، وتواصـل المحكمة نظر القضية ، كما يجب أن يكون من حقها استبعاد كل متهم يهين المحكمة أو يزعجها من الاشتراك فى المناقشة ٠

بـــــــاريير : أنت ثورى بفطرتك ، ان ما تقوله يبدو عليه الاعتدال ومع ذلك فسوف يحدث أثره ٠ انك لاتستطيع أن تصـــمت ٠ يجب أن يصـــرخ دانتون ٠

ســان جوسـت : اننى أعتمد على تأييدكم ٠ فى الجمعية قوم مصابون بمرض دانتون وهم خائفون من العلاج المقترح ٠ لقد واتتهم الشـــجاعة من جـديد وسوف يصرخون احتجاجا على انتهاك حرمة الشكليات ٠٠

بـــــــاريير : (يقاطعه) سوف أقول لهم : لقد اتهم القنصل الرومانى الذى اكتشف مؤامرة كاتيلينا واعدم المجرمين على الفور بانتهاك حرمة الشكليات فمن هم أولئك الذين وجهوا اليه هذه التهمة ؟

كوللـــــــــو : (يتاثر) اذهب ياسان جوست ! : ان حمم الثورة تسيل وســـوف تخنق الحرية أولئك

الضعفاء الذين حاولوا أن يندسوا فى حضنها الجبار لينجبوا منها • سيظهر لهم جلال الشعب كما ظهر جوبيتر لسيميلى(٢٢) بين الرعد والبرق ويحولهم الى رماد • اذهب ياسان جوست ، سوف نساعدك فى القاء الصاعقة على رؤوس الجبناء •

(يخرج سان جوست)

بـــارير : هل سمعت كلمة العلاج ؟ سيجعلون من المقصلة دواء ناجعا لوباء اللذة • انهم لا يكافحون المعتدلين ، بل يكافحون الرذيلة •

بيللـــو : طريقنا واحد حتى الآن •

بـــارير : ان روبسبيير يريد أن يجعل من الثورة قاعة محاضرات عن الأخلاق ومن المقصلة منبرا يعظ من فوقه •

بيللـــو : أو كرسى اعتراف •

كوللـــو : سيكون عليه الا يقف فوقه بل يرقد عليه •

بـــارير : سيتم هذا بسهولة • اذا صح أن الاشرار المزعومين يشنقهم الشرفاء المزعومون فلابد أن يسير العالم على رأسه •

كوللـــو : (لبارير) متى ترجع الى كليشى ؟

---

(٢٢) تشكل جوبيتر (أوزيوس عند اليونان) فى صورة سحابة ليعانق ابنة ملك طيبة •

بـــــــــــــاريز : حين ينقطع الطبيب عن زيارتى ·

كوللـــــــــــــــر : أليس كذلك ؟ هناك علقت نجمة من الشعر يجف نخاعك تحت أشعتها المحرقة(٢٣) ·

بيللـــــــــــــــو : عما قريب ستشده أصابع ديمالى الساحرة من عموده الفقرى وتعلقه على الظهر كأنه خصلة من الشعر(٢٤) ·

بـــــــــــــاريز : (يهز كتفيه) صه : لا يجب أن يعلم صاحب الفضيلة(٢٥) عن ذلك شيئا !

بيللـــــــــــــــو : انه ماسونى عنين ·

(يخرج بيللو وكوللو)

بـــــــــــــاريز : (وحده) هؤلاء الوحوش ! ـ لم يمض عليك فى السجن مايبرر طلبك للموت ! كلمات كان ينبغى أن تجفف اللسان الذى نطق بها · وأنا ؟ عندما اقتحم رجال سبتمبر السجون ، أمسك سجين بسكين ، واندس بين صفوف القتلة ، وطعن بها قسيسا فى صـــــدره فأنقذوه ! من يستطيع أن يعترض على هذا ؟ وما الفرق بين أن أندس بين صفوف القتلة ، أو أجلس فى

---

(٢٣) اشارة الى المرض التناسلى او الاثارة الجنسية ·

(٢٤) اى ستزيد من اثارته الجنسية · والملاحظ ان هذه التعبيرات الغليظة مستمدة من اللغة التى كانت سائدة فى عهد الثورة الفرنسية كما انها غير مقصودة لذاتها بل لتصوير الشخصيات ·

(٢٥) اى روبسبيير ·

لجنة الاصلاح ، أو أمسك بسكين المقصلة أو بمطواة ؟ انها نفس الحالة ، ولكن الظـروف هى التى تتعقد بعض الشىء ، وتظل الأوضاع الأســـاسية واحدة لا تتغير ومادام قد اغتال واحدا ، ألم يكن من حقه أيضا أن يغتال اثنين وثلاثة ، وأكثر ، وأين الحد الذى يتوقف عنده؟ وتأتى حبات القمح ! هل تصنع حبتان كومة ، أم ثلاثة أم أربعـة ؟ كم حبة اذن ؟ تعـــال ياضميرى ، تعالى يادجاجتى ، تعالى ، بى ! بى ! بى ! هذا هو علفك !

ومع ذلك ــ فهل كنت سجينا ؟ لقد كنت مشبوها ، وكلاهما فى النهاية سيان كان موتى مؤكدا ! (يخرج)

***

الكونســــييرى جرى(٢٦)

« لاكروا ــ دانتون ــ فيليبو ــ كاميل »

لاكــــــــــروا : أجدت الصراخ يادانتون ، لو أنك ناضلت من قبل من أجل حياتك لتغيرت أحوالنا الآن ألست معى فى هذا ؟ اذن لما اقترب الموت منا بوقاحته

---

(٢٦) سجن مشهور فى باريس أقيم فى بناء قصر العدالة ، كان يوضع فيه المساجين قبل اقتيادهم الى المقصلة .

ولما فاحت رائحته النتنة من رقابنا ولا راح
يلح علينا ويزداد على الدوام الحاحا ؟

كاميـــــــــل : ليته اغتصب الواحد منا بالقوة وانتزع فريسته من الأعضاء الدافئة بالصراع والكفاح ! أما أن يلجأ الى كل هذه الشكليات كما يحدث فى زفاف امرأة عجوز ، فتوقع العقود ويستدعى الشهود ، ويقال آمين ويرفع اللحاف وتتسلل العروس العجوز بأعضـــائها البـاردة الى الفراش !

دانتـــــون : ليته كان صراعا بالأذرع والاسنان ! أما الآن فأحس كأننى سقطت فى طاحونة ، وأن قوى الطبيعة الباردة تلوث أعضائى ببطء ونظام ! ما أتعس أن يموت الانسان هذه الميتة الآلية !

كاميـــــــــل : ثم يرقد هناك وحيدا ، باردا ، مشـــدودا ، يتصاعد حوله بخار الفساد الرطب ــ ربما كان الموت ينتزع الحياة من الأنســجة بالتعذيب البطىء ــ وربما كان الانسان يفسد شـــيئا فشيئا وهو يشعر بكل شىء !

فيليبـــــــو : اهدءوا يا أصدقائى ! نحن كزهرة الخريف التى لا تحمل البذور الا بعد أن ينقضى الشتاء، نحن لا نختلف عن الزهور التى تنقل من مكان الى مكان الا فى اننا ننتن قليلا(٢٧) أيحزنكم هذا الى هذا الحد ؟

---

(٢٧) فى الشتاء تموت الحياة الطبيعية فى أوربا وتذبل . والاشارة هنا الى الثوار الذين لابد لهم ان يموتوا لكى تحيا أفكارهم بين الناس .

دانتـــــــــون : مستقبل مطمئن ! من كومة روث الى كومة قمامة ! أليست هذه هى نظرية الطبقات الالهية من الدرجة الأولى الى الثانية ، ومن الثانية الى الثالثة وهكذا ، لقد سئمت الجلوس على مقاعد التلاميذ ، وتورم فخذاى كالقرد من كثرة ما جلست عليهما ٠

فيليبـــــــــو : ماذا تريد اذن ؟٠

دانتـــــــــون : الراحة ٠

فيليبـــــــــو : انها عند الله ٠

دانتـــــــــون : بل فى العدم حاول أن تستغرق فى شىء أكثر راحة وهدوءا من العدم ، واذا كانت الراحة القصوى هى الله ، ألا يكون العدم هو الله ؟ ولكننى ملحد ٠ هذه الجملة الملعونة : يستحيل على الشىء أن يصبح عدما ! وانا شىء ، وتلك هى الكارثة ! لقد اتسعت الخليقة الى حد انه لم يبق فيها فراغ ، بل امتـــلأ كل شىء وازدحم ٠ قتل العدم نفســـه والخليقة جرح ونحن قطرات الدم التى تسيل منه ٠ العالم هو القبر الذى نفسد فيه : ــ كل هذا يبدو ككلام المجانين ، ولكن فيه شيئا من الحقيقة ٠

كاميـــــــــل : العالم كاليهودى الأبدى والعدم هو الموت ، ولكنه مستحيل ٠ آه لو امتنع الموت ، لو امتنع الموت ، كما تقول الأغنية ٠

دانتـــــــــون : نحن جميعا قد دفنا أحياء ووضعنا كما يوضع الملوك فى توابيت مثلثة ومربعة ، تحت قبة

السماء ، فى بيوتنا ، فى ستراتنا وقمصاننا ــ ونظل خمســـين عاما بطولها نخدش غطاء التابوت · أجل ! من استطاع أن يؤمن بالفناء فربما أراح نفسه ! ــ لا أمل فى الموت ، فليس الا فسادا أبسط ، أما الحياة فهى فساد أكثر تعقيدا وتنظيمــــا · هذا هو الفارق الوحيد بينهما ! غير اننى قد تعودت على هذا النوع من الفساد ، ويعلم الشيطان وحده ماذا سأفعل مع نوع آخر ! آه ياجولى ! ماذا يحدث لى لو ذهبت وحدى! لو تركتنى وحيدا! ولو تحللت تحللا كاملا لأصبحت حفنة من التراب المعذب ولما وجدت كل ذرة من ذراتى الراحة الا لديها · لايمكننى أن أموت ، لا ، لايمكننى أن أموت : عليهم أن ينتزعوا كل قطرة حياة من أعضائى انتزاعا !

* * *

« حجـــــرة »

فوكييه ــ آمار ــ فولان

فوكييـــــــــه : ماعدت أدرى كيف أرد عليهم انهم يطـــالبون بتأليف لجنة ·

آمـــــــــار : لقد جمعنا الأوغاد هاك ماتطلبه ·
(يناول فوكييه ورقة)

فـــــــولان : سيرضيهم هذا ٠

فوكييـــــــــه : حقا ، لقد كنا فى حاجة اليه ٠

آمـــــــــار : اجتهد الآن أن تزيح المسألة عنا وعنهم ٠

***

« محكمة الثـــورة »

دانتـــــــــون : الجمهورية فى خطر ، ويقول انه ليست لديه تعليمات ! نحن نتجه بندائنا الى الشعب ٠ ان صوتى مازال قادرا على القاء خطب الوداع أمام جثث الرجال العشرة ٠ اننى أكرر ماسبق ان قلته : نحن نطالب بلجنة سنكشف عن أسرار هامة ٠ اننى سأعتصم بقلعة العقل ، وسأخرج منها وفى يدى مدفع الدقيقـة ٠ وســأسحق اعدائى ٠ (علامات تأييد)

(يدخل فوكييه وآمار وفولان)

فوكييـــــــــه : باسم الجمهورية أطالبكم بالهدوء واحــترام القانون ! لقد قررت الجمعية مايلى :

نظرا لما ظهر فى الســـجون من علامات العصيان، ونظرا لما ثبت من أن زوجتى دانتون وكاميل ستقومان بتوزيع النقود على أفــراد الشعب ، وان الجنرال ديللون يدبر الهروب من الســـجن وقيادة المتمردين لتحرير المتهمين ،

ونظرا لأن هؤلاء قد حاولوا اثارة الشعب
واهانة المحكمة فقد فوضت المحكمة بالاستمرار
فى نظر القضية واستبعاد كل متهم لايحترم
القوانين الاحترام الواجب ·

دانتون : اننى أسأل الحاضرين : هل أهنا المحكمة أو الشعب أو الجمعية الوطنية ؟

أصوات كثيرة : لا ! لا ! لا !

كاميل : السفلة ! يريدون أن يقتلوا زوجتى لوسيل !

دانتون : سيعلم الناس الحقيقة يوما ما · اننى أرى كارثة فظيعة تزحف على فرنسا · هذه هى الدكتاتورية · لقد مزقت قناعها ، وهى الآن تشمخ بجبهتها وتخطو فوق جثثنا (مشيرا الى آمار وفولان) انظروا الى القتلة الجبناء ! انظروا غربان لجنة الاصلاح ! أنا أتهم روبسبيير وسان جوست وجلاديهم بالخيانة العظمى – انهم يريدون أن يغرقوا الجمهورية فى بحر من الدماء · ان الآثار التى تتركها العربات المسرعة الى المقصلة هى الطرق العريضة التى سينفذ منها الأجانب الى قلب الوطن ·

الى متى تظل آثار أقدام الحرية قبورا : انكم تريدون الخبز ، وهم يلقون اليكم بالرؤوس ! انكم تموتون من العطش وهم يطلبون منكم أن تلعقوا الدماء التى تسيل على درجات المقصلة !

(حركة عنيفة بين جمهور الحاضـــرين ٠٠
صيحات تأييد)

أصـــوات كثيرة : عاش دانتون ٠٠ يسقط الرجال العشرة !!

(الحراس يخرجون المساجين بالقوة)

***

« أمام قصر العدالة »

« مجموعة من أفـــراد الشـــعب »

بعض الأصـوات : يسقط العشرة ! يحيا دانتون !

المـــواطن الأول : حقا ! الرؤوس بدل الخبز ، والدم بدل النبيذ !

بعض النســـــاء : المقصلة طاحونة سيئة وشمشون خباز ردىء ٠ نريد الخبز ! الخبز !

المـــواطن الثانى : خبزكم التهمه دانتون ٠ رأسه ســـتعيد الخبز اليكم جميعا ٠ لقد كان معه الحق ٠

المـــواطن الأول : كان دانتون معنا فى العاشر من اغسطس ، وكان معنا فى سبتمبر ٠ أين كان هؤلاء الذين يتهمونه اليوم ؟

المـــواطن الثانى : ولافاييت كان معكم فى فرساى وكان مع ذلك خائنا ٠

المواطن الأول : من الذى يقول ان دانتون خائن ؟

المواطن الثانى : روبسبيير ..

المواطن الأول : وروبسبيير خائن أيضا !

المواطن الثانى : من الذى يقول هذا ؟

المواطن الأول : دانتون .

المواطن الثانى : دانتون يرتدى الثياب الجميلة ، يسكن فى بيت جميل ، دانتون متزوج من امرأة جميلة . دانتون يستحم فى نبيذ البرجوندر ، ويأكل لحم الغزلان فى أطباق فضية ، واذا سكر نام مع زوجاتكم وبناتكم . كان دانتون فقيرا مثلكم . لقد اشترى له الفيتو(٢٨) كل هذا ، لكى ينقذ تاجه . وأهداه أمير أورليانز كل هذا ، لكى يسرق له التاج ، وأعطاه الأجنبى كل هذا ، لكى يخونكم جميعا . ماذا يملك روبسبيير ؟ روبسبيير العفيف انكم جميعا تعرفونه .

الجميع : يحيا روبسبيير ! يسقط دانتون ! يسقط الخائن!

---

(٢٨) كناية عن الملك الذى كان يملك وحده حق الاعتراض (الفيتو) كما تقدم . وفى العبارة غمز بتآمر دانتون مع الملكيين .

الفصـــل الرابــع

حجـــــرة

جــولى ـ غـــلام

جـــــــــولى : انتهى كل شىء .. لقد ارتعشـــوا أمامه .. سيقتلونه خوفا منه . اذهب ! أعرف أننى رأيته لآخر مرة . قل له اننى لا أستطيع أن أراه وهو فى هذه الحال . (تعطيه خصلة شعر) خذ . أعطه هذه الخصلة وقل له انه لن يذهب وحده الى هناك . هو يفهم ما أريد . ثم عد بسرعة ، لأقرأ نظراته فى عينيك .

***

« شـــــارع »

دومـــا ـ مـــواطن

المـــــــــواطن : كيف يمكن الحكم بالاعدام على كل هذا العدد من الابرياء بعد استجواب كهذا ؟

دومـــــــــا : هذا فى الواقع شىء غير عادى ، ولكن رجال الثورة لديهم احساس لا يوجد عند غيرهم من الناس ، وهذا الاحساس لا يخدعهم أبدا ٠

المـــــــواطن : انه احساس النمر ٠٠ أنت متزوج ؟

دومـــــــــا : سأصبح عما قريب زوجا سابقا ٠

المـــــــواطن : اذن فالخبر صحيح ؟

دومـــــــــا : ســـتقضى محكمة الثورة بطلاقنا وســـتفرق المقصلة بيننا على المائدة والفراش ٠

المـــــــواطن : أنت متوحش ٠٠

دومـــــــــا : يا أبله ! هل أنت معجب ببروتوس ؟

المـــــــواطن : من كل قلبى ٠

دومـــــــــا : هل يتحتم أن يكون المرء قنصلا رومانيا وأن يغطى رأسه بالتوجا(١) لكى يقدم حبيبه ضحية الى الوطن ؟ سوف أمســـح عينى بكم بذلتى الرسمية الحمراء ، هذا هو كل الفرق ٠

المـــــــواطن : شىء مفزع !

دومـــــــــا : اذهب انك لا تفهمنى !

(ينصرفان)

---

(١) رداء رومانى قديم ٠ (انظر التعليق السابق فى المشهد الخامس من الفصل الأول) ٠

« فى الكونسـيرجرى »

(لاكروا وهيرو راقدين على سرير

دانتون وكاميل على سرير آخر)

لاكـــروا : طالت شعورنا وأظافرنا الى حد مخجل ٠

هـــيرو : احترس قليلا ٠ انك تعطس فى وجهى وتملؤه رملا !

لاكـــروا : وأنت أيضـا ياعزيزى ، لاتدس على قدمى ، فأصابعى متورمة !

هـــيرو : وأنت تعانى كذلك من الحشرات ٠

لاكـــروا : آه لو استطعت أن أتخلص من الديدان !

هـــيرو : والآن ٠ أتمنى لك نوما هادئا ! ان المكان ضيق وعلينا أن ننظر كيف يتسع لنا ٠ لاتخدشـنى بأظافرك وأنا نائم ! هكذا ! لاتشد الكفن هكذا، فالدنيا برد !

دانتـــون : أجل ياكاميل ٠ غدا نصبح أحذية بالية ، يقذفون بها فى حجر الأرض(٢) المتسولة ٠

كاميـــل : أو جلد الثيران الذى تصـنع منه الملائكة الشباشب التى تتخبط بها فوق الأرض ، كما

---

(٢) لعلها اشارة الى ان الرجال يضنون انفسهم لتنعم النساء ، وهى شكوى أزلية !

يقول أفلاطون . آه ياحبيبتى لوسيل ! هذا هو مصيرنا !

دانتـــــــون : اهدأ ياولدى !

كاميـــــــل : وهل أقدر ؟ أتعتقد يادانتون أننى أقدر على هذا ؟ لايمكنهم أن يضعوا أيديهم عليها ! إن نور الجمال الذى يتدفق من جسدها العذب لن ينطفىء . والأرض لن تجرؤ أن تطمرها تحت التراب ، بل سوف تجعل من نفسها قبوا يحيط بها ، وبخار القبر سيلمع كالندى على رموشها والبلور سيتألق كالأزهار حول أعضـــائها ، والينابيع الصافية ســـتهمس فى أذنيها وهى نائمة .

دانتـــــــون : نم ياولدى ! نم !

كاميـــــــل : اسمع يادانتون . من التعاسة أن يفرض علينا الموت . ثم انه لايفيد فى شىء . لازالت لدى الرغبة فى أن أسرق النظرات الأخيرة من عينى الحياة الجميلتين ، أريد أن تظـــل عينـــاى مفتوحتين ..

دانتـــــــون : ستضطر أن تفتحهما على كل حال فان شمشون لا يغمض عينى أحد . النوم ارحم . نم ياولدى نم !

كاميـــــــل : لوسيل ! قبلاتك تداعب شفتى كالخيال . كل قبلة تصبح حلما تضمه عيناى بشدة .

دانتـــــــون : الا تريد الساعة أن تهدأ ؟ ان كل دقة تضيق الجدران على شيئا فشيئا حتى تصبح خانقة كالتابوت · عند ماكنت طفـــلا قرأت حكاية كهذه ، ووقف شعرى كالجبل ، نعم ! عندما كنت طفلا ! أكان شيئا يســـتحق العناء أن اتغذى وأكبر واتدفأ ·· كل هذا الجهد من أجل حفار القبور !! يخيل لى الآن كأننى أشم رائحتى · ياجسدى العزيز ! أريد أن أســد أنفى واتصورك امرأة رقصت كثيرا فتصبب منها العرق وصعدت رائحتها الكريهة ، وأريد أن اداعبك وأهمس لك بأشـياء عجيبة · كم تعودنا أن نقضى الوقت معا ونتسلى أكثر مما نفعل الآن · غدا ســتكون كمانا مكسورا ، ماتت الألحـــان عليه · غدا ستصبح زجاجة فارغة نفد مافيها من نبيذ غير أننى لم أســـكر منه ، وسأذهب الى فراشى وأنا يقظ الحواس ـ ما أسعد الذين لايزال فى قدرتهم أن ينتشوا بالخمر ! غدا ستكون سروالا باليا · يلقى بك فى دولاب الملابس ، وتفترسك العثة ، وتنتن رائحتك كما تشاء !

آه ! كل هذا لانفع منه ! أجل ! من التعاسة أن يفرض الموت على الانسان · الموت · يهزأ بالميـلاد · وعندما نموت نعود عرايا عاجزين كالولدان الصغار · صحيح أنهم يلفوننا فى

الكفن . ولكن ما الفائدة ؟ ربما نتأوه فى اللحد كما تأوهنا فى المهد .

كاميـــــــــل : لقد نام (وهو ينحنى عليه) الحـــلم يداعب أجفانه . لا . لا أريد أن أمسح حبات الندى الذهبية عن عينيه . (ينهض واقفا ويتجه الى النافذة) لن أذهب وحدى . أشكرك ياجولى ! ومع ذلك فقد كنت أفضل أن أموت ميتة أخرى بلا جهد أو عناء ، كما يسقط النجم ، أو يخمد نغم أو يقتل انسان نفسه من القبل ، يدفن شعاع نفسه فى المياه الصافية النجوم منثورة فى الليل كأنها دموع متألقة ، لابد أن تكون العين التى تترقرق منها حزينة حزنا لا يوصف ..

كاميـــــــــل : آه ! (يقف فى فراشه ويتلمس السقف) ..

دانتـــــــــون : ماذا بك ياكاميل ؟

كاميـــــــــل : آه ! آه !

دانتـــــــــون : (يهزه بشدة) أتريد أن تسقط السقف علينا ؟

كاميـــــــــل : آه ! أنت ! أنت ! امسكنى ! تكلم !

دانتـــــــــون : كل أعضـــائك تهتز .. العرق يتصـــب على جبينك .

كاميـــــــــل : هذا أنت .. وهذا أنا .. هذه يدى ! نعم نعم ! الآن تذكرت .. آه يا دانتون ! لقد كان شيئا مفزعا ..

دانتـــــــــون : وما هو اذن ؟

كاميـــــــــــل : كنت أرقد بين الحـــلم واليقظة ·· اختفى السقف ، وتدلى القمر ، وأقترب منى حتى أمسكت يدى به · هبط سقف الســماء بكل أضوائه ، اصطدمت به ، تحسست النجوم ، تخبطت كالغريق تحت السقف الثلجى ·· كان شيئا مفزعا يادانتون !

دانتــــــــون : ان المصباح يلقى ضوءه الدائرى على السقف ربما كان هذا هو الذى رأيته ·

كاميـــــــــــل : ليكن مايكون ! ان أهون شيء يمكن أن يفقدنا القليل من العقل الذى بقى لنا · لقد شــدنى الجنون من شعرى · (يقف) لا أريد أن أنام · لا أريد أن أجن ·

(يمد يده الى كتاب)

دانتــــــــون : ما هذا ؟

كاميـــــــــــل : خواطر الليل ·

دانتــــــــون : أتريد أن تموت قبل الموت ؟ أما أنا فسأقرأ فى العذراء الطاهرة(٣) لا أريد أن أغادر الحياة كما لو كنت أتسلل من كرسى الصلاة ، بل كما لو كنت أتســـلل من فراش راهبة رحيمة · ان

---

(٣) (La Pucelle) ملحمة فولتير عن جان دارك التى لم تعالج الموضوع بما يستحقه من الاحترام ·

الحياة عاهرة ، ترتكب الفحشـــاء مع العالم كله ..

* * *

« ميدان أمام الكونســـييرجيرى »

سجان ــ سائقان ومعهما العربات ــ نساء

الســـــــــجان : من الذى دعاك أن تسوق العربة الى هنا ؟

الســـبـــائق ١ : أنا لا أدعى سوقيا (٤) . هذا اسم غريب .

السجـــــــان : ياغبى ! من الذى عينك لهذا ؟

الســـــــائق ١ : أنا لم آخذ أى تعيين . اللهم الا عشـــرة « سو »(٥) عن كل رأس .

الســـــــائق ٢ : يريد الوغد أن يقطع عيشى .

الســـــــائق ١ : وهل تسمى هذا عيشا ؟ ؟ (مشيرا الى نوافذ المساجين) انه أكل الدود .

الســـــــائق ٢ : أطفالى أيضا ديدان . وهم يريدون نصيبهم . آه ! ان صنعتنا ساءت مع اننا من أحســـن السائقين .

---

(٤) هنا تلاعب بالالفاظ لايمكن نقله الا على وجه التقريب وهو يذكرنا ببعض مشاهد من « هاملت » وبخاصة مشهد المقبرة .

(٥) عملة فرنسية رخيصة من النحاس .

السائق ١ : وكيف هذا ؟

السائق ٢ : من هو أحسن سائق ؟

السائق ١ : هو الذى يقطع أبعد مسافة ويسير بأقصى سرعة .

السائق ٢ : والآن ياحمار : هل هناك من يقطع مسافة أبعد ممن يبعد بركابه عن العالم ، وهل هناك من يسير أسرع ممن يقطع المسافة فى ربع ساعة ؟ انها ربع ساعة بالضبط من هنا الى ميدان الثورة .

السجان : أسرعوا يا أوغاد ! اقتربوا من البوابة . أفسحن المكان يابنات !

السائق ١ : لاتغيرن أماكنكن . لا يجب أن يلف الانسان ويدور حول البنت ، بل يجب أن يقتحمها .

السائق ٢ : أجل ، هذا رأيى أنا أيضا يمكنك أن تنفذ بالعربة والخيول ، وستجد السكة معبدة ، ولكن اذا أردت أن تنفذ بجلدك ، فيجب أن تقرض الحجر الصحى (يتقدمان بعرباتهما)

السائق الثانى : (للنساء) فيم تبحلقن هكذا ؟

امرأة : ننتظر زبائن قديمة .

السائق الثانى : هل تحسبن عربتى ماخورا ؟ انها عربة نظيفة ، نقلت الملك وكل سادة باريس الكبار الى المائدة .

لوسـيل : (تظهر على المسرح وتجلس على حجر تحت نافذة المساجين) كاميل ! كاميل !

(يظهر كاميل فى النافذة) اسمع ياكاميل ! · أنت تضحكنى بهذا الرداء الطويل الضخم والقناع الحديدى على وجهك · الا تستطيع أن تنحنى أين ذراعاك ؟ أريد أن أصيدك · ياعصفورى العزيز (**تغنى**)

نجمان فى السماء

أبهى من القمر

فواحد يضيء

نافذة الحبيب

وواحد ينذر

أمام بابه

تعال، تعال ياصديقى ! اطلع على السلالم بهدوء ، فهم جميعا نائمون · القمر يساعدنى من مدة طويلة على الانتظار · ولكن لايمكنك أن تدخل من الباب ، فهذه الملابس فظيعة ·· هذا مزاح سخيف ، لابد أن تضع له حدا ! ولكنك لا تتحرك · لماذا لا تتكلم ؟ انك تخيفنى ·

اسمع · الناس يقولون · لابد أن تموت ، ويكشرون وجوههم · تموت ! يجب أن أضحك على هذه الوجوه · المـوت ! ما معنى هذه الكلمة ؟ قل لى ما معناها ياكاميل ؟ الموت !

أريد أن أفكر · هاهو ! هاهو ! أريد أن أجرى وراءه · تعال ياصديقى الحبيب · ساعدنى على صيده ! تعال ! تعال ! (تجرى) ··

كاميـــــــــل : (ينادى) : لوسيل ! لوسيل !

« الكونســـــيرجرى »

(دانتون يطل من نافذة تكشف الحجرة المجاورة)

(كاميل ـ فيليبو ـ لاكروا ، هيرو)

دانتـــــــــون : أنت الآن هادىء يافابر ·

صـــــــــوت : (من الداخل) فى النزع الأخير ·

دانتـــــــــون : هل تعلم أيضا ، ماذا ستفعل الآن ؟

الصـــــــوت : ماذا ؟

دانتـــــــــون : مافعلته الديدان(٦) طول حياتك ··

كاميـــــــــل : (لنفسه) كان الجنون يطل من عينيها · كثيرون جنوا من قبل · هذا حال العالم · هل نملك تغييره ؟ انا نغسل أيدينا ـ وهذا هو الأفضل أيضا ·

دانتـــــــــون : سأترك كل شىء فى اضطراب فظيع · لا أحد يفهم شيئا عن الحكم · ربما ينفعهم أن أترك عاهراتى لروبسبيير ، وسيقانى لكوتون ·

---

(٦) تلاعب بالكلمة الفرنسية (Vers) التى تفيد بيتا من الشعر كما تفيد الدودة (Ver)

لاكـــــــــروا : كان ينبغى علينا أن نجعل من الحرية عاهرة !

دانتـــــــــون : وماجدوى هذا أيضا ؟ ان الحرية والعاهرة هما أعم الأشياء تحت الشمس . وسوف تفجر الآن وتزنى فى فراش محامى أرا(٧) . ولكنى أعتقد أنها ســـتلعب معه دور كليتامنيســترا(٨) . سأعطيه مهلة لن تزيد عن ستة أشهر ، وسأشده معى .

كاميـــــــــل : (لنفسه) فلتوفقها السماء الى فكرة ثابتـــة مريحة . ان الأفـــكار الثابتة العامة التى يسمونها العقل السليم ، مملة الى حد فظيع . أسعد انسان هو ذلك الذى تصـــور أنه الأب والابن والروح القدس .

لاكـــــــــروا : سيهتف الحمير عندما نمر بهم قائلين : تحيا الجمهورية !

دانتـــــــــون : وأى شىء فى هذا ؟ ليقذف طـــوفان الثورة جثثنا حيث يشاء ، فسوف يســتطيع الناس دائما أن ينقبوا عن عظامنا ويقطعوا بها رقاب جميع الملوك .

هـــــــــرو : نعم ، ان وجد شمشون يعرف كيف يستخدم فكوكنا .

دانتـــــــــون : انهم أشقاء قابيل .

---

(٧) هو روبسبيير كما تقدم .
(٨) هى زوجة اجاممنون الذى قتلته بالاشتراك مع عشيقها ايجسترس ، مما جعل ابنها أورست ينتقم منها ويقتلها .

لاكـــــــروا : لا شيء يثبت أن روبسبيير كنيرون(٩) مثل أنه لم يتلطف أبدا مع كاميل كما فعل قبل القبض عليه بيومين · أليس كذلك ياكاميل ؟

كاميـــــــل : وماذا يهمني من هذا ؟ (لنفسه) ياله من طفل ساحر ولدته للجنون ! لماذا يتحتم على الآن أن أذهب ألم يكن من الممكن أن نضحك معه ونهدهده ونقبله معا !

دانتـــــــون : عندما يأتي اليوم الذي يفتح فيه التاريخ قبوره فسوف يختنق الاســـتبداد دائما من رائحة جثثنا ·

هـــــــيرو : لقد صعدت روائحنا النتنة بما فيه الكفاية في أثناء حياتنا ـ انها عبارات للأجيال المقبلة ، أليس كذلك يادانتون ، وهي في الواقع لاتعنينا في شيء ·

كاميـــــــل : انه يضع تكشـــيرة على وجهه ، كأنه يريد أن يتحجر ليكتشفه الأثريون في العصور المقبلة ! أهو شيء يســـتحق العنـــاء أن يتكلف الانســـان الكلام ويصبغ وجهه باللون الأحمر ويتكلم بنبرة مهذبة ؟ علينا أن ننزع الأقنعة يوما عن وجوهنا ولن نرى عندئذ ـ كما لو كنا في حجـــرة كل جدرانها مرايا ـ الا رؤوس الخراف(١٠) العتيقة العاطلة من الاسنان التي

---

(٩) قيصر روماني (٥٤ ـ ٦٨) أمر بقتل شقيقه وأمه وزوجته ومربيه ·
(١٠) كناية عن الغباء ·

لا تتغير فى أى مكان لا أكثر من ذلك ولا أقل ·
ان الفروق بيننا ليست كبيرة بقدر ما تتصور ، فنحن جميعا أوغاد وملائكة ، أغبياء وعباقرة، وكل هذا فى وقت واحد · وهذه الأشـــياء الأربعة تجد مكانا يكفيها فى الجسد الواحد ، فهى ليست بالاتساع بقدر ما نتخيـــل · ان الجميع ينامون ويهضمون وينجبون الأطفال ، وكل ماعدا ذلك فهو متنوعات على لحن واحد ·
ما حاجتنا اذن أن نقف على أطراف أصابعنا ونضع سحنة ملفقة على وجوهنا ، ونتظـــاهر بأننا نستحى من بعضنا البعض ؟ لقد أكلنا جميعا على نفس المائدة حتى مرضنا وأصبنا بالمغص ، فما الذى يدعوكم أن تضعوا الفوط أمام وجوهكم ؟ اصرخوا وصيحوا كما ينبغى لكم ! لا تضعوا ســحنة الفضــيلة والظرف والبطــولة والعبقرية على وجوهكم ، فنحن نعرف بعضنا حق المعرفة ، وفروا هذا الجهد على أنفسكم !

هـــــــــيرو : أجل يا كاميل · نريد أن نجلس بجانب بعضنا البعض ونصرخ · وليس هناك أغبى من أن يطبق الانسان شفتيه بينما يضنيه الألم ــ لقد صرخ الاغريق وصرخت الآلهة ، أما الرومان والرواقيون فقد تظاهروا بالبطولة ·

دانتــــــــون : كان هؤلاء وأولئك أبيقوريين على حد سواء · لقد وجدوا راحتهم فى الشــــعور بالاعتداد بالنفس · لابأس من أن يرتدى الانسان ثوبه

الفضفاض(١١) ويتلفت حوله ليرى ان كان يلقى خلفه ظلا طويلا · ماجدوى أن نتزين ؟ وما الفرق بين أن نضع على عورتنا أوراق الغار أو أكاليل الورد أو ورق العنب أو نكشف الشيء القبيح ونترك الكلاب تلعقه ؟

فيليبــــــــو : ياأصدقائى ! ليس من الضـــروري أن يرتفع الانسان فوق الأرض لكى لايرى شــــيئا من أضوائها المضطربة المرتعشــة ويملأ عينه من بعض الخطوط الالهية الرائعـــة · هناك آذان ينسكب فيها الصراخ والعويل الذى يصبـــم آذاننا كأنه لحن منسجم ·

دانتـــــــون : ولكننا نحن الموسيقيين المساكين وأجسامنا هى الآلات ألم توجد الأنغام البشعة التى يخبطونها عليها الا لكى تصعد شيئا فشيئا الى الاذان السماوية لكى تخمد شيئا فشـــيئا ثم تموت هناك ؟

هـــــــيرو : هل نحن كالخنازير الصـــغيرة التى يجلدونها حتى الموت لكى يكون لحمها ألذ طعما على موائد الملوك والأمراء ؟

دانتـــــــون : أم نحن كالأطفال الذين يشـــويهم هذا الجبار الرهيب(١٢) بين ذراعيه ويدغدغهم بأشـــعة الضوء لكى يسر الآلهة بضحكاتهم ؟

---

(١١) يستخدم المؤلف هنا كلمة « توجا » وهو الثوب الرومانى الطويل الذى سبقت الاشارة اليه ·

(١٢) يستخدم المؤلف هنا كلمة « ذراعى مولوخ » ومولوخ اله ســام قديم أصبح علما على النهم الدائم ، الى كل أنواع الأضاحى والقرابين ·

كاميـــــــــل : وهل الأثير بعيونه الذهبية طبق مملوء بالشبوط الذهبى موضوع على مائدة الآلهة المباركين ، فيضحك الالهة المباركون الى الأبد ، وتموت الأسماك الى الأبد ، ويفرح الآلهة فرحا أبديا بهذا الصراع الدموى المتنوع الألوان ؟

دانتـــــــون : العالم هو العماء ، والعـــدم هو الاله الذى يناسب الكون ٠

(يدخل السجان)

الســــــجان : سادتى ٠ العربات واقفة أمام الباب ٠ يمكنكم ان تمضوا الآن ٠

فيليبــــــــو : تصبحون على خير يا أصدقاء ! فلنســـحب اللحاف الكبير علينا ونحن مطمئنون ، اللحاف الذى تتــوقف تحته كل القلوب وتغمض كل العيون ٠

(يعانقون بعضهم)

هـــــــيرو : (يتأبط ذراع كاميل) افرح ياكاميل فستكون ليلتنا جميلة٠ السحب معلقة على صفحة المساء كأنها الأوليمب الذى انطفأ بريقه فتراءت فيه خيالات الآلهة شاحبة محزونة ٠

(يخرجــــون)

« حجــــرة »

جــــــــولى : كان الشعب يجرى فى الأزقة ٠ هدأ الآن كل شىء لا أريد منه أن ينتظرنى لحظة واحـدة

(تخرج زجاجة) تعال يا أحب الكهنة ، يامن يقول « آمين » فنذهب الى الفراش (تتجه الى النافذة) ما أجمل الوداع ! لم يبق الا أن أغلق الباب ورائى ٠٠

(تشرب من الزجاجة)

ليتنى أقف هكذا الى الأبد ! ــ الشمس غابت٠ كان نورها يسقط على وجه الأرض فيجعــل ملامحه حادة ٠٠ ولكن وجهها الآن هادىء وجاد كوجه انسان يحتضر ٠ ما أجمل ضوء المساء وهو يعبث بجبهتها وخديها ! ان لونها يشــحب شيئا فشيئا فتغوص كالجثة فى بحر الأثير ٠ ألن تمتد اليها ذراع فتشــدها من خصــلات شعرها الذهبى وتخرجها من الماء وتواريها التراب ؟

أنا أمشى فى خطوات هادئة ٠ لن أقبلها حتى لايوقظها من نعاسها نفس ولا تنهيدة ٠ نامى ! نامى ! (تموت)

* * *

ميــــدان الثــــورة

(تصل العربات الى ميدان الثورة وتقف أمام المقصلة ٠ رجال ونساء يغنون ويرقصون على

أغنية الثورة المساجين ينشدون النشيد الوطنى « المرسيلييز »)

(امرأة تحمل أطفالا على ذراعها وصدرها) : افسحوا مكانا ! أفســحوا مكانا ! الأطفال يصرخون من الجوع(١٣) لابد أن يتفرجوا حتى يسكتوا ! افسحوا مكانا !

امـــــرأة : ها ! دانتون ! تســتطيع الآن أن تفجــر مع الديدان ·

امـــــرأة : وأنت ياهيرو ! سأصنع من شــعرك الجميل باروكة ··

هـــــيرو : أنا لا أملك الأشجار التى تكفى لجبل فينوس الأجرد(١٤) ·

كاميـــــل : أيتها العجائز الملاعين ! سوف تصــرخن عن قريب : « أيتها الجبال ، اسقطن فوقنا ! »

امـــــرأة : ليسقط الجبل(١٥) فوقكم ! أنتم الذين سقطتم تحته ·

---

(١٣) اشارة عميقة الى ان الشعب الجائع لايشبع من الدماء المراقة ·

(١٤) اسم يطلق على عدة جبال فى مقاطعتى تورنجن وهسن بألمانيا ، تقول الخرافة ان ربة الحب فينوس تسكنها والمقصود هنا اشارة الى جزء من جسد هذه المرأة الفاسدة لا تكفى خصلات شعره لتغطيته ·

(١٥) الجبل هنا اشارة الى سلطة اليعاقبة التى راح ضحيتها هؤلاء المساجين ·

دانتـــــون : (لكاميل) اهدأ ياولدى ! لقد بح صوتك من الصياح ٠

كاميـــــل : (يعطى للســـائق بعض النقـــود) : خذ ياخارون[١٦] العجوز أجـــرة عربتك ٠ طبق لابأس به ! ـ سادتى ! أحب أن أكون أول من يبدأ الوجبة ! هذه مأدبة كلاسيكية ، اننا نرقد فى أماكننا ونسكب بعض الدماء تكريما للآلهة٠ الوداع يادانتون !

(يصعد الى المقصلة ٠ المســـاجين يتبعونه واحدا بعد الآخر ٠ دانتون آخرهم)

لاكـــــروا : (للشـــعب) لقد قتلتمونا يوم فقدتم عقلكم ، وسوف تقتلونهم يوم تستردونه ٠

اصـــــوات : سمعنا هذا من قبل ٠ ياللملل !

لاكـــــروا : ستكسر رقاب الطغاة فوق قبورنا ٠

هـــــيرو : (لدانتون) انه يحسب جثته مزبلة الثورة ٠

فيليبـــــو : (وهو على المقصلة) اننى أسامحكم وأرجو ألا تكون ساعة موتكم أمر من ساعتى ٠

هـــــيرو : كنت أتوقع هذا ! انه لايستطيع أن ينسى أن يمد يده فى صدره ليرى الناس أن ملابســـه الداخلية نظيفة ٠

---

(١٦) ملاح عجوز ، تقول الاساطير اليونانية انه يعبر بأرواح الموتى الى شاطىء العالم الآخر ٠

فــــــــــــابر : وداعا يادانتون ! اننى أموت مرتين ··

دانتـــــــــــون : وداعا ياصديقى ! المقصلة خير طبيب ·

هــــــــــــيرو : (يريد أن يعانق دانتون) : آه يادانتون ! لقد أصبحت عاجزا عن اخراج نكتة واحدة ! لقد آن الأوان · (يدفعه أحد الجلادين بعنف)

دانتـــــــــــون : (للجلاد) أتريد أن تكون أقسى من الموت ؟ أتستطيع أن تمنع رؤوسنا من تقبيل بعضها فى قاع السلة ؟!

« شــــــــارع »

لوســــــــــيل : كأن الأمر جد ·· أريد أن أفكر ·· بدأت أفهم شيئا كهذا ·· الموت ! الموت ! كل شىء من حقه أن يعيش ·· كل شىء ·· البعوضة ·· والعصفور ·· ولماذا لا يعيش هو أيضا ؟ كان يجب أن يتوقف تيار الحياة ·· لو انسكبت قطرة دم واحدة ·· كان يجب أن تجرح الأرض من طعنة واحــدة ·· كل شىء يتحـــرك : الساعات تدور ·· النواقيس تدق ·· الناس يمشون الماء يجرى · وكل شىء يسير حتى يصل الى هناك ·· الى هناك ·· لا ·· لايجب أن يحدث ذلك ·· لا ·· سأجلس على الأرض وأصرخ حتى يتوقف كل شىء من الرعب ·· يتوقف كل شىء ·· لا يتحرك شىء ·

(تجلس على الأرض وتغطى عينيها وتصرخ

صـرخة مفجعة .. تنهض واقفة بعـد فترة صمت) ..

لا فائدة .. كل شىء كما هو : البيوت .. الأزقة .. الريح تهب . السحب تمر .. علينا أن نتحمل هذا العذاب ..

(بعض النسوة يظهرن قادمات من الزقاق)

المـرأة الأولى : هيرو ! ياله من رجل فتان ! .

المـرأة الثـانية : عندما رأيته فى عيد الدستور واقفا تحت قوس النصر قلت لنفسى سيكون منظره تحت المقصلة عجيبا .. كانت مجرد فكرة خطرت على بالى .

المـرأة الثالثة : نعم . يجب أن نرى الناس فى كل الظروف .. رائع أن يصبح الموت شيئا علنيا ..
(تخرجن)

لوسـيل : ياحبيبى كاميل .. أين أجدك الآن ؟ ..

ميدان الثورة ـ جلادان مشغولان بالعمل)

(فى تنظيف المقصلة)

الجـلاد الأول : (يقف فوق المقصلة ويغنى) :
وحين أعود لبيتى
يبدو القمر جميلا

الجـلاد الثانى : هيه . .هل أوشكت أن تنتهى ؟

الجـلاد الأول : حالا . حالا .. (يغنى) :

ويضيء القمر لجدى

فيرانى من نـــافذته

ويقول بصــوت عال

ولدى هل عدت أخيرا

للبيت من المـــاخور ؟

هكذا ! . ناولنى سترتى ! .

(ينصرفان وهما يغنيان)

وحين أعـــود لبيتى

يبدو القمر جميلا ...

لوســـــــيل : (تظهر على المســرح وتجلس على درجات المقصـــلة) : هأنذا أجلس على حجرك ..

ياملاك الموت الرحيم .. (تغنى) :

الموت جـــلاد

وســـيفه ظامى

أنت أيها المهد الجميل ، يامن هدهدت حبيبى كامين لينام ، وخنقته تحت أنفاس زهورك . أنت ياناقوس الموت ، يامن غنيت له بلســانك العذب حتى دخل القبر .

(تغنى) :

ويحصد الآلاف

بالمنجل الدامى

(تظهر داورية من الحراس)

مـــــــــــواطن : هه ! من هناك ؟!

لوســـــــــــيل : (تفكر قليلا وكأنها تصمم على قرار ثم تهتف فجأة) : عاش الملك !

مـــــــــــواطن : باسم الجمهورية ! (يحيط بها الحـــــراس ويقتادونها) ..

(النهــــاية)

* * *

ليونس ولينـــا

تقـــــديم

الفيبرى : والمجـد ؟
جوتزى : والجوع ؟ (١)

(١) يضع بشنر هذا الشعار لمسرحيته على لسان الشاعرين الايطاليين الشهيرين ألفييرى (١٧٤٩ ـ ١٨٠٣) الذى ألف مسرحيات تراجيدية تمجد البطولة المثالية والارادة مثل شائول وماريا ستيوارت وميـرا ، وجوتزى (١٧٢٠ ـ ١٨٠٦) الذى كان معاصرا ومنافسا لجولدونى الكاتب الكوميدى الشهير ، وألف مسرحيات تتميز بطابعها الشعبى وروحها المرحة وتمسكها بالجانب المادى من الحياة مثل توارندو (التى أعاد شـيلر كتابتها فيما بعد) وحب البرتقالات الثلاث (التى لحنها الموسيقى الروسى بروكوفييف) ولعل بشنر قد أراد بهذا الشعار أنه اذا كان الشعراء المثاليون الذين يبغضهم أشد البغض قد بحثوا عن المجد فان الشـعراء المـاديين ـ ان صح هذا التعبير ! ـ قد عرفوا أن جوع البطون يطرد المثل العليـا من الدمـاغ ! (انظر المقدمة ورأيه فى شيلر) ٠

ليونس ولينـــا

الشــــــــخصيات :

الملك بيتر : من مملكة بوبو

الأمير ليونس : ابنه وخطيب لينا

لينـــا : من مملكة بيبى

فاليريو

المربيـــــة

رئيس التشريفات

رئيس الوزراء

واعظ البلاط

أعضاء مجلس الوزراء

المدرس

روزيتـــا

خدم ـ وزراء ـ فلاحون .. الخ .

الفصــل الأول

ياليتنى كنت أحمق
فلست أطمع الا
فى سترة حمراء ··
(كما تهواه لشيكسبير)

● **المشـــهد الأول :**

« بستان · ليونس مستريحا على احدى الأرائك · المعلم » ·

ليـــــــــونس : سيدى، ماذا تريد منى ؟ أتريد أن تعدنى لمهام وظيفتى ؟ ان يدى مزدحمتان بالعمـــل ، ولا أدرى كيف أتصرف ــ انظر ، ان على أولا أن أبصق على هذا الحجر ثلاثمائة وخمسا وستين مرة متتالية · ألم تجرب ذلك بعد ؟ حـــاول وسوف ترى أنه يضمن لك تسلية فريدة · ثم ــ هل ترى هذه الحفنة من الرمال ؟

(يتناول حفنة من الرمل ويلقى بها فى الهواء ثم يتلقاها بظهر يده)

هأنذا ألقى بها فى الهـــــواء · أتحب أن نتراهن ؟ كم حبة من الرمل على ظهـــر يدى الآن ؟ عدد زوجى أم فردى ؟ ماذا ؟ ألا تريد أن تدخـــل فى الرهان ؟ هل أنت وثنى ؟ هل تؤمن بالله ؟ اننى فى العادة أتراهن مع نفسى وأستطيع أن أفعل ذلك طوال أيام عديدة · اذا استطعت أن تقنع انسانا يلمس فى نفسه الرغبة فى أن يدخل معى أحيانا فى رهان ، فستؤدى الى خدمة مشكورة · ثم ان على ـ أن أتفكر كيف يكون حالى لو أمكننى أن أرى نفسى واقفا على رأسى · آه ! لو استطاع الانسان أن يرى نفسه وهو واقف على رأسه ! هذا هو أحـــد المثل العليا التى أسـعى اليها · لو تم هذا لساعدنى كثيرا · ثم ـ ثم أحلام من هذا النوع لانهاية لها · ـ أترى أننى لا أجد ما أعمله ؟ أليس لدى الآن عمل أقوم به ؟ ـ نعم ، انه لشىء محزن ··

المعـــــلم : محزن جدا ، ياصاحب السمو ·

ليـــــونس : السحب تزحف منذ ثلاثة أسابيع من الغرب الى الشـــرق · هذا شىء يجعلنى فى منتهى الاكتئاب ·

المعـــــلم : أكتئاب له مايبرره ياصاحب السمو ·

ليـــــــــونس : أف ! لماذا توافقنى دائما ؟ لماذا لا تعارض كلامى ؟ لديك أعمـــال ملحة ، أليس كذلك ؟ يؤسفنى أننى عطلتك كل هذا الوقت · (يبتعد المعلم بعد أن ينحنى انحناءة شديدة) سيدى ، أهنئك على القوس الجميل(٢) الذى تصـــنعه ركبتاك عندما تنحنى ·

ليـــــــــونس : (وحده ـ يتمدد على الأريكة) النحل يرقد فى كسل على الزهور ، وضوء الشمس يرقد فى خمول على الأرض ، وفراغ مفزع ينتشـــر حولى الفراغ هو أصل كل الرذائل ـ ما أكثر ما يفعله الناس بدافع الملل ! انهم يدرســـون لاحساسهم بالملل ، ويصلون لشعورهم بالملل، والملل هو الذى يجعلهم يحبـــون ويتزوجون ويتكاثرون ، وفى النهاية يموتون من الملل ، وهم يفعـــلون ذلك كله ـ وهذا هو مبعث الضحك فى الأمر كله ـ بنفس الوجوه الجادة الصارمة ، دون أن يعرفوا سببا لذلك ، والله وحده يعلم لماذا · كل هؤلاء الأبطال ، هؤلاء العبـــاقرة ، والأغبيـــاء ، والقديســـون ، والمذنبون ، والآباء ليســـوا فى الحقيقـــة الا متبطلين فارغـــين · ولـكن لمـــاذا كتب على أن أعرف ذلك ؟ لماذا لا أصبح مهما مثلهم

---

(٢) القوس هو العلامة التى توضع بينها الكلمات ، وهو نوع من التلاعب بالألفاظ الذى يسود المسرحية كلها ويعبر عن جو الملل والسأم الذى ينتشر فيها وتحاول الشخصيات أن تطرده عن نفسها ·

وألبس الدمية المسكينة سترة السهرة السوداء وأعطيها مظلة واقية من المطر تضعها فى يدها ، حتى تصير متأنقة نافعة وطيبة الخلق ؟ ـ هذا الرجل الذى انصرف الآن عنى ، كم أحسده ، وكم وددت لو استطعت أن أعبر عن حسدى بعلقة أعطيها له ! آه لو كان فى استطاعة الانسان أن يتحول شخصا آخر ، ولو لدقيقة واحدة ! ـ (يظهر فاليريو وهو سكران قليلا) • هذه المشية التى يمشيها ! ليتنى أعرف شيئا تحت الشمس يدفعنى أنا أيضا على المشى !

فاليريو : (يقف فى مواجهة الأمير ، ويضع أصبعه على أنفه ويبحلق فى وجهه) : نعم !

ليونس : (فى مثل لهجته) صحيح !

فاليريو : هل قصدتنى ؟

ليونس : بالضبط ••

فاليريو : تريد اذن أن نتحدث عن شىء آخر (يرقد على العشب) سوف أستلقى فى هذه الأثناء على العشب ، وأترك أنفى تزدهر بين رؤوس الأعشاب ، وأستمد منها احساسات رومانتيكية حين أجد النحل والفراشات تهتز فوقها كما تهتز فوق زهرة •

ليونس : ولكن لا تتنشق ياعزيزى بكل هذه القوة ، والا تضور النحل والفراش جوعا لكثرة الروائح التى تشدها من الزهور •

فـــــــاليريو : آه ياسيدى ! ما أعجب هذا الاحساس الذى أحمله للطبيعة ! لقد بلغ العشب من الجمال درجة يتمنى معها الانسان أن يكون ثورا لكى يستطيع أن يفترسه ، ثم يتمنى أن يعود فيتحول انسانا لكى يأكل الثور الذى افترس مثل هذا العشب ! •

ليـــــــونس : أيها الشقى ! يبدو أنك تعذب نفسك أيضا بالمثل العليا •

فـــــــاليريو : انها مصيبة فادحة ! فلا يستطيع الانسان أن يقفز من فوق برج كنيسة بغير أن تكسر رقبته • ولا يستطيع أن يأكل أربعة أرطال من الكرز بغير أن يصيبه المغص • انظر ياسيدى ، ان فى استطاعتى أن أجلس فى زاوية وأغنى من المساء حتى مطلع الصبح : « هاى ، هناك ذبابة على الحائط ! ذبابة على الحـــائط ! ذبابة على الحائط » وهكذا الى آخر لحظة فى حياتى •

ليـــــــونس : كف عن أغنيتك السخيفة ، ان الانسان يكاد يجن عند سماعها •

فـــــــاليريو : اذن لأصبح الانسان شيئا • مجنون ! مجنون ! من ذا الذى يحب أن يأخذ منى عقلى ويعطينى جنونه ؟ ها ! أنا الاسكندر الأكبر ! الشمس تسطع فى شعرى كأنها تاج من الذهب ، وما أجمل ما تلمع بذلتى العســكرية ! أيتهــا الجرادة ! أنت القائد الأعلى ! دعى القوات

تتقدم ! أيها العنكبوت ! أنت وزير المالية ! أنا فى حاجة الى مال ! وأنت أيتها الفراشة ! ياوصيفتى العزيزة ! كيف حال زوجتى العزيزة الغاصوليا ؟ وأنت أيها الذباب الاسبانى ! ، ياطبيبى الخاص ذراح(٣) ! أنا فى حاجة الى ولى للعهد ! ومع هذه الخيالات اللذيذة يحصل الانسان على شـــربة ممتعة ، ولحم طيب ، وخبز لذيذ ، وفراش ناعم ، ويحلق شـــعره مجانا ـ أعنى فى مستشفى المجانين ـ بينما أنا بعقلى السليم لا أصلح الا لتسميد شجرة كرز ، لكى ؟ ـ لكى ؟ ..

ليـــــــونس : لكى تجعل حبات الكرز تتســـاقط من ثقوب سروالك حمراء من الخجل ! ولكن أيها العزيز، ماذا عن صنعتك ، مهنتك ، حرفتك ، مركزك ، فنك ؟

فـــــــاليريو : (فى كبرياء) سيدى ، ان شغلى الأكبر هو الصعلكة ! وبراعتى التى لا نظير لها هى ألا أعمل شيئا ، وعندى الصبر الهائل على الكسل .. مامن عمل أهان كفى بالشقوق ، ولا شربت الأرض قطرة عرق من جبهتى ، فمازلت عذريا من ناحية العمل ، ولولا أن الأمر يكلفنى من

---

(٣) نوع من الحشرات المغمدات الجناح من فصيلة الذراريح منتشر فى جنوب أوربا

الجهد فوق طاقتى ، لبذلت جهدى فى شرح هذه المآثر كلها لك(٤) ·

ليـــــوتس : (فى حماس مضحك) تعال الى صدرى ! ألست واحدا من الالهيين الذين يجوبون طريق الحياة خلال العرق والتراب بغير عناء وبجبهة صافية، ويدخلون الى الأوليمب بأقدام لامعة وأجساد زاهية كأنهم آلهة مباركون ؟ تعال ! تعال !

فـــاليريو : (يغنى وهو ينصرف) هاى ! هناك ذبابة على الحائط : ذبابة على الحـــائط ! ذبابة على الحائط !

(ينصرفان وكلاهما ممسك بذراع الآخر)

***

● المشـــهد الثانى

غــــرفة

(الملك بيتر يساعده خادمان على ارتداء ملابسه)

بيـــــتر : (والخادمان يلبسانه ثيابه) من الواجب على الانسان أن يفكر ، وواجبى أن أفكر لرعيتى ،

---

(٤) يلاحظ أن المهرج فاليريو ــ فى هذا الموضع وفى سواه ــ يتلاعب بألفاظ اللغة كما يتلاعب بكل شىء وكل قيمة ·وقد حاولت جهد الطاقة أن أبين هذا فى الترجمة ·

لأنهم لا يفكرون ، لا يفكرون · الجوهر هو الموجود فى ذاته ، وهذا هو أنا(٥) · **(يتجول فى الغرفة شبه عار)** مفهوم ؟ فى ذاته هو فى ذاته ، أتفهمون ؟ الآن تأتى صفاتى ، وأحوالى وانفعالاتى ، وأعراضى : أين قميصى ، أين سـروالى ؟ ـ قف ! الارادة الحرة مفتوحة تماما · أين الأخلاق : أين الأساور ؟ المقولات فى ارتباك مخجـل : لقد أحكم زراران أكثر من اللازم ، العلبة فى الجيب الصحيح ، مذهبى كله انهار ـ ها !ما معنى هذا الزرار الموضوع فى المنديل ؟ انت ياغلام ! مامعنى هذا الزرار، ما الذى أردت أن أذكر به نفسى ؟

الخـادم الأول : عندما شاءت ارادة جلالتكم أن تضعوا هذا الزرار فى منديلكم ، كنتم تريدون ··

الملك : ماذا كنت أريد ؟

الخـادم الأول : أن تتذكروا شيئا ·

بيـتر : جواب محير ! والآن ، ماذا تقصد ؟

الخـادم الثانى : أردتم جلالتكم أن تتذكروا شيئا ، عندما شاءت ارادة جلالتكم أن تضعوا الزرار فى منديلكم ·

بيـتر : (يذرع الغرفة جيئة وذهابا) : ماذا ! ماذا ؟

---

(٥) يلاحظ هنا وفى السطور التالية أن بشنر يسخر بفلسفة كانط وبخاصة من نظرية المعرفة لديه ونظريته عن الشىء فى ذاته الذى يرى انه موجود ولكن يستحيل التوصل اليه أو معرفته بالعقل ! ··

انهم يحيروننى · اننى فى أشد الارتباك ··
لست أدرى ماذا أفعل · (يظهر أحد الخدم)

الخـــــــادم : ياصاحب الجلالة ، لقد اجتمع مجلس الوزراء ·

بيــــــتر : (فرحا) نعم ، هو ذاك ! هوذاك ! لقد أردت أن أتذكر شعبى · تعالوا يا سادتى ! اجعلوا خطواتكم متناسقة · أليس الجو شديد الحرارة؟ أخرجوا مناديلكم وامسحوا بها وجوهكم ! اننى أصاب دائماً بالارتباك حين أتحدث فى اجتماع عام · (ينصرف الخدم · الملك ـ الوزراء)

بيــــــتر : يا أحبائى وأعزائى ، أردت بهذا الاجتماع أن أخبركم وأنهى الى علمكم ، أن أخبركم وأنهى الى علمكم ـ ذلك أنه اما أن يتزوج ابنى ، واما الا يتزوج ـ (يضع أصبعه على أنفه) : اما أو ـ أنتم تفهموننى بطبيعة الحال ؟ وليس هناك أمر ثالث · الواجب على الانسان أن يفكر (يقف لحظة متفكرا) : عندما أتحدث بصوت مرتفع لا أدرى عندئذ ان كنت أنا الذى أتحدث أو شخص آخر سواى ، ان ذلك يفزعنى ·· (بعد فترة من التفكير الطويل) أنا هو أنا ـ ما رأيك فى هذا ، ياسيادة الرئيس ؟

الـــــــرئيس : (فى بطء وتثاقل) ياصاحب الجلالة ، ربما كان الأمر كذلك ، ولكن ربما لم يكن أيضا كذلك ·

الوزراءجميعا فى صوت واحد : نعم ، ربماكان الأمر كذلك ، ولكن ربما لم يكن أيضا كذلك ·

بيـــــــــتر : (فى تأثر) آه ياحكمـــائى ! فيم اذن كنت أتحدث ؟ عن أى شىء كنت أريد أن أتكلم ؟ ياسيادة الرئيس ، لم كانت ذاكرتك ضعيفة كل هذا الضعف فى مثل هذا الحفل العام ؟ رفعت الجلسة ·

(يبتعد فى مظاهرة فخمة ووراءه الوزراء)

***

● **المشـــــهد الثالث**

(قاعة رائعة الزينة ـ شموع تحترق)

(ليونس مع بعض الخـــدم)

ليـــــــونس : هل أسدلت جميع الستائر ؟ أوقدوا الشموع ! ليذهب النهار الى غير رجعة ! أريد الليل · الليل الالهى ، المعطر ، العميق(٦) ضـــعوا المصـــابيح تحت الكئوس البلورية فى زهور

---

(٦) الكلمة الأصلية هى « الليل الأمبروزى » ، نسبة الى دهان أو مسك الهى تتحدث عنه الأساطير الاغريقية ، وليلة أمبروزية اى ليلة معطرة بأريج المتعة واللذة ·

الدفلى ، حتى تحلم مثل عيون العذارى تحت رموش الأوراق · قربوا الزهور ، حتى تفيض الخمر كقطرات الندى من الكئوس · موسيقى ! أين الكمنجات ! أين روزيتا ؟ — اذهـــوا — اخرجوا جميعا !

(ينصرف الخدم · ليونس يتمدد على سرير — تدخل روزيتا فى رداء رشيق · تســـمع موسيقى من بعيد)

روزيتـــــــا : (تقترب مداعبة) ليونس !

ليـــــــونس : روزيتا !

روزيتـــــــا : أوه !

ليـــــــونس : آه ياروزيتا · أمامى عمل فظيع ··

روزيتـــــــا : وماهو ؟

ليـــــــونس : الا أعمل شيئا ··

روزيتـــــــا : سوى أن تحب ؟

ليـــــــونس : وياله من عمل !

روزيتـــــــا : (وقد أحست بالاهانة) ليونس !

ليـــــــونس : أو ياله من انشغال !

روزيتـــــــا : أو من فراغ ·

ليـــــــونس : معك الحق كما تعودت دائما ، أنت فتاة ذكية وأنا أقدر فيك حدة الذكاء ·

روزيتــــــــــا : وهكذا تحبنى لاحساسك بالملل ؟

ليـــــــونس : لا ، بل اننى أحس بالملل لأننى أحبك . ولكننى أحب الملل الذى أشعر به تماما كما أحبك . أنتما عندى شىء واحد . ما أحلى ألا يعمل الانسان شيئا !(٧) اننى أحلم بالنظر فى عينيك كما لو كانا نبعين عميقين حافلين بالأسرار والمعجزات ، تقبيل شفتيك يجلب لى النعاس مثل ما يفعل خرير الأمواج . (يعـــانقها) تعال ، أيها السأم المحبوب . شفتاك تثاؤب شهى ، وخطاك ايقاع رتيب(٨) .

روزيتــــــــــا : هل تحبنى ياليونس ؟

ليـــــــونس : ولم لا ؟

روزيتــــــــــا : تحبنى دائما ؟

ليـــــــونس : دائما ؟ هذه كلمة طويلة ! ان أحببتك خمسة آلاف سنة وسبعة شهور ، فهل يكفيك هذا ؟ انها تقل بكثير عن دائما ، ولكنها على كل حال مدة كافية ، وفى استطاعتنا ان ندخر الوقت الذى يكفى لنتبادل الحب معا .

روزيتــــــــــا : وربما سلبنا الوقت الحب .

---

(٧) فى الأصل بالايطالية .

(٨) الكلمة الأصلية لاتينية وهى Hiatus اى التثاؤب ويقصد بها فى علم اللغة تلاقى صوتين متحركين فى نهاية كلمة وبداية كلمة أخرى (مثل أنا آخذ) ويشبه بها ليونس خطوات روزيتا .

ليـــــــونس : أو ربما ســـــلبنا الحب الوقت : ارقصى يا روزيتا ، ارقصى ، حتى يمضى الزمن على وقع قدميك الرقيقتين !

روزيتـــــــا : تود قدماى لو خرجتـا عن الزمن ، (**ترقص وتغنى**) :

أواه يارجلى

رجلى المضنيين

لابد من رقصة

فى ذلك الحذاء

الأحمر اللون

ولو ملكتما

لغصتما فى الأرض

وغبتما هناك

فى جوفها العميق

فى جوفها العميق .

وآه ياعينى

عينى الحلوتين

لابد أن تلتمعا

فى وهج الشموع .

ولو ملكتما

أغفيتما طويلا
فى عتمة الظلام
من شدة الآلام ·
من شدة الآلام ·
وآه ياخدى
خدى الدافئين
لابد أن تحترقا
فى لهب العناق
فى حين تنشدان
لو ازدهرتما
كمثل زهرتين
فى ألق الربيع ·
فى ألق الربيع ·

ايـــــونس : (حالما) آه ! ان حبا يموت خير من حب يولد · أنا رومانى ، أجلس الى مائدة الطعام الشهى بينما تلعب الأســـماك الذهبية بألوانها وهى تموت ، كنوع من التحلية للوجبة اللذيذة ·· انظـــرى الى اللون الأحمـــر وهو يموت فى خدودها ، والأعين التى ينطفىء لهيبهـــا فى سكون ، واهتزازات أعضـــائها وهى ترتفع وتهبط فى هدوء · الوداع ، الوداع ، ياحبيبتى

أريد أن أحب جثتك . (روزيتا تعود فتقترب منه) هل تبكين ياروزيتا ؟ أن القـدرة على البكاء طبـع أبيقورى لطيف . اجلسى فى الشـمس ، حتى تتحول القطرات الغالية الى حبات من البللور ، لابد أن تصبح قطعا بديعة من الماس . تستطيعين أن تصنعى منها عقدا .

روزيتــــا : تقول قطعا من الماس ، وهى تجـرح عينى كالسكاكين . آه ياليونس ! (تريد أن تضمه الى صدرها) .

ليـــونس : احذرى ! رأسى ! لقد دفنت حبنا فيه . انظرى فى نوافذ عينى ! ألا ترين أن المخلوق المسكين قد مات وشـبع موتا ؟ ألا ترين الزهرتين البيضـاوين على وجنتيـه ، والزهـرتين الحمراوين على صـدره ؟ لاتدفعينى ، حتى لا ينكسر له ذراع ، والا كانت خسارة . ان على أن أحمل رأسى فوق كتفى كما تحمل الندابة تابوت طفل صغير .

روزيتــــا : (مازحة) مجنون !

ليـــونس : روزيتا ! (روزيتا تقطب وجههـا مداعبة) الحمد لله ! (يغمض عينيه) .

روزيتــــا : (مفزوعة) ليونس ! انظر الى !

ليـــونس : مستحيل !

روزيتــــا : نظرة واحدة !

ايـــــــــونس : ولا نظرة ! فما هى الاشعرة واحدة ويولد حبى العزيز من جديد · اننى سعيد لأننى دفنته فى التراب · أنا الآن أحتفظ بطعمه ·

روزيتـــــــــا : (تبتعد حـــزينة بطيئة الخطى ، وتغنى وهى تنصرف) :

ما أنا الا طفلة يتيمة

تخاف من وحدتها الأليمة

أواه ! يالوعتى الرحيمة

ليتك ياصديقتى الحميمة

ترافقين رحلتى العقيمة

ورقدتى وأكلتى المسمومة(٩)

ليـــــــــونس : (وحده) ما أعجب أمر الحب ! يرقد الانسان فى فراشه عاما بأكمله بين اليقظة والمنام ، ثم اذا به يستيقظ ذات صباح جميل ، فيشرب كوب ماء ، ويرتدى ثيابه ، ويمر بيده على جبهته ، ويتفكر ، ويتفكر · ياالهى ! كم عدد النساء اللائى يحتاج اليهن الانسان لكى يغنى على سلم الحب صـــعودا وهبوطا ! لا تكاد توجد امرأة تؤدى نغمة واحدة · لماذا يتجمع البخار

---

(٩) تصرفت قليلا فى الاغنية الأصلية التى تقول : أنا يتيمة مسكينة ، أخاف من الوحدة الشديدة ، آه يا أيها الحزن العزيز ، الا تريد ان تأتى معى الى البيت ؟

فوق أرضنا كأنه مخروط زجاجي يكسر شعاع الحب الأبيض المتوهج في قوس قزح ؟ (يشرب) أين الخمر التي سأسكر بها اليوم ؟ في أية زجاجة يختبيء ؟ هل فقدت القدرة حتى على السكر ؟ هأنذا كما لو كنت أجلس أمام خرطوم ينفث الهواء . والهواء تلسعني برودته ، حتى أكاد أتجمد ، وكان على أن أرتدي سراويل « نانكنج »(١٠) لأتزحلق على الجليد - سادتي ، سادتي ، هل تعرفون كاليجولا ونيرون ؟ أنا أعرفهما . - تعال يا ليونس . اسمعني حديثك الى نفسك ، فأنا أريد أن أنصت اليك .

حياتي تتثاءب في وجهي كأنها ورقة كبيرة بيضاء ، كتب على أن أملأ صفحتها ، غير أنني لا أقدر على كتابة حرف واحد . رأسي قاعة رقص خالية ، زهرات ذابلة على الأرض واشرطة مثنية ملقاة ، كمنجات مهشمة في ركن بعيد ، ومن تخلف من الراقصين نزعوا الأقنعة عن وجوههم وراحوا يتطلعون الى بعضهم البعض بعيون منهكة من التعب . أنا أتعثر حولي كل يوم أربعة وعشرين مرة كأنني قفاز يوضع في اليد .. آه ! أنا أعرف نفسي،

---

(١٠) سراويل من القطن كثيفة مصقولة تمتاز بألوانها الصفراء الضاربة الى الحمرة ، وتسمى بهذا الاسم نسبة الى مدينة نانكنج الصينية .

أنا أعلم فيم سأفكر وأحلم فى الربع ســاعة القادمة ، فى ثمانية أيام ، فى ســنة كاملة . الهى ! أى ذنب جنيت حتى تجعلنى أكرر درسى كالتلميذ الخــائب كل هذا الوقت ؟ برافو ياليونس ! برافو !(**يصفق بيديه**) اننى أشعر بمنتهى الفرح حين أنادى نفسى بهذا النداء . ها ! ليونس ! ليونس !

فــــاليريو : (الذى يظهر من تحت مائدة) يبدو أن سموك فى طريقك الى أن تكون مغفلا حقيقيا .

ليــــونس : نعم . نفس الشىء يتضح لى أنا أيضا .

فــــاليريو : انتظر قليــلا . نريد أن نتحدث فى ذلك على النور ! لازالت أمامى قطعة لحم مشوى أخذتها من المطبخ ، وقليل من الخمر ســرقته من مائدتك . سألتهمها حالا !

ليــــونس : يااللمفترس ! الوغد يسبب لى احساسات خيالية لذيذة ، انى أتمنى الآن لو أعود فأبدأ من أبسط الأشياء ، فآكل الجبن ، وأشــرب الجعة ، وأدخن الطباق . هيا أسرع ، ولا تقبع هكذا بخرطومك ، ولا تصر هكذا بأنيابك !

فــــاليريو : ياسيدى العزيز أدونيس(١١) ، هل تخاف على فخذيك ؟ لا تخش شيئا فلست صانع مكانس

---

(١١) أدونيس : تذكره الأساطير الفينيقية شابا رائع الجمال ، جرحه خنزير برى جرحا مميتا فحولته ربة الحب أفروديته الى زهــرة شـقائق النعمان .

ولا أنا معلم فى مدرسة ، لست فى حاجة الى أعواد لبلاب لأفتل منها سياطا ·

ليـــــــونس : لست مدينا بشىء لأحد ·

فـــــــاليريو : تمنيت لو كان هذا هو حال سيدى ·

ليـــــــونس : هل تقصد العلقة التى تستحقها ؟ أتهتم كل هذا الاهتمام بأمر تربيتك ؟

فـــــــاليريو : ياالهى ! أسهل على الانسان أن يولد من أن يربى · من المحزن أن يرى المرء فى أية ظروف يضعه غيره ممن تختلف ظروفهم عنه ! كم من أسبوع عشته منذ أن حملت بى أمى !(١٢) وكم من خير لقيته حتى أشكر اليوم الذى تلقتنى فيه القابلة ؟

ليـــــــونس : أما فيما يتعلق بحملك ، فليس هناك مايحملك على أن تحمل على أمك لأنها حملت بك · عبر عن نفسك تعبيرا أفضل · والا أصابك أســوأ انطباع من طبعى ·

فـــــــاليريو : عندما أبحرت سفينة أمى حول جبال الرجاء الصالح ···

ليـــــــونس : وتكسرت سفينة أبيك عند رأس القرن ··

فـــــــاليريو : صدقت ، فقد كان من حراس الليل · ومع ذلك

---

(١٢) يلجأ بشنر هنا أيضا الى التلاعب بالألفاظ واستخدام الجنـــاس والكناية ·

فلم يكن من عادته أن يضع القرون على الشفاه
كما يضعها آباء النبلاء على الجبين ·

ليـــــــونس : أيها الوغد ! أنت تملك موهبة الوقاحة السماوية
·· اننى أشعر بحاجة تدفعنى الى استغلالها
عن قرب · كما أشعر بشوق عظيم لأن أضربك
علقة ·

فـــــــاليريو : هذا جواب مفحم وبرهان قاطع ·

ليـــــــونس : (يهجم عليه) وأنت نفسك جواب مهزوم ··
ذلك أنك ستأخذ علقة عليه ·

فـــــــاليريو : (يفر منه · ليونس يتعثر ويسقط) وأنت برهان
مازال ينتظر الاثبات ، ذلك لأنه يسقط على
ركبتيه ، اللتين تحتـــــاجان فى الحقيقة الى
الاثبات · انهما عبارة عن عضلات ساق على
أقصى درجة من عدم الاحتمال ، وافخاذ تعد
مشكلة عويصة ·

(يدخل الوزراء · ليونس يظل جالســا على
الأرض · فاليريو)

رئيس الــــوزراء : هل تغفرون لى ياصاحب السمو ؟

ليـــــــونس : كما اغفر لنفسى ! كما أغفر لنفسى ! اننى اغفر
لها حسن النية الذى يجعلنى انصت اليك ··
سادتى ، الا تحبون أن تجلســـوا ؟ ــ يالهذه
الملامح التى تكسو وجوههم حين يسمعون كلمة
« الجلوس » · اجلســـوا على الأرض ولا

تتحرجوا ! انها المكان الاخير الذى ستشغلونه فى يوم من الأيام ، ولكنه مكان لا يكلف أحدا أى شىء ، اللهم الا حفار القبور !

رئيس الوزراء : (الذى يمضى فى تحريك أصبعه نفس الحركة السريعة) :

هل تتعطفون سموكم ، بخصوص ...

ليوتس : يا الهى ، أخف يديك فى جيوب سروالك ، أو اجلس عليهما . لقد خرج عن طوره تماما .. تماسك يارجل !

فاليريو : لا يصح أن يقاطع الانسان طفلا يتبول ، والا حصلت له حبسة ...

ليونس : يارجل ! أمسك نفسك ! فكر فى أسرتك ، فى مهام الدولة ! لو وقفت خطبتك فى حلقك فربما تتعرض للاصابة بالشلل !

رئيس الوزراء : (يسحب ورقة من جيبه) هل تسمحون ياصاحب السمو ..

ليونس : ماذا ؟ وتستطيع أيضا أن تقرأ ؟ ؟ ماذا اذن ..

رئيس الوزراء : ان صاحب الجلالة يحيط علم سموكم بأن غدا هو موعد وصول عروس سموكم صاحبة السمو والرفعة الأميرة لينا من مملكة بيبى ..

ليونس : اذا كانت عروسى تنتظرنى فسوف أنفذ ارداتها وأجعلها تنتظرنى . لقد رأيتها ليلة أمس فى المنام . كانت لها عينان واسعتان بحيث يصلح

حذاء الرقص الذح تلبسه روزيتا ليكون حاجبا لهما • اما على خديها فلم أر اخاديد غائرة بل حفرا تتسع لضحكاتها • اننى أؤمن بالأحلام • هل تحلم أنت أيضا فى بعض الأحيان ياسيادة الرئيس ؟ هل يحدث لك أن ترى رؤيا أو الهاما ؟

فـــــاليريو : بالطبع • كلما ســمع أنه فى اليوم التالى سيشوى لحم أو يذبح ديك(١٣) أو أن سموكم الملكى سيصاب بمغص •

ليـــــونس : على فكرة • ألم يبق شىء على طرف لسانك ؟ هات كل ما عندك •

رئيس الــوزراء : لقد شاءت الارادة العليا لصــاحب الجلالة الملكية أن يضـع فى يوم الزواج كل مظاهر ارادته السامية بين يدى سموكم •

ليـــــونس : بلغ مسامع صاحب الارادة الســامية أننى سأفعل كل شىء باستثناء ماسوف أبقيه على حاله ، وهو مالن يكون على كل حال أكثر مما لو كان كثيرا •• — سادتى ، اعذرونى فلن أستطيع مصــاحبتكم ، وأنا فى هذه اللحظة متحمس للجلوس ، ولـكن رحمتى بلغت من الاتســاع حدا أعجز معه عن قياس مداها برجلى (يفرج مابين رجليه) سيادة رئيس الوزراء ، تناول المقياس لكى تذكرنى به فيما بعد • فاليريو ، اصحب السادة الى الباب !

---

(١٣) الكلمة الأصلية تدل على نوع خاص من الديكة المخصية وهـى الكابوان •

فـــــــاليريو : جرس الباب ؟ هل أعلق على ســيادة رئيس الوزراء جرسا ؟ هل أسوق السادة كما لو كانوا يسيرون على أربع ؟

ليـــــــوتس : أيها الوغد ، ما أنت الا تلاعب سيىء بالألفاظ • ليس لك أب ولا أم ، فقد رقدت الحروف الخمسة مع بعضها فأنجبتك •

فـــــــاليريو : وأنت أيها الأمير ، كتاب بلا حروف ، وليس فيه الا الشرط • تعالوا أيها السادة ! ان كلمات مثل « تعالى » و « ادخل » و « اخـــرج » و « اصعد » و « انزل » أمرها محزن • فاذا أردت أن يكون لك دخل ، فلابد لك أن تسرق ، واذا أردت أن تصعد فليس أمامك الا أن تشنق نفسك ! أما المنزل فلا يعثر عليه الانسان الا اذا استقر فى قبره ، وأما المخرج فهو مضمون فى كل لحظة كلما لجأت الى النكتة ، ولم يكن لديك شىء تقوله كما أفعل الآن على سبيل المثال ، وكما فعلتم أنتم أيضـــا قبل أن تقولوا كلمة واحدة • لقد دخلتم فى اتفاق وانتم مطالبون الآن بالبحث عن طريقة للخروج •

(ينصرف الوزراء وفاليريو)

ليـــــــوتس : ما أحقر أن أجعل من نفسى فارسا على حساب هؤلاء المساكين ! ولكن ماذا افعل اذا كانت الحقارة لا تخلو من المتعة ؟ أتزوج ؟ معنى هذا أن افرغ بئرا فى جوفى • آه ياشـــاندى ،

يأشاندى العجوز !(*) · من ذا الذى أهدانى ساعتك ؟ (يعود فاليريو) آه يافاليريو ، هل سمعت ؟

فـــــــاليريو : يظهر أنك ستصبح ملكا · هذا شيء مضحك · فى استطاعة المرء عندئذ أن يخرج للنزهة طول النهار ، ويتلف قبعات الناس من كثرة ما يرفعونها لتحيته ، فى استطاعته أن يفصل من الناس المحترمين عساكر محترمين ، حتى يصبح كل شيء طبيعيا تماما ، ويستطيع كذلك أن يحول السترات السوداء وأربطة العنق البيضاء الى خدم مطيعين للدولة · وعندما يموت ، تسير كل الرؤوس الصلعاء حزينة فى جنازته ، وتتفتت حبال أجراس الكنائس كالخيوط الدقيقة من كثرة الشد والجذب ·· أليس هذا كله أمرا مسليا ؟

ليـــــــونس : فاليريو ، فاليريو ! لابد أن نعمل شيئا ! انصحنى !

فـــــــاليريو : آخ ! العلم ! العلم ! نريد أن نصبح علماء ! قبلى أو بعدى ؟

(*) اشارة لشخصية شاندى العجوز فى رواية « حياة وآراء ترسترام شاندى » للكاتب الساخر لورنس ستيرن (١٧١٣ ــ ١٧٦٨) الذى كان من عادته منذ أن بلغ الخمسين من عمره حتى الستين ان يملأ ساعة البيت ويقوم بواجباته الزوجية فى ليلة الأحد الأولى من كل شهر ، لكى « يطرح عبئهما عن رقبته » على حد قوله !

ليـــــــــوتس : القبلى يجب أن نتعلمه من أبى ، ولكن كل شىء يبدأ بالبعدى ، كما فى الحكايات القديمة : كان يا ما كان ...

فـــــــاليريو : اذن فلنكن أبطالا !

(يمشى هنا وهناك مشية عسكرية وهو يدق ويطبل) .

تروم ! تروم !

ليـــــــــوتس : ولكن البطولة تتحلل ، تسكر بأردأ الخمور ، وتصاب بالحمى التى تنتاب نزلاء مستشفيات الميدان ولا يمكنها أن تبقى بدون الضـــــباط والأنفار . ارجع لعقلك وانس أحلام الاسكندر ونابليون !(*) .

فـــــــاليريو : فهل نصبح اذن عباقرة ؟!

ليـــــــــوتس : ان بلبل الشعر يتغنى طوال النهار فوق رؤوسنا . ولكن أرق مافيه يذهب للشـــــيطان ، قبل أن نتمكن من انتزاع ريشه وغمسه فى الحبر أو فى الألوان .

فـــــــاليريو : اذن فلنصـــــبح أعضــــاء نافعين فى المجتمع البشرى ؟!

ليـــــــــوتس : أحب الى من هذا أن أتخلى عن صـــــفتى كانسان .

(*) اشارة ساخرة الى أحلام الاسكندر الاكبر ونابليون الاول .

فـــــــــاليريو : لم يبق أمامنا الا أن نذهب للشيطان !

ليـــــــــوتس : آخ ! ليس الشيطان سوى الوجه المضاد الذى نفهم منه أن هناك موجودا آخر يقـــابله فى السـمـــاء (قافزا) آه ! فاليريو ، فاليريو ، وجدتها ! الا تشعر بالأنسام تهب من الجنوب ؟ الا تحس كيف يتموج الأثير الأزرق العميـق الملتهب صعودا وهبوطا ، وكيف يسطع النور من الأرض الذهبية المشمسة ، والبحر المالح المقدس، والأعمدة والأجســـاد المرمرية ؟ ان « بان »(١٤) العظيم نائم ، والأبطال الشجعان يحلمون فى الظل وعلى خرير الأمواج العميقة بالساحر القديم فيرجيل ، وبأنغام الطبـــول ورقصـــة التارنتللا(١٥) ، والليالى العميقـة المجنونة الزاخر بالأقنعة والمشـــاعل والحان القيثار . فاليريو ، لنكن شحاذين فى نابولى ، لنذهب الى ايطاليا !

* * *

---

(١٤) هو فى الأساطير اليونانية القديمة اله الصيد والرعاة فى جزيرة أركاديا » ، وهى جزيرة السلام والبراءة والبساطة ، وقد جعل منه الرواقيون فى العصور المتأخرة رمزا يمثل الكل والحياة الشـــاملة . وكان اليونـــان يتصورونه بساقى جدى وشعره وقرنيه .

(١٥) رقصة ايطالية شعبية تتميز بالعنف .

المشـــهد الرابـــع

« حـــــديقة »

(الأميرة لينا فى زينة العروس ـ المربية)

لينـــــــــا : نعم ، الآن ! هاهو كل شىء قديم · عشـــت عمرى كله لا أفكر فى شىء مر دون أن أحس بشىء · وفجأة وقف اليوم أمامى منتصـــب القـامة · هاهو ذا الاكليل فى شـــعرى ، والأجراس ، الأجراس ! (تميل بجسدها الى الوراء وتغمض عينيها) · انظرى ، انى أتمنى الآن لو ان العشب ينمو فوقى ، والنحل يطن حولى ، انظرى الى · أنا الآن فى ثياب العرس، والأوراق الخضراء مشبوكة فى شـــعرى · أليست هناك أغنية قديمة تقول :

أريد أن أنام
فى ساحة الكنيسة
كأننى الوليد
فى مهده السعيد ·

المـــــــربية : ياطفلتى المسكينة ، كم تبدين شـــاحبة الوجه تحت بريق هذه الجواهر اللامعة !

لينـــــــــا : ياالهى ! فى امكانى أن أحب ، ولم لا ؟ الانسان يســـير وحيدا فى حياته ، يتحسس اليد التى تمسك يده ، الى أن تأتى المغسلة فتفرق بينهما

وتشبك يدى كل منهما على صدره · ولكن لم يحاولون أن يدقوا مسمارا فى يدين لم يبحثا عن بعضهما ؟ وماذا جنت يدى المسكينة ؟ (تخلع خاتما من أصبعها) هذا الخاتم يلسعنى كالحية ·

المـــــربية : ولكن ـ يقال عنه انه « دون كارلوس »(١٦) حقيقى !

لينـــــا : ولكن رجلا ···

المـــــربية : ماذا ؟

لينـــــا : لا يحبه القلب · (تنهض واقفة) أف ! انى أخجل من نفسى · غدا يتبخر العطر وينطفىء البريق · هل أنا اذا كالنبع المسكين الوحيد الذى كتب عليه أن يعكس كل وجه يميل على سطحه الساكن ؟ ان الزهور تفتح براعمها أو تغلقها كما تريد لشمس الصباح أو لريح المساء · أتكون ابنة الملك أقل من زهرة ؟

المـــــربية : (باكية) ياملاكى المحبوب ، أنت فى الحقيقة كبش الفداء !

لينـــــا : أجل ، والكاهن يرفع السكين فى يده ·· ـ ربى ! ربى ! هل صحيح أننا نخلص أنفسنا

---

(١٦) اشارة الى مسرحية « شيلر » المعروفة « دون كارلوس » عن ولى عهد اسبانيا الذى أحب زوجة أبيه ، وقد عاش من سنة ١٥٤٥ الى سنة ١٥٦٨ وكتب شيلر مسرحيته عنه سنة ١٧٨٧ ·

بآلامنا ؟ هل صحيح أن العالم مسيح مصلوب ، وأن الشمس هى تاج الشوك حول رأسـه ، والنجوم هى المسـامير والسـهام فى قدميه وجنبيه ؟

المـربية : ياطفلتى ! ياطفلتى ! لا يمكننى أن أراك على هذه الحال . لايمكنك أن تستمرى على هذا ، أنت تقتلين نفسك . ـ ربما ـ من يدرى ؟ ان شـيئا كهذا يدور فى رأسى . فلننتظر .. تعالى !

(تصحب الأميرة خارجة)

الفصــل الثــانى

كيف رن صوت

فى اعمق اعماقى

وابتلع مرة واحدة

كل ذكرياتى ·

« أداليبيرفون كاميسو »[١]

(١٧٨١ ــ ١٨٣٨)

---

(١) أديب وشاعر وباحث فى التاريخ الطبيعى من أصل فرنسى ، فقد ولد فى سنة ١٧٨١ فى قصر بونكور بمقاطعة شمبانى بفرنسا ولكنه هرب مع أبويه من الثورة الفرنسية الى ألمانيا حيث تعلم اللغة الالمانية وكتب بها وان لم يستطع أن يتقنها تمام الاتقان · يضعه مؤرخو الأدب بين الرومانسية المتأخرة وأوائل الواقعية وقد اشتهر بروايته الرمزية القصيرة « حكايــــة بيتر شليميل العجيبة » عن رجل فقد ظله بعد أن باعه للشيطان فكتب عليه الضياع ·

● المشـــهد الأول :

(سـقل فسيح ـ نزل فى الجانب الخلفى)

(يظهر ليونس ومعه فاليريو الذى يحمل حملا على ظهره)

فـــــــاليريو : (لاهث الأنفاس) شرفا.يا أمير ، العالم بناء هائل واسع الأرجاء ·

ليـــــــونس : لا تبالغ ! لا تبالغ ! اننى لا أجسر أن أمد ذراعى ، وكأننى حبيس غرفة ضيقة صنعت جدرانها من المرايا ، خوفا من أن أصطدم بها فتتفتت التماثيل الجميلة وتتكسر على الأرض وأقف أمام الجدار العارى وجها لوجه ·

فـــــــاليريو : لقد ضـــعت ·

ليـــــــونس : لن يحس بالضياع الا من يجدك ·

فـــــــاليريو : عما قريب سأضع نفسى فى ظل ظلى ·

ليـــــــونس : سوف تذوب ذوبانا تاما فى الشمس ، هل ترى هذه السحابة الجميلة فى السماء ؟ انها على الأقل فى ربع حجمك · وتطل فى ارتياح تام على المواد الغليظة التى جبلت منها ·

فـــــــاليريو : لن تستطيع السحابة أن تمس رأسك بأذى ، لو أمكن التحكم فيها بحيث تســقط فوقه قطرة فقطرة ـ خاطر بديع ! هانحن أولاء قد جبنا عددا من الامارات يزيد على عدد أصـــابع اليدين ، ونصفه من الدوقيات وبعض الممالك ،

وكل هذا فى أقصى سرعة وفى نصف يوم — ولماذا ؟ لأنه فرض عليك أن تصبح ملكا وأن تتزوج أميرة حسناء ! ومازلت تعيش فى هذه الحال ؟ • اننى لا أفهم زهدك وصدودك • ولا أفهم لماذا لم تشرب زرنيخا ، ولا لماذا لم تقف على سلم برج الكنيسة وتصوب رصاصة الى رأسك فلا تخطئها •

ليـــــــوتس : ولكن المثل العليا يافاليريو ! اننى أحمل فى روحى المثل الأعلى لأمرأة ولابد لى أن أبحث عنها • انها جميلة جمالا لانهاية له ، كما انها غبية غباء لا حد له ! ان جمالها كسير ومؤثر كأنها مولود جديد • ذلك هو التضاد الممتع : هذه العيون السماوية الغبية ، وهذا الفم الالهى الساذج ، وهذا المنظر الجانبى « الاغريقى » ذو الأنف التى تشـــبه أنوف الأغنام ، وهذا الموت الروحانى فى هذا الجسد الخالى من الروح ••

فـــــــاليريو : ياللشيطان ! هانحن مرة أخرى على الحدود ! هذه بلد تشبه البصلة : لاترى العين فيها الا القشور أو علب الكبريت التى وضع بعضها فى بعض : العلب الكبيرة ليس فيها الا علب ، والصـــغيرة لا تحتوى على شىء • (يقذف بحمله على الأرض) هل قدر لهذا الحمل أن يصبح شاهد قبرى ؟ انظر أيها الأمير — وأنا الآن أتفلسف ! — هذه الصورة التى رسمتها

للحياة الانســـانية : انني أجر هذا الحمـل بقدمين داميتين خلال الصـــقيع وتحت لهيب الشـمس ، لأنني أريد في المســـاء أن ألبس قميصا نظيفا وعندما يأتي المساء أخيرا ، تكون جبهتي قد ملأتها التجاعيد ، ووجنتي غارت ، وعيني أظلمت ، ولا يتبقى لدي من الوقت الا ما يكفي لكي ألبس قميص أو كفني · ولو كنت حاذقا لرفعت حملي من مكانه وبعته في أول حانة تصادفني ، ولشـــربت بثمنه ونمت في الظل ، حتى يحل المساء ، ولوفرت على نفسي العرق الذي تصبب مني ، والأورام(٢) التي أوجعت قدمي · والآن ، أيها الأمير ، يأتي دور العمـــل والتطبيق : نريد الآن بدافع الحياء الخالص أن نكسو الانسان من الداخل أيضا ونلبسه سترة وسروالا (يتجهان ناحية النزل) آه ، ياجرابي العزيز ، ماهذه الرائحة الشهية التي تفوح من النبيذ واللحم المشوي ؟! آه ! ياســـروالي العزيز ، ما أحلى أن تمد الآن جذورك في الأرض وتخضـــر وتزدهر ! وأن تتدلى عناقيد العنب الطويلة الثقيلة في فمي ، ويتخمر عصـــير العنب تحت العصـــارة (ينصرفان) ·

(الأميرة لينا ومربيتها)

---

(٢) المقصود هو تورم الأصابع الذي يعرف « بالكاللو » ·

المـــــــــربية : لابد أنه يوم ساحر الفتنة ، فالشمس لا تريد أن تغيب ، وقد مر زمن لا آخر له منذ أن هربنا معـــا ٠

لينـــــــــا : لا تبالغى ياحبيبتى ، فلم يكد يذبل الورد الذى قطفته ســــاعة الوداع ، عندما خرجنا من الحديقة ٠

المـــــــــربية : وأين سنستريح ؟ اننا لم نعثر على أى شىء حتى الآن ٠ لا أرى ديرا ، ولا نساكا ، ولا رعاة أغنام ٠

لينـــــــــا : لقد سرحنا بأحلامنا ونحن نقرأ خلف أسوار الحديقة ، بين أشجار المر(٣) والدلفى ٠

المـــــــــربية : أف ! العالم فظيع ! ولم نعثر حتى الآن على أى أثر لابن ملك تائه ٠

لينـــــــــا : العالم رائع الجمال ٠ ومتسع غاية الاتساع ! بودى لو ظللت أسير ليل نهار ٠ مامن شىء يتحرك ٠ ظل وردة حمراء يمرح فوق الأعشاب، والجبال البعيدة ترقد فوق الأرض كأنها سحب نائمة ٠

المـــــــــربية : سيدى يسوع ، ماذا عساى أقول ؟ ومع ذلك فهى فى غـــاية الرقة والأنوثة : لقد زهــدت فى كل شىء ٠ وهربت كما هربت القديســـة

---

(٣) أشجار المر أو الصبر وهى أشجار دائمة الخضرة ٠

أوتيليا[4] . ولكن لابد أن نبحث عن مأوى : فقد أوشك المساء أن يحل علينا !

لينـــا : نعم . ان النباتات تضم أوراقها لتنام ، وأشعة الشمس تسترخى فوق أطراف الأعشاب كالفراشات المتعبة .

***

● المشهد الثانى :

(النزل فوق مرتفع من الأرض يطل على نهر .

منظر شاسع . حديقة أمام النزل . فاليريو وليونس)

فاليريو : والآن يا أميرى ، ما رأيك فى الشراب اللذيذ الذى ينضح من سروالك ؟ ألا تبتلع حذائك فى غاية السهولة ؟

ليونس : هل ترى الأشجار القديمة ، والسياج والزهور ؟ لكل شىء منها حكاية ، حكاية جميلة ، غنية بالأسرار . هل ترى الوجوه

---

(٤) تقول خرافة من منطقة « الالزاس » انها هربت من والدها الدوق اتيخو الأول وذلك لرغبتها فى الزواج من « عريس السماء » .

العجـــوز الودودة فى ظل تكعيبة العنب أمام الباب ؟ وكيف يجلسون هناك وأيديهم متشابكة وفى قلوبهم خوف من أنهم قد شاخوا ، والعالم مازال شـــابا ؟ آه يافاليريو ، وأنا فى هذا الشباب والعالم بهذه الشـــيخوخة ! فى بعض الأحيان يتملكنى الذعر فأتمنى لو أجلس فى ركن بعيد لأرثى نفسى وأذرف دموعا ساخنة ٠

فـــــــاليريو : (يناوله كأســـــا) خذ هذه الكأس ، كأس الغواص ، وغص فى بحر الخمر ، حتى تطفو اللآلىء فوقك ٠ انظر كيف ترف الجنيات حول كئوس زهرات النبيذ ، وفى أقدامها أحـــذية ذهبية ، وكيف تضرب الصناجات(٥) ٠

ليـــــــونس : (قافزا) تعال يافاليريو ، يجب أن نعمل شيئا، نعمل شيئا ! نريد أن نفكر فى مسائل عميقة ، نريد أن نبحث كيف يحدث للكرسى أن يقف على ثلاث أرجـــل بدلا من اثنتين ٠ تعال ، نريد أن نشرح نملا ، ونحصى ذرات الرماد ! سوف أجعل من ذلك هواية الأمراء وسوف أبتهج كالأطفال الذين يلعبون بالشـــخاشيخ ولن أهدأ الا اذا جمعت الريش وضربته على الســـقف ٠ مازالت عندى جرعة حماس لم أســـتهلكها بعد ، ولكننى بعد أن أســـــوى

---

(٥) آلة موسيقية عبارة عن صفائح نحاسية نصف كروية يضرب بهـا على اخرى ٠

الطعام سأحتاج الى زمن لانهاية له حتى أعثر على ملعقة آكله بها، وعلى هذه الملعقة يتوقف كل شيء ·

فـــــاليريو : ارجوبيبا موس !(٦) اذن فلنشـــرب ! هذه الزجاجة ليست حبيبة ولا فكرة ، انها لاتعرف آلام الوضع ، ولا تصبح مملة ، ولا تخون ، بل تظل هى نفسها لا تتغير من أول قطرة الى آخر قطرة · ما عليك الا أن تفض غطاءها ، وستفور فى وجهك كل الأحلام الناعســـة فيها ·

ليـــــــونس : يا الهى ! أعدك أن أجعل نصف حياتى صلاة لك لو أننى وهبت عودا واحـــدا من القش أركب عليه كما أركب على ظهر جواد رائع، حتى أرقد أنا نفسى فوق القش · ـ يالهذا المساء الفظيع ! كل شيء ساكن على الأرض ، وفى السماء تركض السحب وتغير أشكالها ، وضـــوء الشمس يظهر ثم يغيب · انظر الى هذه الأشكال الغريبة التى تطارد بعضــــها فى السماء ! انظر الظلال الطويلة البيضاء ذات الأقدام النحيلة المفـــزعة وهى ترف رفيف الوطاويط ! وكل شيء هناك يلهث ويضطرب ، وهنا لا تتحــــرك ورقة ولا عود · الأرض تكومت على نفســـــها كطفل ، وعلى مهدها تخطو الأشباح ·

---

(٦) باللاتينية : اذا فلنشرب ·

فــــــــــــــالبريو : لا أدرى ماذا تريد ، فأنا أحس بالبهجـــــة تغمرنى · أن الشمس تبدو كأنها درع معلق على باب فندق ، والســــحب المتوهجة التى تغطيها كأنها اللافتة المكتوبة فوقه : « فندق الشـــمس الذهبية » · والأرض والماء الذى يســــــيل عليها كأنهما مائدة اندلقت الخمر فوقها ونحن نرقد عليها كأوراق اللعب ، التى يلعب بها الله مع الشيطان ليذودا الســــام عنهما · أنت الملك ، وأنا الولد ، ولا ينقص الا البنت ، البنت الجميلة ذات القلب الناعم على الصدر ، والســـنابل الرائعة ، يتدلى أنفها الطويل على نحو يثير العواطف (تظهر المربية والأميرة) و ··· يا الهى ! هاهى ذى بنفسها ! ولكنها ليست سنبلة بل تنشـــيقة دخــــان ، وأنفها ليس أنفا ، بل خـــرطوم (للمربية) : لماذا تسديرين ، ياسيدتى المبجلة بهذه السرعة كلها ، حتى يكاد الانسان يرى عضلات ساقك لغاية شرائط جوربك المحترم ؟!

المــــــــــــــربية : (تظل واقفة وقد ظهرت عليها أمارات الغضب الشديد)

ولماذا ياسيدى المحترم تفتح فاك على آخره فلا يرى الانسان أمامه الا فوهة واسعة ؟

فــــــــــــالبريو : لكى لا يصدم الأفق أنف سيدتى المبجلة فينزف دما · فمثل هذا الأنف يشبه برج لبنان المائل فى اتجاه دمشق ·

لينـــــــــــا : (للمربية) حبيبتى ، هل مازال الطريق أمامنا طويلا ؟

ليـــــــونس : (حالما) آه كل الطرق طويلة · دقات ســـاعة الموتى فى صدورنا بطيئة ، وكل قطرة دم تقيس الزمن ، وحياتنا حمى تزحف فى أعضائنا ·· الأقدام المتعبة تجد كل طريق طويلا ··

لينـــــــــــا : (التى تصــغى اليه متفكرة) والأعين المتعبة تجد كل شعاع قاسيا ، والشـــفاه المتعبة كل نسمة ثقيلة (مبتسمة) والآذان المتعبة كل كلمة مملة (تدخل مع المربية الى النزل) ·

ليــــــــونس : آه يافاليريو العزيز ! ألم يكن فى استطاعتى أيضا أن أقول : ألم يكن لهذا كله ولغابة من أدغـــال الـريش والأزهـــار المكومة فـــوق حذائى ·· (؟)(٧) · أعتقد أننى قلت ماقلته أنا فى منتهى الحـــزن · الحمد لله ، أننى أوشكت أن أضع(٨) حزنى ! الهواء لم يعد ناصعا وباردا ، والســـماء تنحنى متوهجة فوقى ، وقطرات ثقيلة تتساقط على ··· آه من هذا الصوت : ألم يزل الطريق طويلا ؟ · « أصوات كثيرة تتحدث فوق الأرض ، ويخيل للانســـان أنها تتحدث عن أشـــياء أخرى ، ولكننى فهمت صوتها · أنه يرف فوقى رفيف

---

(٧) هذه العبارة ناقصة فى الأصل ··

(٨) الوضع هنا بمعنى الولادة ·

الروح فوق الماء ، قبل أن يكون النـــور ٠٠ ياللتخمر فى أعماق ذاتى ، ياللوجود الذى يولد فى نفسى ، وما أعذب هذا الصوت الذى ينســـاب فى المكان ! ــ ألم يزل الطـــريق طويلا ؟ » (يخرج) ٠٠

فـــــــالديريو : لا ، ان الطريق الى مســتشفى المجانين ليس طويلا ، من السهل العثور عليه ، أنا أعرف كل الدروب المؤدية اليه ، وكل الطرق المجاورة له والشــوارع المحيطة به ٠ اننى أراه الآن أمامى يسير على الطريق العريض الموصــل اليه ، فى يوم من أيام الشتاء الباردة ، حاملا قبعته تحت أبطه ، وأراه أمامى واقفـــا فى الظلال الطويلة تحت الأشجار العارية يروح عن نفسه بمنديله ٠ انه مجنون ! (يتبعه) ٠

* * *

● المشـــــهد الثـــــالث :

(حجـــــــرة)

(لينـــــا ــ المربيـــــة)

المــــــــــربية : لا تشغلى نفسك بهذا الرجل !

لينـــــــــــا : كان يبدو عجوزا بين خصلات شعره الشقراء ٠ الربيع على الخدين ، والشتاء فى القلب ! هذا

شيء محزن • ان الجسد المتعب يجد الفراش الذى ينام فيه فى كل مكان ، أما الروح المتعب فأين يجد المكان الذى يستريح فيه ؟ فكرة فظيعة تخطر على بالى : يخيل الى أن هناك نوعا من الناس يحسون بالشقاء ، بالتعاسة التى لا شفاء منها ، لمجرد احساسهم بأنهم موجودون • **(تنهض واقفة)** •

المربية : الى أين يا ابنتى ؟

لينا : أريد أن أنزل الى الحديقة ••

المربية : ولكن ••

لينا : ولكن ماذا يا أمى ؟ تعرفين أنه كان ينبغى أن يضعونى داخل قفص من الزجاج المكسور •• اننى أحتاج الى الندى ونسيم الليل كما يحتاج الورد اليهما • هل تسمعين أنغام المساء المنسجمة ؟ هل تسمعين الجنادب تغنى للنهار وبنفسجات الليل يهدهدنه بعطرهن لينام ؟! لا استطيع أن أبقى فى الحجرة • أحس أن الجدران ستنطبق على •

* * *

● المشـــهد الـــرابع :

ـ الحديقة ـ ليل وضوء القمر ـ

(ترى لينا جالسة على العشب)

فـــــاليريو : (منبعيد) الطبيعة جميلة ، وكانت تكون أجمل لو لم يوجد بعوض ولو كانت الأسرة أنظف مما هى عليه ولم تدق ســاعات الموت على الجدران(٩) ٠ فى الداخــل يغط الناس فى النوم ، وفى الخارج تنقنق الضــفادع ، فى الداخل تصفر الصراصير ، وفى الخارج تطن صراصير الحقل ٠ أيها العشب النضير ، هذا قرار خطير !(١٠) (يرقد على العشب)

ليـــــونس : (يظهر) أيها الليل الشافى البلسم ، كمثل أول ليلة هبطت على الفردوس !

(يلاحظ الأميرة ويقترب منها فى هدوء) ٠

لينـــــا : (تكلم نفسها) بعوضة العشب وشــوشت فى الحلم ـ

الليل ينام نوما عميقا ، خده يزداد شحوبا ، ونفسه تزداد سكونا ٠ القمر يشبه طفلا ناعسا،

---

(٩) تعبير شعبى عن ديدان الخشب ٠

(١٠) يتلاعب المؤلف هنا بكلمتي عشب Rasen وغاضب Rasend وقد ترجمنا العبارة بتصرف ٠

تساقطت خصلات شـــعره ذهبية فوق وجهه الحبيب · ــ آه ! أن نومه موت · ما أجمل الملاك الميت الذى يرقد على مخـــدته المظلمة والنجوم تشتعل من حوله كالشموع ! الطفل المسكين ! انه حزين ، ميت ووحيد ·

ليـــــــــونس : انهضى فى ثوبك الأبيض وتجـــولى فى الليل خلف جثته وغنى له أغنية الموت !

لينــــــــــا : من الذى يتكلم ؟

ليـــــــــونس : حـــلم ·

لينــــــــــا : الأحلام سعيدة ·

ليـــــــــونس : اذن فاحلمى انك ســـــعيدة واجعلينى حلمك السعيد ·

لينــــــــــا : الموت أسعد الأحلام ··

ليـــــــــونس : اذن فاجعلينى ملاك موتك ! دعى شفتى تهبطان على عينيك كأنهما رفيف جناحيه · (**يقبلها**) أيتها الجثة الجميلة · أنت ترقدين فاتنة على كفن الليل الأســـود ، فتجعلين الطبيعة تكره الحياة وتعشق الموت ·

لينــــــــــا : لا ، اتركنى (تقفز واقفة وتبتعد بسرعة)

ليـــــــــونس : هذا كثير ! هذا كثير ! وجودى كله تجمع فى هذه اللحظة الوحيدة · الآن مت ! مستحيل أن تطمع فى أكثر من هذا · ما أبدع الخليقة التى تطالعنى خارجة من ظلمة العماء ، منتعشـــة

الأنفاس ، رائعة الحسن والبهاء ! الأرض وعاء من الذهب المعتم : كم يزيد النور فيها ويفور على حوافيها ، ويلمع سنى النجوم المتلألئة

فوقها · هذه القطرة من السعادة تحيلنى الى وعاء شهى · أسقط هنا أيها الكأس المقدس ! (يريد أن يلقى بنفسه فى النهر)

فـــــــاليريو : (يقفز ويمسك به) قف ياصـــاحب الســـمو والصفاء(١١) !

ليـــــــونس : دعنى !

فـــــــاليريو : بمجرد أن تعود الى اتزانك وتعدنى بأن تدع الماء !

ليـــــــونس : أيها الغبى !

فـــــــاليريو : ألم تتخلص بعد ياصـــاحب الســـمو من رومانتيكيتك فتحـاول أن تقذف بالكأس التى شربت منها على صحة حبيبتك ؟

ليـــــــونس : يبدو أن الحق معك !

فـــــــاليريو : عز نفسك ! ان لم تنم اليوم تحت العشب فحاول على الأقل أن تنام فوقه · ان الســـعى الى الفراش شبيه بمحاولة الاقدام على الانتحار · الانسان يرقد فوق القش كالموتى وتلســـعه البراغيث كالأحياء ··

---

(١١) التعبير يفيد هذا المعنى Serenssime ولكنه كان لقبا يطلق فى الأصل على أمراء الدويلات الألمانية الصغيرة ·

ليـــــــونس : على رأيك (يرقد على العشب) لقد أفسـدت على أجمل انتحار ! لن أجد فى حياتى لحظة أنسب من هذه اللحظة ، ولا جوا أبدع من هذا الجو · الآن تعكر مزاجى · أفسدت كل شىء بسترتك الصفراء وسراويلك السماوية الزرقاء ـ فلتمنحنى السماء نوما صحيا عميقا !

فـــــــاليريو : آمين ! ـ أما أنا فقد أنقذت حياة بشرية من الموت ، وسوف يساعدنى ضميرى المرتاح على أن أدفىء الليلة جسدى ·

ليـــــــونس : نوما هنيئا يافاليريو !

الفصــل الثــالث

● المشــهد الأول :

ليونس ـ فاليريو

فـــــاليريو : تتزوج ؟ متى صممتم ياصاحب السـمو على الدخول فى التقويم الأبدى ؟

ليـــــونس : هل تعلم ايضا يافاليريو ان اقل الناس شأنا يبلغ من العظمة حدا يجعل الحياة اقصر بكثير من أن أن تتمكن من حبه ؟ ومن ذلك ففى وسعى أن اغبط صنفا من الناس يتوهمون انه مامن شىءجميل أو مقدس الا وهم ملزمون بأن يزيدوا، جمالا وقداسة . ان فى مثل هذا الغــرور المحبوب نوعا من المتعة ، فلماذا أحرمهم منه ؟

فـــــاليريو : شعور انسانى جدا ووحشى جدا !(١) ولكن هل تعرف هى ايضا من انت ؟

---

(١) الكلمة الأصلية مركبة من كلمة يونانية ولاتينية ومعناهـــا محب للوحوش .

ليـــــــــونس : انها لا تعرف الا انها تحبنى ٠٠

فـــــــــاليريو : وهل تعرفون سموكم من هى ؟

ليـــــــــونس : أحمق غبى ! اسأل القرنفلة اذن أو اسأل لؤلؤة الندى عن اسمها ٠

فـــــــــاليريو : معنى هذا انها شىء له وجود على كل حال ، ان لم يكن هذا التعبير خـــاليا من الذوق أو يوحى بطعم البطاقات الشـــخصية(٢) : ولكن كيف يتم هذا ؟ ــ هه ــ يا أمير ، هل أصبح وزيرا لو لجمته اليوم بلجام الزواج المبارك أمام أبيك مع تلك التى لا اسم لها ولا سبيل الى وصفها ؟ هل تعدنى ؟

ليـــــــــونس : أعدك !

فـــــــــاليريو : الشيطان المســكين فاليريو يحيى صـــاحب الســـعادة الســـيد الوزير فاليريو من وادى الفالير ! ــ ماذا يريد الغلام ؟ اننى لا أعرفه ٠ أغرب عن وجهى ، أيها الوقح ! (ينصـــرف مسرعا يتبعه ليونس)

***

---

(٢) الكلمة الأصلية تفيد معنى الوصف الدقيق للأفراد على نحو مايحدث فى السجلات المدنية والبطاقات الشخصية (الهويات) ٠

● المشـــهد الثـــانى :

« ساحة واسعة أمام قصر الملك بيتر »

(رئيس مجلس المدينة ـ المعلم ـ فلاحون

فى ثياب يوم الأحد ، فى أيديهم فروع من شجر التنوب)

رئيس مجلس المدينة : أيها المعلم العزيز ، كيف حال رجالك ؟

المعـــلم : هم صابرون على الرغم من ســوء الحال ، متماسكون منذ عهد بعيد على هذه الحال ، يصبون الخمر فى جوفهم ، ولولا ذلك لكان تماسكهم فى هذا الحر الشديد من المحال ·· تشجعوا أيها الناس مدوا أيديكم بفروع من أشجار التنوب ، حتى يظن من يراكم أنكم غابة من أشجار التنوب وأن أنوفكم المحمرة حبات من الفراولة وقبعاتكم لحم مشوى وضوء القمر يختفى بين سراويلكم المصنوعة من جلد الغزال· واعلموا أن على من يقف منكم فى المؤخرة أن يجرى باستمرار ليضع نفسه أمام من يقف فى المقدمة ، حتى يبدو كأن عددكم قد تضاعف بكثير(٣) ··

رئيس مجلس المدينة : أيها المعلم ، الظاهر أنك أوشكت أن تفيق من سكرتك ·

المعـــلم : بالطبع ، فأنا من الفوقان لا أكاد أستطيع الوقوف على قدمى ·

---

(٣) حرفيا : كأنه ضرب فى جذر التربيع ··

رئيس مجلس المدينة : لاحظوا أيها الناس أنه قد نص في البرنامج على مايلي : على جميع أفراد الرعية أن يرتدوا ثيابا نظيفة ، ويقفوا على طول الطريق الزراعي بوجوه راضية وبطون شبعانة · لاحظوا هذا ولا تجلبوا علينا العار !

المعلم : تمسكوا بالصبر والفضيلة ! لا تهرشوا خلف آذانكم ولا تضعوا أصابعكم في أنوفكم عند مرور موكب صاحبي السمو العروسين ، وأظهروا التأثر بالمناسبة السعيدة والا استعملت معكم الوسائل المؤثرة ! اعترفوا بما فعلته السلطات من أجلكم : لقد وضعوكم في صفوف مستقيمة حتى تهب الرياح عليكم من المطبخ وتشموا مرة واحدة في حياتكم رائحة اللحم المشوي · هل تذكرون الدرس الذي علمتكم أياه ؟ هه ؟ يا ...

الفلاحون : يا ...

المعلم : عيش !

الفلاحون : عيش !

المعلم : يعيش !

الفلاحون : يعيش ![4]

المعلم : هكذا ترى ياسيادة الرئيس أن مستوى الذكاء في صعود · سنقوم الليلة أيضا باعداد رقصة

---

(٤) في الأصل باللاتينية ·

شفافة مستعينين بالثقوب التى تملأ ستراتنا وسراويلنا ، وسنتلاكم وننطح بعضنا البعض بالأشرطة التى تزين قبعاتنا ٠

***

● المشـــــهد الثـــــالث :

(قاعة كبيرة ٠ رجال وسيدات فى أحسن زينة ،

فى صفوف مرتبة بعناية ٠)

(يظهر رئيس التشريفات مع بعض الخدم فى مقدمة المسرح)

رئيس التشريفات : انها مصيبة ! كل شيء ضاع ٠ اللحم المشوى انكمش ٠ التهانى بالزفاف لم تصـــل بعد ٠ الياقات المدببة تقتل نفسها(٥) كآذان الخنازير الحزينة الفـــلاحون نمت أظافرهم ولحاهم من جديد العساكر طالت شـــعورهم ٠ ومن اثنتى عشرة عذراء لاتوجد واحدة لا تفضل الوضع الأفقى على الوضع العمودى ٠

الخـــــادم الأول : انهم يبدون فى ثيابهم البيضاء كالأرانب المتعبة، وشاعر البلاط يزوم حولهم كأنه خنزير بحرى

---

(٥) الكلمة الأصلية هى « قتلة الآباء » وكانت تدل قديما على ياقـــات القمصان الحادة المدببة ٠

مهموم • السادة الضابط فقدوا اتزانهم وسيدات البلاط يقفن هناك كأنهن الغرابيل أو المناخل ، يتبلور الملح فى عقودهن(٦) •

الخادم الثانى : لقد أرحن نفوسهن على الأقل ، فلا يستطيع أحد أن يقول انهن يحملن شيئا على أكتافهن • واذا لم يكن صريحات القلوب فهن على الأقل مفتوحات حتى أعماق القلوب(٧) •

رئيس التشريفات : نعم ، انهن أوراق جيدة من دولة الترك : ترى خلالها الدردنيل وبحر المرمر(٨) اذهبوا ، أيها أيها الأوغاد ! الى النوافذ ! هاهو صاحب الجلالة قد حضر ! (يدخل الملك بيتر والوزراء) •

بيتر : اذن فقد اختفت الأميرة أيضا • ألم يعثر أحد على أى أثر لولى عهدنا المحبوب ؟ هل نفذت أوامرى ؟ هل الحدود مراقبة ؟

رئيس التشريفات : أجل ياصاحب الجلالة • ان التطلع من هذه القاعة يتيح لنا أن نراقبها مراقبة شديدة •• (للخادم الأول) ماذا رأيت ؟

---

(٦) الكلمة الأصلية تدل على نوع من الغربال أو المنخل الآلى لتصفية الملح •

(٧) يتلاعب المؤلف هنا بكلمتى Offen bis öum Herzen أى صريح و Offen herzig أى مفتوح الى القلب ، مما يصعب نقله نقلا يحفظ الاشارة الكامنة وراءه ، وهى اشارة جنسية كما لا يخفى على القارئ •

(٨) أى ترى صورهن وأثداؤهن •

الخـــادم الأول : كلبا يبحث عن ســـيده ، وقد دخل الآن حدود المملكة ·

رئيس التشريفات : (للخادم الثانى) وأنت ؟

الخـــادم الثانى : أرى شخصا يتنزه على الحدود الشـمالية ، ولكن ليس هو الأمير ، والا لكنت تعرفت عليه ·

رئيس التشريفات : وأنت ؟

الخـــادم الثالث : معذرة — لا شىء ·

رئيس التشريفات : هذا قليل جدا · وأنت ؟

الخـــادم الرابع : لا شىء كذلك ·

رئيس التشريفات : هذا أيضا قليل جدا ·

بيـــــــــتر : ولكن ألم أصدر أيها الوزراء قرارى بأن تفرح جلالتى الملكية فى هذا اليوم وأن يحتفل فيه بالزفاف ؟ ألم يكن هذا هو قرارى الأكيد ؟

رئيس التشريفات : أجل ياصاحب الجلالة ، هذا هو ما أثبت فى المحاضر الرسمية ، وأعلن على الرعية ·

بيـــــــــتر : ألن تكون هذه اهــــانة لى ، لو اننى لم أنفذ قرارى ؟

رئيس التشريفات : لو كانت هناك طريقة أخرى تهينون بها جلالتكم، ففى استطاعتكم فى هذه الحالة أن تهينوها ·

بيـــــــــتر : ألم أعد وعدى الملكى ؟ — نعم ، ســـوف أنفذ القرار الذى صممت عليه فى الحال ، سوف

ادخل الفرح على نفسى • (يفرك يديه) آه !
انا فى منتهى الفرح !

رئيس الـــوزراء : نحن جميعا نشارك جلالتكم فى مشاعركم ، بقدر ماتستطيع الرعية وما يليق بها •

بيـــــــــــتر : أوه ! لست أدرى ماذا افعل من الفرح ! سوف آمر بصنع معاطف حمراء لوصفائى ، سوف أرقى بعض الجنود الى ضباط ، سوف أسمح لرعيتى •• ـ ولكن ، ولكن ، الزفاف ؟ ألم ينص الجزء الأخير من القرار على الاحتفال بالزفاف ؟

رئيس الـــوزراء : نعم ياصاحب الجلالة •

بيـــــــــــتر : واذا لم يحضر الأمير ولم تحضـــر الأميرة كذلك ؟

رئيس الـــوزراء : نعم ، اذا لم يحضر الأمير ولم تحضر الأميرة كذلك ، اذن •• اذن ••

بيـــــــــــتر : اذن ، اذن ؟

رئيس الـــوزراء : اذن لايستطيعان أن يتزوجا •

بيـــــــــــتر : قف عندك ! هل النتيجة منطقية ؟ اذا ـ اذا ـ صحيح ! ولكن وعدى ، وعدى الملكى !

رئيس الـــوزراء : عن نفسك ياصاحب الجلالة بجلالات أخرى ! ان الوعد الملكى شىء ـ شىء ـ شىء ـ لايدل على أى شىء •

بيـــــــــــتر : (للخدم) ألا تبصرون شيئا ؟

الخـــــــــدم : لا شيء ياصاحب الجلالة ، لا شيء

بيـــــــــتر : وأنا الذى قررت أن أدخل السرور على نفسى ! أردت أن أبدأ مع دقة الساعة الثانية عشرة ، وأفرح اثنتى عشرة ســاعة كاملة ـ سأكتئب الآن اكتئابا شديدا ٠

رئيس الـــوزراء : ستصدر الأوامر الى الرعية كلها بأن تشارك جلالتكم فى شعوركم ٠

رئيس التشريفات : ومن لا يحمل منهم منديلا سيمنع من البكاء ، وذلك للمحافظة على الفضيلة ٠

الخــــادم الأول : انتباه ! اننى ألمح شيئا ! انه يشبه أن يكون الصدر ، أو الأنف ، أما الباقى فلم يعبر الحدود بعد ، وهاأنذا أرى رجلا ، ثم شـــخصين من الجنسين ٠

رئيس التشريفات : فى أى اتجاه يسيرون ؟

الخــــادم الأول : انهم يقتربون ٠ يتجهون ناحية القصر ٠ هاهم؟ (يظهر فاليريو وليونس والمـــربية والأميرة يحملون أقنعة على وجوههم)

بيـــــــــتر : من أنتم ؟

فـــــاليريو : ومن أين لى أن أعرف ؟ (ينزع عن وجهه قناعا بعد قناع) هل أنا هذا ؟ أو هذا ؟ أو هذا ؟ حقا ، لقد بدأت أخاف من أن أنزع القشـــور والأوراق عن نفسى قشرة قشرة وورقة ورقة ٠

بيـــــــــتر : (مرتبكا) ولكن ـ لابد أن تكونوا شيئا على كل حال !

فـــــــاليريو : مادمت قد أصدرت أوامرك ياصاحب الجلالة !
ولكن ، أيها السادة ، علقوا المرايا حولكم ، واخفوا أزراركم اللامعة قليلا ، ولاتنظرو الى هكذا حتى لاتنعكس صورتى فى عيونكم ، والا فلن أعرف فى الحقيقة من أنا ٠

بيـــــــــتر : هذا الرجل يربكنى ويحيرنى ويتعسنى ! انا فى فى غاية الاضطراب !

فـــــــاليريو : الحقيقة أننى أردت أن أعلن على الجمع الراقى المحترم حضور الآلتين المشهورتين فى العالم كله ، واننى ربما كنت ثالثهما وأعجبهمـــا ، لو أننى استطعت فى الحقيقة أن أعرف من أنا، الأمر الذى لايصح لأحد أن يتعجب منه ، اذ اننى لا أعرف شيئا مما أقول ، بل لا أعرف حتى اننى لا أعرف ، بحيث أن من المحتمل غاية الاحتمال أن هناك من يجرى على لسانى هذا الكلام ، وأن الذى يخطب فيكم الآن ليس سوى مجموعة من الاسطوانات والأنابيب التى تصفر فيها الرياح ٠ (فى لهجة خطابية) ٠ سيداتى وسادتى ! انظروا هنا تروا شـــخصين من الجنسين ، ذكرا وانثى ، سيدا وسيدة ! لاشىء سوى الفن والميكانيكا ، لاشىء الا أوراق من الكرتون وعقارب ســاعة ! لكل واحد منهما ريشة رقيقة من العقيق تحت أظفر الأصبع الصغير فى القدم اليمنى ، يكفى أن تضـــغط عليه بلطف لكى تدور الآلة خمســين عاما

كاملة · لقد صنع هذان الشخصان بدقة متناهية ، بحيث لن يستطيع المرء أن يميز بينهما وبين البشر الحقيقيين ، اذا لم يعرف انهما مجرد ورق مقوى ، بل ان فى الامكان أن ندخلهما أعضاء فى المجتمع البشرى · انهما فى غاية النبل ، فهما يتكلمان بلغة فصيحة · وأخلاقهما عالية جدا ، فهما يستيقظان على دقات الساعة ويتناولان طعام الغداء على دقات الساعة ، ويذهبان الى الفراش على دقات الساعة · وهضمهما كذلك يسير بانتظام تام ، مما يثبت أن ضمائرهما حية(٩) · واحساسهما بالذوق واللياقة احساس رفيع ، فالمدام ليس لديها أية فكرة عن البنطلونات ، والسيد يستحيل عليه تماما أن يصعد السلالم خلف احدى السيدات ، أو ينزل على السلالم فيتقدمها خطوة واحدة · وهما مثقفان الى أقصى حد ، فالسيدة تغنى أحدث الأوبرات ، والسيد يلبس مانشتات(١٠) سيداتى سادتى !

انتبهوا ! لقد دخلا الآن فى مرحلة هامة : ان ميكانيكا الحب قد بدأت بالفعل ، فالسيد

---

(٩) عبارة تذكرنا بعبارة مشابهة فى مسرحية يوليوس قيصر لشيكسبير وتأثر بشنر به فى ترتيب المشاهد السريعة العديدة والولع بشخصية المهرج والتلاعب بالالفاظ أوضح من أن أشير اليه ··

(١٠) اى اساور منشاة ، وقد ابقيت على اللفظ الاصلى لحسن موقعه فى هذا السياق ·

قد حمل شال السيدة عدة مرات ، والسيدة قد قلبت عينيها عدة مرات وتطلعت الى السماء .. وكلاهما قد همس أكثر من مرة بالايمان والحب والأمل ! ان علامات الانسجام تبدو عليهما ، ولا ينقص الا الكلمة الصغيرة : آمين .

بيـــــتر : (واضعا أصبعه على أنفه) صور ! رموز ! اسمع يارئيس الوزراء ، حين نأمر غيابيا بشنق انسان هارب من وجه العدالة ، ألا يكون هذا مساويا لشنقه فى الحقيقة والواقع ؟

رئيس الـــوزراء : معذرة ياصاحب الجلالة بل ان ذلك يكون أفضل بكثير ، ذلك أنه لن يشعر بأى ألم ، وان كان سيشنق مع ذلك .

بيـــــتر : الآن فهمت سنحتفل بالزفاف غيابيا (مشيرا الى لينا وليونس) هذه هى الأميرة – وهذا هو الأمير . – سأنفذ الآن القرار الذى صممت عليه ، سأدخل السرور على نفسى . دعوا الأجراس تدق ! تبادلوا التهانى ! وأنت ياواعظ البلاط ! أسرع !

(يتقدم واعظ البلاط ، ويتنحنح ، ويتطلع الى السماء عدة مرات)

فـــاليريو : ابتدىء ! دعك من حركات وجهك اللعينة وابتدىء ! هيا !

واعظ البـــلاط : (فى شدة الارتباك) لو أننا – أو – ولكن –

فـــــــــاليريو : لما ـ الآن ـ

واعظ البـــــلاط : ذلك أن ـ

فـــــــــاليريو : فى البدء قبل أن يخلق الله العالم ـ

واعظ البـــــلاط : حدث أن ـ

فـــــــــاليريو : أحس الله بالسأم ـ

بيـــــــــــتر : اختصر ياعزيزى ٠

واعظ البـــــلاط : (متمالكا نفسه) اذا سمحت ياصاحب السمو الأمير ليونس من مملكة بوبو ، وســــمحت ياصاحبة السمو الأميرة لينا من مملكة بيبى ، وسمحتما معا ياصاحبى السمو كل من جانبه بأن يقبل كل منكما الآخر زوجا ، فقولا بصوت مرتفع مسموع : نعم ٠

لينا وليونس معا : نعم !

واعظ البـــــلاط : مادام الأمر كذلك فأنا أقول آمين ٠

فـــــــــاليريو : أحســـنت ، هذا هو ما قل ودل ، بهذا يكون الرجل والمرأة قد تم خلقهما وجميع حيوانات الفردوس تحيط بهما ٠ (ليونس ينزع القناع عن وجهه)

ألجميـــــــــع : الأمير !

بيـــــــــــتر : الأمير ! ابنى ! لقد ضعت ، خدعت ! (يهرول نحو الأميرة) ومن هذا ؟ سأعلن أن كل ماحدث لاغ !

المـــــــــربية : (تنزع القناع عن وجه الأميرة ، وتصـــيح منتصرة) الأميرة !

ليــــــــــونس : لينا ؟

لينــــــــــا : ليونس ؟

ليــــــــــونس : لينا ، أعتقد أننا هربنا الى الجنة .

لينــــــــــا ! لقد خدعت !

ليــــــــــونس : خدعت !

لينــــــــــا : ياللمصادفة !

ليــــــــــونس : ياللعناية الالهية !

فـــــــاليريو : لابد أن أضحك ! لابد أن أضحك ! فقد تصادف لقاؤكما ياصاحبى السمو بمحض المصادفة . أتعشم لأجل خاطر المصادفة أن يهنأ خاطركما .

المـــــــــربية : من كان يصدق أن عينى العجوزين ســـتريان هذا ! ابن ملك تائه ! الآن أستطيع أن أموت وأنا مرتاحة البال .

بيــــــــــتر : يا أبنائى ، أنا متأثر ، لا أدرى ماذا أفعل من شدة التأثر . أنا أسعد انسان ! هاأنذا ياولدى أعلن على الملأ أننى أضع الحكم بين يديك ، وأننى سأنصـــرف الآن الى التفكير دون أن يزعجنى شىء . أما هؤلاء الحكماء (يشير الى الوزراء) فاتركهم لى ياولدى ، لـــكى يساعدونى فى الجهود التى سأبذلها . تعالوا أيها السادة . يجب أن نفكر ، يجب أن نفكر

بغير أن يزعجنا شىء · (ينصرف مع الوزراء)
أربكنى هذا البنى الآدم لابد أن أحاول الآن أن أستعيد نفسى ·

ليـــــــونس : (للحاضرين) سادتى ! باسم زوجتى وباسمى أعلن عن أسفى لأننا أرهقناكم اليوم بخدمتنا · ان وضعكم مؤسف الى حد أننا لن نضع صبركم موضع الاختبار أكثر من هذا · اذهبوا الآن الى بيوتكم ، ولكن لا تنسوا أن تأخذوا خطبكم ومواعظكم ، وقصائدكم ، لأننا سنبدأ اللعبة مرة أخرى من أولها غدا · الى اللقاء !

(ينصرف الجميع ، باستثناء ليونس ولينا وفاليريو)

ليـــــــونس : هل ترين يالينا كيف امتلأت جيــوبنا بالدمى واللعب ؟ ماذا نفعل الآن بها ؟ هل نضع لها شوارب ونعلق فى أيديها سيوفا ؟ أم نكسوها سترات سوداء ونعلمها احتراف السياسة ، والدبلوماسية ونجلس أمام الميكروسكوب لنراقبها ؟ أم تشتاقين لصندوق غناء ، تجرى عليه الفيران الجمالية(١١) البيضاء كالحليب ؟ هل نبنى مسرحا ؟ (لينا تميل عليه وتهز رأسها) · ولكننى أعرف ما تريدينه خيرا منك : سنأمر بتحطيم جميع الساعات ونحرم حيازة النتائج السنوية ، ولا نقيس الساعات

---

(١١) أى ترضى ذوى الشعور المرهف الاحساس بالجمال ·

والأقمار الا بتوقيت الوردة ، والزهرة والثمرة ·· ثم نحيط البلد بالمرايا المشـــتعلة ، حتى لاياتى الشتاء بعد اليوم ونحيا فى الصيف فى جو ايشيا وكابرى(١٢) ، ونمضى السنة كلها بين أزهار البنفسج ، وثمار البرتقال وأكاليل الغار ·

فـــــــــاليريو : وأما أنا فســـوف أصـــبح وزيرا ، وسأصدر مرسوما يقضى بأن كل من تتشقق كفاه من العمل يوضع تحت الوصاية ، وكل من يمرض نتيجة الارهاق فى العمل يضع نفسه من الناحية الجنائية موضع العقاب ، وكل من يفتخر بأنه يأكل عيشه من عرق جبينه يعلن على الملأ أنه مجنون وأنه خطر على المجتمع البشرى ، ثم نرقد فى الظل وندعو الله أن يرزقنا ماكارونه ، وليمونا أصفر ، وتينا ، كما نتوسل اليه أن يهبنا حناجر موسيقية ، وأجساما كلاسيكية ، وديانة مريحة !!(*) ·

---

(١٢) جزيرتان فى جنوب ايطاليا مشهورتان بجوهما الجميل الملائـــم للسياحة والتصييف ·

(*) الكلمة الأصلية بالفرنسية ·

فويســـك

فويســـك

الأشـــخاص :

فويسك · مارى

ضابط ـ طبيب ـ ضابط الطبول

صف ضابط ـ أندريس ـ مرجريت

صاحب حانة : مناد فى السوق

الصبى الأول (عامل يدوى) الصبى الثانى

كيته ـ كارل العبيط ـ الجدة ـ ثلاثة أطفال

الأول والثانى ـ مفتش البوليس

جنود ـ طلاب ـ فتية وفتيات ـ أطفال ـ جمهور

عند الضـــابط

الضابط على كرسى ــ فويسك يحلق له شعره

الضـــــــــابط : على مهلك يافويسك ! ! واحدة ! واحدة ! يكاد يغمى على ماذا أصنع بالدقائق العشر التى تتبقى لى ان فرغت من الحلاقة قبل الميعاد ؟ فويسك · فكر معى : مازال أمامى ثلاثون عاما أعيشها · ثلاثون عاما حلوة · أى ثلاثمائة وستون شهرا ! ويوما ! وساعة ! ودقيقة ! ماذا عســـاه أن يفعل بهذا الزمن الهائل · يقسمها يافويسك(١) ؟

فويســـــــــك : تمام ياحضرة الضابط ·

الضـــــــــابط : الرعب يتملكنى كلما فكرت فى الأبدية · شغلة يافويسك ، شغلة ! أبدى · هذا أبدى ، هذا أبدى · شىء واضح كما ترى ، لكن الواقع أنه ليس أبديا وانما هى لحظة ، نعم لحظة واحدة

---

(١) يلاحظ أن الضابط يتكلم عن نفسه بضمير الغائب وكأنه شـخص آخر ، كما يفعل هذا أيضا مع المخاطب ·

ـ فويسك ، اننى أرتعد خوفا كلما فكرت أن الدنيا تدور حول نفسها كل يوم · ياله من زمن ضائع ! الى أين ينتهى بنا هذا ؟ فويسك انى لا أرى طاحونة الا استبد بى الحزن ·

فويســــــــك : تمام ياحضرة الضابط ·

الضـــــــــابط : فويسك أنت دائما مستعجل ! دائما ملهوف ! الرجل الطيب لا يفعل هذا · الرجل الطيب · ذو الضمير الطيب ـ تكلم يافويسك ، قل شيئا ! ما حال الجو اليوم ؟

فويســــــــك : سيىء ياحضرة الضابط سيىء · ريح !

الضـــــــــابط : اننى أحس به فعلا · شىء كالعاصفة يدور فى الخارج · مثل هذه الرياح تذكرنى بالفيران · (فى خبث) أعتقد أن شيئا كهذا يأتينا من الجنوب الشمالى ؟

فويســــــــك : تمام ياحضرة الضابط ·

الضـــــــــابط : ها ! ها : ها الجنوب الشمالى ! ها ! ها ! ها ! آه اننى غبى ! غبى الى حد شنيع (يتأثر) فويسك انه انسان طيب · ولكن (باستعلاء) فويسك !

انه بلا أخلاق ! أخــــلاق ! ذلك مايكونه الانسان عندما يكون على خلق هل يفهم ؟ انها كلمة طيبة · لديه طفل من غير بركة الكنيسة ، كما يقول واعظ القشلاق المبجل · بغير بركة الكنيسة · لست أنا الذى أقول هذا ·

فويســـــــك : سيدى الضابط · ان الله لا يحاسب الدودة المسكينة ان كانت بركة آمين قد هبطت عليها قبل أن تخرج الى الوجود · الرب قال اتركوا الصغار يأتون الى ·

الضـــــــابط : ماذا يقــول ؟ ماهذا الجـــواب العجيب ؟ انه يربكنى بجـــوابه · كلما قلت هو فانما أعنى أنت ·

فويســـــــك : نحن المساكين ـ انظر ياسيدى الضابط · المال ·· المال · من لامال معه ، فماذا تنفعه الأخلاق فى هذه الدنيا ؟ نحن أيضا من لحم ودم ·· أمثالنا أشقياء فى الدنيا وفى الآخرة · لو أن أبواب السماء فتحت لنا لكان علينا أن نساعد فى قصف الرعود ·

الضـــــــابط : فويسك · انه عديم الفضيلة ! انه انسان غير فاضل ! لحم ودم ! عندما أقف فى نافذتى ، وقد تساقط المطر ، أتابع ببصـــرى الجوارب البيضاء وهى تخطر عابرة الأزقة ـ الويل ! فويسك ، عندئذ يراودنىالحب ! أنا أيضا من لحم ودم · ولكن الفضـــيلة ، يافويســـك ! الفضيلة ! كيف اذن كنت أصرف وقتى ! اننى أقول لنفسى دائما : أنت رجل طيب (متأثرا) رجل طيب · رجل طيب ·

فويســـــــك : نعم ياسيدى الضابط ، الفضيلة لم أذق طعمها بعد · انظر · ان عامة الناس من أمثـــالنا لايعرفون ماهى الفضيلة · الطبيعة هى التى تتحكم فيهم · لو كنت سيدا وأضع على رأسى

قبعة وفى يدى ساعة وسلسلة واستطيع التحدث بلباقة لاشتهيت أن أكون فاضـــلا • لابد أن الفضيلة شىء جميل ، ياسيدى الضـــابط ، ولكننى فتى مسكين •

الضـــــــــابط : طيب يافويسك • أنت رجل طيب ، رجل طيب • ولـــكنك تفكر أكثر من اللازم • وهذا يقضى عليك، وأنت دائما ملهوف ومستعجل ـ الحديث معك ضعضعنى • اذهب الآن ، ولا تجر كعادتك على مهلك ، انزل الشارع على مهلك !

« فضـــاء • المدينة تبدو من بعيد »

« فويسك وأندريس يقطفان أعوادا فى حرش »

انـــــــــدريس : (يصفر)

فويســـــــــك : أجل يا أندريس ، المـــكان ملعون • هل ترى الخط المضىء المنشور هناك فوق العشـــب ، حيث تنمو الاســـفنج ؟ هناك يتدحرج الرأس ليلا ، مرة التقطه واحد من مكانه ، يقول انه قنفد ، ثلاثة أيام وثلاث ليال ، رقد فيها على الواح الخشب • (همسا) : أندريس ، انهم الماسونيون ! الماسونيون ! لقد عرفت السر !

انـــــــــدريس : (يغنى) :

بدا على البعد ارنبان(٢)

---

(٢) حرفيا : هناك جلس ارنبان ، العشب الاخضر ، العشب الاخضر •

كانا على العشب يجلسان

ومن ندى العشب يأكلان

فويســـــــــك : سكوت ! هل تسمع يا أندريس ؟ هل تسمع ؟ شىء يتحرك هناك !

أنـــــــــدريس : (يغنى) :

حتى التهما العشب الأخضر

ماتركا منه شيئة يذكر(٣)

فويســـــــــك : انه يتبعنى ، يتحرك تحت قدمى · (يدق الأرض بقدميه) أجوف ، هل تسمع ؟! كل شىء أجوف تحتنا ! الماسونيون !

أنـــــــــدريس : أنا خائف ··

فويســـــــــك : هذا السكون الغريب · يود الانسان أن يحبس أنفاسه ! أندريس !

أنـــــــــدريس : ماذا ؟

فويســـــــــك : تكلم ! (يحملق جامدا فيما حوله) أندريس ! هذا النور ! فوق المدينة هالة من اللهب ! نار تتصاعد فى الأفق وصخب أبواق تنحدر الى الأرض شىء يقتلعنى · شىء يجـــذبنى الى أعلى · كأنها الأشـــباح ! لنبتعد ! لا تتلفت وراءك ! (يجذبه الى الدغل)

---

(٣) حرفيا : التهما العشب الاخضر ، العشب الاخضر ، حتى الحشائش ·

أنــــــــدريس : (بعد برهة) فويسك ، هل مازلت تسمع ؟

فويســــــك : سكون · كل شىء ساكن · كأن العالم مات ·

أنــــــــدريس : هل سمعت ؟ انهم يقرعون الطبول · لابد أن نذهب !

المدينــــــــة

(أمام النافذة ماريا تحمل طفلها بين ذراعيها ـ مرجريت)

(يمر طابور عسكرى فى مقدمته ضابط الطبول)

مــــــــاريا : (تهدهد الطفل بين ذراعيها) هه ، سارا را را! هل تسمع ؟ هاهم قادمون ·

مــــــرجريت : ياله من رجل ، كأنه شجرة !

مــــــــاريا : واقف على رجليه وقفة السبع ! (ضابط الطبول يحيى)

مــــــرجريت : وهذه النظرات الودودة · ياست الجارة ! لم تعودينا على رؤيتها ·

مــــــــاريا : (تغنى) كتائب العسكر : أولئك الفتيان ·

مــــــرجريت : مازالت عيناك تلمعان ·

مــــــــاريا : ولو ! اذهبى بعينيك الى اليهودى ودعيــــه يمسحهما ، فقد تلمعان أيضا وتبيعينهما مقابل زرارين ·

مــــــرجريت : ماذا ؟ أنت ياعانس ! أنا شريفة ، أما أنت فكل

واحد يعرف من أنت ! كل واحد يكشفك ولو لبست سبعة سراويل من الجلد فوق بعض !

ماريا : يافاجرة ! (تغلق النافذة) تعال ياصغيرى نبتعد عن عيون الناس · ما أنت الا ابن حرام مسكين ، تفرح أمك بوجهك المنحوس · ها ! ها ! (تغنى) :

يافتاتى ·····

ضاقت الدنيا فماذا تصنعين ؟

ويل أم مالها الدهر قرين

لى وليد ليس يدرى من أبوه

أمه يعرفها أما أبوه ؟

لو قضيت الليل أشدو وأغنى

ما حنا قلب عليه أو عليا

لا ولا امتدت يد تعطيه شيا

(طرق على الباب)

ماريا : من ؟ فرانز ؟ ادخل !

فويسك : لا أستطيع · لابد أن أذهب للقشلاق ·

ماريا : هل قطعت الأعواد للضابط ؟

فويسك : نعم ياماريا ·

ماريا : مالك يافرانز ؟ الارتباك يبدو عليك ·

فويســــــــك : (مأخوذا كأنه يهمس بشىء) ماريا ، لقد عاد الى الظهور من جديد · شىء رهيب لا اســـم له · فجأة تصاعد دخان من المراعى ، كالدخان الذى يتصاعد من فرن ؟

مـــــــاريا : يارجل !

فويســــــــك : ظل يتبعنى الى مشارف المدينة · شىء لا ندركه ·· لانستطيع تصوره · شىء يسلبنا العقل · ترى ماذا يكون ؟ الى أين يسوقنى ؟

مـــــــاريا : فرانز !

فويســــــــك : لابد أن اذهب للسجن اليوم مساء فى القداس ! لقد ادخرت شيئا · (ينصرف) ·

مـــــــاريا : الرجل مسته الأرواح · لم ينظر الى طفله ! مازال غارقا فى أفـــكاره ! لماذا ســـكت ياصغيرى ؟ هل أنت خائف ؟ الظلام يزحف ، يكاد الانسان يحسب نفسه أعمى وكان الصباح يرسل نوره هنا · لا أستطيع أن أحتمل هذا الظلام ، اننى ارتعد ! (تنصرف)

(اكشاك ـ أضواء ـ جمهور)

(عجوز يغنى وطفل يرقص على أنغام صندوق مما يحمله المغنون الجوالون فى الشوارع)

هذه الدنيا زوال وفتون

كل ما كان وماسوف يكون

كتب الموت علينا أجمعين

ذاك مانعلمه علم اليقين

فويسـك : هاى ! عجوز مسكين ! طفل مسكين ، طفل صغير ! هموم وأعياد !

ماريا : عجبا · ان كان الحمقى قد فقدوا عقولهم ، فكلانا أحمق ــ عالم مضحك ! عالم جميل !

(يتجهان نحو الصائح فى السوق)

الصائح فى السوق : (على أحد الأكشـاك ومعه زوجته وقرد فى ثياب مزوقة) سيداتى ، سيداتى ! انظروا الى الخليقة كما أبدعهـا الله · لاشىء · لا شىء بالمرة تأملوا الآن الفن ، يسير منتصب القامة ، عليه سترة وسروال ، وفى يده سيف ! القرد عسـكرى ، ليس هذا هو كل شىء ·· أدنى درجات النوع الانسـانى ! هوه ! انحنى للسـادة ، هكذا ــ أنت بارون قبلة للزبائن (يطبل) الصعلوك موسيقار موهوب !

سـيداتى ! سيداتى ! أمامكم الحصان الفلكى وعصفور الكنارى الصغير · كل ملوك أوربا تحبهما ·

يكشفان كل الأسـرار : العمر ، عدد الأطفال ، نوع المرض ، العرض بدأ ! بداية البداية فى الحال !

فويسـك : الك مزاج ؟

مـــــــــاريا : كما تحب · لابد أنها حـــاجة حـــلوة · هذا الطرطور على رأس الرجـــل ! والمرأة تلبس سراويل !! (يدخلان الكشك) ·

ضـــابط الطبول : قف ! هاها ! هل تراها ؟ يالها من حرمة !

الصــف ضــابط : يا ابليس ! كأنها خلقت لتهجـــين فصـــائل الفرسان !

ضـــابط الطبول : وتوليف ضباط الطبول !

الصــف ضــابط : انظر كيف تحمل رأســـها بين كتفيها ! يخيل للانسان أن الشعر الأسود لابد أن يشدها الى الوراء كأنه حمل ثقيل ـ والعيون ـ

ضـــابط الطبول : كما لو كان الانسان يطل فى ينبوع أو ينظر فى مدخنة · هيا بنا ، وراءها !

(الكشـــك المنور من الداخـــل)

مـــــــــاريا : هذا النور كله !

فويســـــــك : نعم ، يا ماريا · قطط سوداء عيونها من نار · آه : يالها من ليلة !

صــاحب الكشــك : (يستعرض حصانا أمام الجمهور) : أظهر مواهبك ! بين مفهوميتك الحيوانية ! أخجـــل المجتمع البشرى ! سادتى ! هذا الحيوان الذى ترونه أمامكم ، بذيله وحوافره الأربعة ، عضو فى كافة الجمعيات العلمية ·

بروفســـور فى جامعتنا ، على يديه يتعلم الطلبة ركوب الخيل والمبارزة · ذلك هو العقل

البسـيط . فكر الآن بالعقل المزدوج ! ماذا تفعل عندما تفكر بالعقـل المزدوج ؟ هل بين أعضاء الجمعية العلمية التى نراها حمار ؟ (البغل يهز رأسـه) هل رأيتم الآن العقـل المزدوج ؟ هذه فزيونوميا حيوانية(٤) . أجل ليس هذا بهيما غبيا ، انه شخص ، انسان ، انسان حيوانى ، ومع ذلك فهو بهيم ، حيوان متوحش (البغل يعرض نفسه فى خيلاء) هكذا أخجـل الجميع . انظروا ، ان البهيم طبيعة بحتة ، طبيعة غير مثالية تعلموا منه ! اسألوا الطبيب ، والا أصابكم ضرر بليغ . كان يقال : أيها الانسان ، كن على طبيعتك ! لقد خلقت من طين ، ورمل ، ووسخ . هل تطمع أن تكون أكثر من طين ورمل ووسخ ؟ انظروا ما بلغه من العقل . ان فى امكانه أن يحسب بدون أن يعد على أصابعه . لماذا ؟ لأنه لايستطيع أن يعبر عن نفسه ، أن يشرح خواطره ، انه انسان ممسوخ . قل للسادة كم الساعة الآن ! من من السادة والسيدات لديه ساعة ؟ ساعة ؟ .

الصـف ضـابط : ساعة ؟ (يخرج فى زهو ساعة من جيبه) هاك هى ياسيدى !

مـــــاريا : لابد أن أرى هذا (تشق طريقها الى الصفوف الأمامية ، الصف ضابط يساعدها)

---

(٤) أى فراسة ، وهى علم الاستدلال على الطباع من ملامح الوجـه وتكوين الخلقة .

ضـــابط الطبول : أما حرمة !

(غــرفة مـــاريا)

مـــــــــاريا : (جالسة طفلها على حجرها ومرآة صغيرة في يدها) والرجل الآخر أمره فاضـــطر أن يذهب ! (تنظر في المرآة) : كم تلمع الأحجار ! من أي نوع ياترى ؟ ما الذي قـــاله ؟ نم ياصغيري ! أقفل عينيك • أقفلهما جيداً (الطفل يخفي عينيه بيديه)

هل تغلقها جيدا ؟ ابق هكذا – حذار أن تبكي ، والا جاء وخطفك (تغني) :

يا فتاة ٠٠٠٠٠٠٠

أغلقي الشباك حتى لا يراك

أسمر العينين من أرض الغجر

فارس لو أبصــرته مقلتاك

لحظة أو قبلته شـــــفتاك

ربما يطويك في لمح البصر

في ذراعيه الى أرض الغجر ! (٥)

(تعيد التطلع في المرآة) ... أنه من ذهب ! هل يا ترى سيليق ... في الرقص ؟ آه من بختنا نحن المســاكين كتب للواحدة منا ركن

---

(٥) تصرفت في هذه الأغنية قليلا ، ولكنني حافظت على المعنى الأصلي •

صغير فى هذا العالم ، ومرآة صـــغيرة فى اليد · مع ان لى شفة حمراء كنساء الذوات بمراياهن الكبيرة من شـــعرهن الى القدم ، ورجالهن المرفهين الذين يقبلون أيديهن · ما انا الا امرأة مسكينة !

(الطفل يصحو من نومه) نم · نم ياصغيرى ! أقفل عينيك ! عفريت الليل · هاهو يمشى على الحائط وينظر بعينين من زجاج · نم ، والا يحلق فيك وخطف عينيك !

(فويسك يدخل ويقف وراءها بحيث لاتراه · ماريا تتحسس الحلق بيدها)

فويســـــــك : ما هذا ؟

مـــــــاريا : لاشىء ·

فويســـــــك : والذى يلمع تحت أصابعك ؟

مـــــــاريا : حلق عثرت عليه ·

فويســـــــك : شىء كهذا لم اره فى حيـــاتى ، اثنين مرة واحدة !

مـــــــاريا : ألست مثل كل الناس ؟

فويســـــــك : لابأس ياماريا · الطفل ينام ! اجذبيه من تحت ذراعيه فالكرسى يضغط عليه · قطرات تلمع فوق جبهته ، تعب كل ماتحت الشمس ، حتى فى نومه يتصـــبب الانســـان عرقا · نحن

المساكين ! خذى ياماريا ، المرتب وشىء من الضابط .

مـــــــاريا : ربنا يجازيك بالخير يافرانز .

فويســــــك : لابد أن أذهب الليلة ياماري ! الوداع !

مـــــــاريا : (وحدها ، بعد برهة) ما أنا فى الحقيقة الا انسان سيىء . انى أكاد أقتل نفسى .

آه من هذا العالم ! ليذهب الجميع الى الشيطان رجالا ونساء !

(عند الطبيب)

(فويســــك ـ الدكتور)

الدكتـــــــور : ماذا اسمع يافويسك ؟ هل هذه كلمة رجل ؟

فويســــــك : ماذا حصل ياسيدى الدكتور ؟

الدكتـــــــور : رأيت بعينى ، بعينى يافويسك وأنت تبول فى الشارع ، وأنت تبول على الحائط كما يفعل الكلب ـ وكل يوم ثلاثة قـــروش والزاد ! فويسك ، هذا شىء بطال ، العالم يسوء كل يوم ، يسوء للغاية !

فويســــــك : ولكن ياسيدى الدكتور ، عندما تتحكم الطبيعة فى الانسان .

الدكتـــــــور : الطبيعة ! الطبيعة ! ألم أثبت بما لا يقبل الشك أن العضـلة القابضة موسكولوس كونستركتور

فيسكاى(٦) خاضعة لارادة الانسان ؟ الطبيعة ! فويسك ! ان الانسان كائن حر · فى الانسان تسمو الفردية الى الحرية · وانت لا تستطيع أن تتحكم فى البول ؟ (يهز رأسه) (يعقد يديه خلف ظهره ويمشى فى الحجرة ذهابا وايابا)

هل أكلت البسلة يافويسك ؟ لاشىء غير البسلة ، كروسيفراى(٧) ، لاحظ هذا ! ستكون ثورة فى العلم · سأفجره فى الهواء · بول عشرة فى المائة أمونيوم ، هيروكسيدول ، حامض هيدوكلوريك فويسك · هل تحس أنك مزنوق ؟ ادخل وجرب ·

فويسك : لا أستطيع يادكتور ·

الدكتور : (منفعلا) أما على الحانة فنعم ! عندى الدليل المكتوب ، والعقد فى يدى ! رأيت كل شىء ، بعينى هاتين ، كنت أخرج أنفى من النافذة لتسقط عليها أشعة الشمس وأراقب العطس (يتجه نحوه) لا يا فويسك ، لست غاضبا · ان الغضب غير صحى ، غير علمى · اننى هادىء ، كل الهدوء ، كالمعتاد ، واقول لك هذا بمنتهى البرود · ياحفيظ ، ومن يغضب نفسه من أجل انسان ، من أجل انسان ! حتى لو

---

(٦) بللاتينية لتتم الحذلقة العلمية ! ومعناها عضلة المثانة القابضة ·

(٧) باللاتينية أيضا ومعناها الهول أو الويل لك ·

كان بروتيوس(٨) ويموت أمامه ! ولكن يافويسك لم يكن يصح أن تبول على الحائط .

فويســـــــك : انظر ياسيدى الدكتور، فى بعض الأحيان يكون للواحد منا أخلاق ، يكون له طبع ـ أما مع الطبيعة فالأمر يختلف ، انظر ، مع الطبيعة (يطقطق أصابعه) ماذا أقول ياترى ، على سبيل المثال ...

الدكتـــــــور : فويسك . رجعت للفلسفة .

فويســـــــك : (فى ود) سيدى الدكتور هل سمعت مرة عن الطبيعة المزدوجة ؟

عندما تظهر الشـمس فى عز الظهر ، ويبدو العالم كأنه يحترق ، اسمع صوتا مخيفا ينادى على .

الدكتـــــــور : فويسك عندك خلل ، أبيرراتسيو(٩) !

فويســـــــك : (يضع اصبعه على أنفه) الاسفنج ، ياسيدى الدكتور ، هناك ، هناك تختبىء . هل لاحظت مرة أشكال الاسفنج التى تثبت على الأرض ؟ أين من يفهم هذا ؟

الدكتـــــــور : فويسك ! عندك أجمل حالة اختلال عقلى جزئى أبيرراتســيو منتاليس بارتياليس(١٠) ، النوع

---

(٨) نوع من السحالى .
(٩) باللاتينية : علل ذهنى .
(١٠) نفس العبارة باللاتينية أيضا .

الثانى ، واضح تمام الوضوح · فويسك · ستأخذ علاوة · النوع الثانى · فكرة ثابتة مع حالة طبيعية بوجه عام · هل تؤدى أعمالك كالمعتاد ؟ هل تحلق للضابط ؟

فويســــك : نعم ·

الدكتـــور : وتأكل البسلة ؟

فويســــك : بانتظام ياسيدى الدكتور · ومصاريف المعاش تأخذها زوجتى ·

الدكتـــور : وتخدم فى القشلاق ؟

فويســــك : نعم ·

الدكتـــور : حالة مدهشــة يانفر فويسك ، ستأخذ علاوة اثبت · هات النبض · تمام ··

(حجــرة مــاريا)

(ماريا : ضابط الطبول)

ضــابط الطبول : ماريا !

مـــــاريا : (وهى تنظر اليه بصوت معبر) تمشى قدامى ! الصدر صدر ثور والذقن ذقن سبع · وماله نظير ·· أنا أفتخر بك أمام كل النسوان !

الضـــــابط : عندما أعلق الريشة الكبيرة يوم الأحد وألبس القفاز الأبيض ، رعدك باسما ! الأمير يقول دائما : رجل ولا كل الرجال !

مـــــاريا : (بتهكم) أوه ! (تقترب منه) رجل !

الضـــــابط : وأنت المرأة ! ياشـــياطين ! تعالى نرمى بذرة ضابط الطبول ! هوه ؟ (يعانقها)

مــــــاريا : (فى ضيق) اتركنى !

الضـــــابط : ياوحش !

مــــــاريا : (بحرارة) لا تلمسنى !

الضـــــابط : هل يندى الشيطان من عينيك ؟

مــــــاريا : على رأيك ! كله واحد !

(ـ شـــــارع ـ)

(الضابط ـ الدكتور يهبط الشـارع مسرعا يقف ينحنى ، ثم يتلفت حوله)

الضـــــابط : يادكتور ، لا تجر هكذا ! لا تطوح بعصـــاك هكذا فى الهواء ! أنت تجرى وراء الموت ٠٠ الرجل الطيب صاحب الضمير الطيب لا يمشى بهذه السرعة ٠ الرجل الطيب (يمسك بسترة الدكتور) سيدى الدكتور ، اسمح لى أن أنقذ حياة بنى آدم !

الدكتـــــــور : مستعجل ، ياحضرة الضابط ، مستعجل !

الضـــــابط : سيدى الدكتور ، أنا دائما مغموم ، عندى ميل للغم ، كلما رأيت ســترتى معلقة على الحائط بكيت غصبا عنى ٠

الدكتـــــــور : هـ ٠٠ م ! أبخرة ، سمنة ، رقبة وارمة ، تكوين أبو بلكتى(١١) ٠ نعم ياسيدى الضابط ، ربما

---

(١١) أى لديه الاستعداد للاصابة بالنقطة أو السكتة أو الصرع ٠

تصـــاب بالنقطة أبوبلكسياسيربيرى فى جنب واحد ، وفى الجنب الثانى تصاب بالشلل ، أو على أحسن الفروض تصاب بالشـــلل العقلى وتعيش لتأكل فقط ٠

هذه تقريبا هى حالتك المنتظـــرة فى الأربعة أسابيع المقبلة ! على فكرة أستطيع ان أؤكد لك ان حالتك من أمتع الحالات ، واذا شاء الله وشل لسانك شللا جزئيا ، فستكون هذه فرصة لعمل تجارب خالدة ٠

الضـــــــــابط : ياسيدى الدكتور ٠ لا تدخل الرعب فى قلبى ! ياما ناس ماتت من الرعب ، من الرعب وحده ٠ أنا أرى النـــاس فى أيديهم ليمون ولـــكنهم ســـــيقولون كان رجلا طيبا ، رجلا طيبا ـ شيطان ! مسمار نعش !

الدكتـــــــــور : (ينزع قبعته من على رأسه) ما هذا ، ياحضرة الضابط ـ هذه رأس خاوية ياحضرة الســـيد النفر المحترم !

الضـــــــــابط : (مقطبا) ياحضرة الدكتور ؟ هذا عبط ، هذه سذاجة ، ياعزيزى السيد مســـمار النعش ! هأ هأ هأ ! لكن لابأس ! أنا رجل طيب ولكنى أستطيع أيضا ، اذا أردت يادكتور ، هأ هأ هأ اذا أردت (يظهر فويسك ويريد أن يمر مسرعا) هيه ! فويسك ، ماذا يجعلك تمرق من جنبنا بهذه السرعة ؟ انتظر يا فويسك ! انه يمشى فى الدنيا كموس الحـــلاقة ٠ كل من يقابله

يجرحه وكأن وراءه فرقة مخصصيين تحتاج الحلاقة ، أو كأنهم سيشنقونه لو ترك شعرهم من غير حلاقة · لكن الذقون الطويلة ــ ماذا كنت أريد أن أقول ؟ فويسك ، الذقون الطويلة ·

الدكتــــــــور : ذقن طويلة تحت الفك · بلينيوس(١٢) تكلم عنها ومن رأيه أن نعلم العساكر كيف يقلعون عن هذه العادة ·

الضــــــــابط : (يستمر فى حديثه) ها ؟ على الذقون الطويلة! قل لى يا فويسك ! ألم تجد شعرة ذقن فى طبقك ، هه ، أنت طبعا فاهم ؟ شعرة ذقن رجالى ؟ صاحبها نفر ضابط طبول · هيه ، ولكن زوجتك شريفة ــ بخلاف الناس كلهم ·

فويســــــــك : نعم · ماذا تريد أن تقول ياحضرة الضابط ؟

الضــــــــابط : ولم هذه التكشيرة ؟ ربما لم تجدها فى الشربة ولكن لو استعجلت ورحت على الناصية ربما تجد شعرة عالقة بشفتين ·· شفتين ·· يافويسك ! أنا أيضا شعرت بالحب ، يافويسك ولد ! أنت أصبحت فى لون الطباشير !

فويســــــــك : سيدى الضابط · أنا شيطان مسكين ــ لا أملك من الدنيا أى شىء ، سيدى الضابط · ان كنت تمزح ··

---

(١٢) بلينيوس الاكبر ، كاتب رومانى ولد سنة ٢٣ ومات على أثر انفجار بركان فيزوف سنة ٧٩ بعد الميلاد ، ومن أهم مؤلفاته كتاب عن التاريخ الطبيعى يقع فى عدة أجزاء ··

الضـــــابط : أمزح · أنا أمزح معك ياولد ؟

الدكتـــــور : النبض ، يافويسك ، النبض ! بسيط ، قوى ، منتفض ، غير منتظم ·

فويســــك : ياسيدى الضابط · الأرض مثل جهنم الحمراء وأنا جســـمى ثلج ، ثلج – جهنم برد – هل تراهن ؟ مســـتحيل – ياعـــالم ! ياناس ! مستحيل !

الضـــــابط : ولد ! يعنى أخبطك رصاصتين فى نافوخك ؟! تســـلط عينيك تطعنى كالســـكاكين – وأنا قصدى طيب معك – لانك رجل طيب ، يافويسك رجل طيب ·

الدكتـــــور : عضلات الوجه متحجرة ، متوترة ، تنتقض · الحالة متهيجة ، ومتوترة ·

فويســــك : أنا ماشى · كل شىء جائز · الانسان ، كل شىء جائز – الجو جميل اليوم ياســـيدى الضابط ، انظر ، مثل هذه السماء الجميلة ، الثابتة ، الداكنة يكاد الانسان – يجد متعة فى أن يدق فيها لوح خشب ويشنق نفسه منه ، لولا الفكرة التى تفصل بين نعم ونعم وبين لا ولا · سيدى الضـــابط ، نعم ولا ؟ هل اللامذنبة فى حق النعم أم الذمم فى حق اللا ؟ أريد أن أفكر فى هذا ·

(ينصرف بخطوات واسعة بطيئة فى أول الأمر ثم تزداد سرعة بالتدريج)

الدكتـــــــور : (يندفع وراءه) ظاهرة ! فويسك ! لك علاوة !

الضـــــــابط : سأدوخ من منظر هذا البنى آدم · ما أسرعه ! اللئيم المكار ·

رجله الطويلة تهرول كما لو كان ظل رجـــل عنكبوت ، والرجل الصغيرة ترتعش · الطويلة هى البرق والقصيرة الرعد · ها ها ! مسخرة ! مسخرة !

(حجـــرة مـــاريا)

(مـــاريا ـ فويســـك)

فويســــــــك : (ينظر اليها فى جمود ويهز رأسه) هم ! لا أرى شيئا ، لا أرى شيئا آه · لابد للانسان أن يراه ، أن يتمكن من القبض عليه بكلتا يديه !

مـــــــــاريا : (خائفة) مالك يافرانز ؟ أنت تهذى يافرانز ·

فويســــــــك : خطيئة ، بهذا السمك وبهذا العرض ـ رائحتها العفنة تفوح منها ، بحيث يستطيع الانسان أن يبخر الملائكة على رائحتها الى السماء ! فمك أحمر ياماريا · أليس عليه أثر رمل ؟ ماذا ياماريا ؟ أنت حلوة كالخطيئة ـ هل تستطيع الفاحشة أن تكون بهذا الجمال ؟

مـــــــــاريا : فرانز ، أنت تتكلم كالمحموم !

فويســــــــك : يا ابليس ! هل كان يقف هناك ؟ هكذا ؟ هكذا ؟

ماريا : لما كان النهار طويلا والعالم قديما ، ففى امكان الكثيرين أن يقفوا فى مكان واحد ، واحدا بعد الآخر ·

فويسك : لقد رأيته ·

ماريا : فى استطاعة الانسان أن يرى الكثير مادامت له عينان وليس أعمى والشمس طالعة ·

فويسك : ياعالم ! (يتقدم نحوها)

ماريا : لا تلمسنى يافرانز ! طعنة السكين فى جسدى أحب الى من لمسة يديك ·

ان أبى لم يجسر فى حياته على ضربى وعندى من العمر عشر سنوات ، عندما كنت أنظر اليه ·

فويسك : يا امرأة ! لا ! لابد أن فيك شيئا ! كل انسان هاوية سحيقة · يصيبنا الدوار حين نتطلع اليها · ليكن ! انها تسير كما لو كانت هى البراءة نفسها · ولكن لك ، أيتها البراءة ، علامة تدل عليك ·· هل أعرفها ؟ هل أعرفها ؟ من الذى يعرفها ؟! (**ينصرف**)

(غرفة الحراسة)

(فويسك ـ أندريس)

أندريس : (يغنى)

ست البيت الجارة

عندها خدامة شاطرة

قـــاعدة فى الجنينة

ليلهـــا ويا نهـــــارها

قاعدة فى الجنينة(١٣)

فويســـــــــك : أندريس

أنـــــــــدريس : هه ؟

فويســـــــــك : الجو جميل ·

أنـــــــــدريس : جو يوم الأحد ـ الموسيقى على باب البلد · من مدة خرجت النســـوان · الناس طالع منها البخار ، شىء عظيم !

فويســـــــــك : رقص يا اندريس ، أنهم يرقصون !

أنـــــــــدريس : فى الوحل وفى النجوم ·

فويســـــــــك : رقص ! رقص ·

أنـــــــــدريس : على كيفهم (يغنى)

قـــاعة فى الجنينة

لغاية لما الســـاعة

تدق تناشــــر دقة

---

(١٣) صاحبة البيت عندها خادمة شاطرة ، تجلس فى البستان ليل نهار ، تجلس فى بستانها ·

تتفرج عالعساكر(١٤)

فويســـــــك : أندريس ، أعصابى فى دوامة ٠

أنـــــدريس : مغفل ٠

فويســـــــك : لابد أن أخرج ، الدنيا تلف أمام عينى ٠ رقص، رقص ، هل ستصبح يداها دافئتين ؟ أندريس ! لعنة الله عليها !

أنـــــدريس : ماذا تريد ؟

فويســـــــك : لابد أن أذهب ، لابد أن أراها ٠

أنـــــدريس : يا مهووس ! كل هذا من أجل هذا المخلوق ؟

فويســـــــك : لابد أن أخرج ٠٠ الحر يخنقنى هنا ٠

(ملهى)

(النوافذ مفتوحة ـ أرائك أمام الملهى ٠ صبية من عمال الحرف اليدوية)

الصـــبى الأول : (يغنى) :

شايل قميص على جتتى

بس القميص مش من نصيبى

---

(١٤) تجلس فى بستانها ، الى أن تدق الساعة الثانية عشرة وتأخذ بالها من العساكر ٠٠٠

نفسى أدوق طعم النبيت

وأشرب كاسين من ايد حبيبى(١٥)

الصـــبى الثانى : أخى ، هل تحب أن أشق لك خرما فى الطبيعة ، لأجل خاطر صداقتنا ؟ الى الأمام ! أريد أن أخرم خرما فى الطبيعة ! أنا أيضا شهم كما نعــــرف ! أريد أن أفعص كل البراغيث على جسدك !

الصـــــبى الأول : روحى ، روحى تفوح برائحة الخمر ، حتى المال يفسد ! ياوردة لا تنسنى ، ما أجمل هذا العالم ! أريد أن أملأ برميلا لآخــــره بالكآبة والنواح حتى يطفح تمنيت لو كان أنفســانا زجاجتين ، واستطعنا أن يصب كل واحد منا فى رقبة الآخر ٠

(آخرون يغنون غناء الجوقة) :

صياد من أرض الفالس

راح يصطاد جوه الغابة

والغابة كانت خضرة

هاللو ؟ هاللو ؟ ياما أحلى الصيد

ما أحلاه ، عالمرعى الخضرا(١٦)

---

(١٥) ارتدى قميصا ، والقميص لا املكه روحى تفوح برائحة الخمر ٠٠

(١٦) صياد من الفالس ، دخل مرة فى غابـــة خضــــراء ، هاللى ، هاللو ، ما أحلى الصيد هنا على المراعى الخضراء ، الصيد هو فرحتى ٠

ما أحلاه ما أحلاه ! فرحتى وهناية !

(فويسك يقف أمام النافذة ــ ماريا وضابط الطبول يمران عليه وهما يرقصان متعانقين ، دون أن يلحظاه) ٠

ماريا (وهى تعبر راقصة) ضمنى بشدة ــ بشدة ــ

فويسك : (يختنق) بشدة ــ بشدة ! (ينهض فى هياج ثم يسقط على الأريكة) بشدة ــ بشدة ! (يشبك يديه) لفوا ! دوروا ! لماذا لا ينفخ الله فى الشمس فيطفئها حتى يتمرغ الجميع فى الفاحشة ، رجالا ونساء ، آدميين وبهائم ٠٠ افعلوها فى وضح النهار ، الدغوا الناس فى أيديهم كما تفعل البعوض ! ــ النسوان ! النسوان ساخنة ، ساخنة ! بشدة ، بشدة ! (فى هياج) الجدع ، منظره وهو يطوقها ، يضم جسدها ! انها الآن ملكه ، كما كانت ملكى فى البداية (ينهار فاقد الوعى) ٠

الصبى الأول : (يلقى عظة من فوق المائدة) ومع ذلك ، فعندما يقف عابر متجول ويستند الى نهر الزمان أو يستنجد بالحكمة الالهية ويخاطب نفسه قائلا : لم كان الانسان ؟ لم وجد الانسان ؟ الحق أقول لكم : من أى شىء كان يحيا الفلاح والنقاش والطبيب لو لم يخلق الله الانسان ؟ من أى شىء كان يحيا الترزى ، لو لم يفطر الله الانسان على الخجل والحياء ، ومن أى شىء

كان يحيا الجندى لو لم يزوده بالحاجة الى قتل نفسه ؟ من أجل هذا لا ترتابوا ـ أجل ، أجل ، انه لشيء جميل ورائع ، ولكن كل ما على الأرض شر ، حتى المال يفسد ويزول · وفى الختام ، يامستمعى الأعزاء دعونا نتبول على الطبيب ، لكى يموت يهودى ·

(يستيقظ فويسك على أصوات الهتاف ويسرع بالانصراف)

(حقـــل فى الخـــلاء)

فويســــــــــك : بشدة ! بشدة ! هش ، هاش ، تلك أصوات الكمنجات والصفافير · بشدة ! بشـــدة ! ســـكوت ! موســـيقى ! ما الذى يتكلم تحت الأرض ؟ (يتمدد على الأرض) هآ ! ماذا ، ماذا تقولين ؟ ارفعوا أصـــواتكم ! ارفعوا أصواتكم ! اقتل ! اقتل ! المعزة ! اقتل ! اقتل ! المعزة ! هل ينبغى على ؟ هل يجب على ؟ هل أسمع الصـــوت هناك أيضا ؟ أتقولها الريح كذلك ؟ هل اسمعها تقول بشدة ، بشدة ، اقتل اقتل !

(حجـــرة القشـــلاق

(ليل ـ فويسك وأندريس فى سرير واحد)

فويســــــــــك : (هامسا) : أندريس !

انـــــــــدريس : (يكلم نفسه وهو نائم)

فويســــــــك : (يهز أندريس) ما ، أندريس ! أندريس !

أنـــــــدريس : هه ؟ ماذا ؟

فويســــــــك : لا أستطيع أن أنام ! كلما أغمضت عينى ، رأيت كل شىء يلف أمامى وسمعت أصوات الكمان ، بشدة ثم أسمع صوتا يتكلم من الحائط ·

ألا تسمع شيئا ؟

أنـــــــدريس : نعم ـ دعهم يرقصون · أنا تعبان · ليحفظنا الله ، آمين ·

فويســــــــك : الصوت لايزال يقول : اقتل ! اقتل ! ويندس بين عينى كالسكين)

أنـــــــدريس : ثم يامغفل : (يعود للنوم)

فويســــــــك : بشده ! بشدة !

(فناء فى بيت الطبيب)

(طلبة مع فويسك فى الفناء ـ الطبيب يطل عليهم من نافذة فى أعلى الســـطح)

الدكتــــــــور : سادتى ، أنا أقف على الســـطح مثل داود ، عندما رأى باتسيبا(١٧) · ولكنى لا أرى غير

---

(١٧) هى زوجة القائد الحيثى أوريا ، أغراها داود وتزوج منهاعقباغتيال أورا ، ونصب ابنها سليمان بايعاز منها بدلا من الابن الأكبر دونيا خليفة له على العرش · انظر العهد القديم ، سفر الملوك ١ ، ١

كيلوتات فرنسية منشورة فى بنسيون البنات تجففها الشمس في الحديقة · سادتى ، لقد وصلنا الى المسألة الهامة عن علاقة الذات بالموضوع · لو أننا أخذنا شيئا من بين الأشياء التى يتجلى فيها التأكيد الذاتى العضوى للالوهية على مثل هذا المستوى الرفيع ، وبحثنا عن العلاقات التى تربطها بالمكان ، والأرض ، والافلاك ، سادتى ، لو قذفت بهذه القطة من النافذة ، فكيف يكون سلوك هذا الكائن بالنسبة لمركز الجاذبية ، سنتروم جرافيتاسيونس ، تبعا لغريزتها الخاصة بها ؟ هه ، فويسك (يزعق) فويسك !

فويسك : (يلتقط القطة) سيدى الدكتور ، القطة تعض !

الدكتور : ولد ، أنت تمسك الحيوان بحنان كما لو كان ستك الكبيرة (ينزل الى الفناء)

فويسك : سيدى الدكتور ، عندى رعشة ·

الدكتور : (بفرح عظيم) آى ، آى ! عظيم ، يافويسك ! عظيم !) يمسح يديه فى بعضهما ويتناول القطة) : ماذا أرى ، سادتى ، النوع الجديد من قمل الأرانب ، نوع جميل ·· (يخرج زجاجة من جيبه ، تفلت القطة منه) سادتى ، ليست لدى القطة أى غريزة علمية · نستطيع أن نرى شيئا آخر · انظروا · هذا البنى آدم ، من ربع سنة وهو لا يأكل الا البسلة ، لاحظوا

تأثيرها عليه ، تحسسوا بأنفسكم النبض المضطرب ! النبض والعينين !

فويسك : سيدى الدكتور ، الدنيا تسود فى عينى (يجلس)

الدكتور : تشجع يافويسك · كلها يومان ثم ينتهى كل شيء ·· تحسسوا ياسادة ، تحسسوا ! (يتحسسون سوالفه ونبضه وصدره) بالمناسبة يافويسك ، حرك أذنيك أمام حضرات السادة ! كان فى نيتى أن أفرجكم عليها ، فعنده عضلتان تتحركان · هيا(١٨) ! الى العمل !

فويسك : آخ ياسيدى الدكتور ·

الدكتور : ياحيوان ، هل على أن أحرك اذنيك بنفسى ، هل تريد أن تتشبه بالقطة ، هكذا ياحضرات السادة ! هذه مرحلة انتقال للحمار، وهى فى الغالب نتيجة التربية الأنثوية ولغة الأم · كم شعرة جذبتها أمك من رأسك للذكرى وبدافع الحنان ؟ لقد خف شعرك كثيرا فى الأيام الأخيرة · حضرات السادة ، كل هذا بتأثير البسلة !

(ساحة فى القشلاق)

فويسك : ألم تسمع شيئا ؟

اندريس : انه هناك مع أحد زملائه ·

فويسك : هل قال شيئا ؟

---

(١٨) فى الأصل بالفرنسية allons !

أنـــــــــدريس : وكيف عرفت ؟ ماذا أقول ؟ طيب · لقد ضحك، ثم قال : امرأة لذيذة لها أفخـــاذ دافئة وكل شىء فيها دافىء !

فويســـــــــك : (ببرود شديد) هل قال هذا ؟ ماذا رأيت الليلة فى المنام ؟ ألم أحلم بسكين ؟ يالها من أحلام حمقاء !

أنـــــــــدريس : الى أين ياصاحبى ؟

فويســـــــــك : احضر خمرة لحضـــرة الضــابط : ولكن ، يا أندريس ، كانت مع ذلك فتاة لا نظير لها ·

أنـــــــــدريس : من ؟

فويســـــــــك : لا شىء · الى اللقاء ، (ينصرف)

(ضابط الطبول ـ فويسك ـ ناس)

ضـــابط الطبول : أنا رجل (يضرب بيديه على صدره) أنا قلتها كلمة ، رجل ! هل فتح أحد فمه ؟ هل يحب أن يتعرض لى ؟ من لا يشرب شرب الآلهة ، فليبتعد عن سكتى والا حشـــرت أنفه فى خرمه ! أريد (لفويسك) أنت ياجدع ، اشـــرب ! نفسى العالم كله يصبح خمرة ، خمرة ! الرجل لابد أن يشرب ! (فويسك يصفر) ولد ، هل أشد لســـانك من رقبتك وألفه حـــول جثتك ؟ (يتصارعان ـ فويسك يخسر) هل أكتم على نفسك حتى تصيح مثل نساء العجوز ؟ أعملها ؟ (فويسك يلقى بجسده فى اعياء على احدى الأرائك وهو يرتعد)

كان لازم الولد يشرب طينة ويصفر !! (**يغنى**)
الخمرة هى حياتى
الخمرة تدى القوة ![19]

واحـــــدة : سمنته فيه !
أخـــــرى : دمه ينزف !
فويســـك : واحد بعد الثانى ·

(دكـــان)

(فويســـك ـ اليهودى)

فويســـك : المسدس غالى جدا ·
اليهـــودى : ستشترى أولا ؟ ماهى الحكاية ؟
فويســـك : وثمن السكين ؟
اليهـــودى : السكين مسنونة تماما · هل تحب حضرتك أن تقطع بها رقبة حضـــرتك ؟ هه ، مارأيك انا أعطيها لحضـــرتك بثمن مرتاح ، مثلك مثل غيرك · من حقك أن تموت ميتة مرتاحة ، لكن ليس من حقك أن تموت مجانا · مارأيك ؟ انا سأخدمك لتموت ميتة اقتصادية ·
فويســـك : تقطع أكثر من العيش ؟
اليهـــودى : قرشـــين
فويســـك : خذ ! (ينصرف)

---

(١٩) الخمر حياتى ، الخمر تمنح الشجاعة !

اليهـــــودى : خذ ! كأن الفلوس تراب ! مع انها فلوس ! أما كلب صحيح !

(حجــرة مــاريا)

(العبيط راقدا يحكى حـكاية على أطــراف أصابعه)

العبيـــــط : على رأسه تاج ذهبى ، الملك العظيم ‧‧ فى الصباح أحضر للست الملكة طفلها ‧ سـجق الدم يقول : تعال ياسجق الكبد ‧‧

مـــــاريا : (تتصفح الكتاب المقدس) : «ولم يخرج الغش من فمه » الهى ، الهى ! لاتنظر الى (تقلب فى صفحات الكتاب المقدس) ولكن الفريسيين(٢٠) أحضــروا اليه امرأة زانية ووضــعوها فى الوسط ‧ أما يســوع فقال : أنت أيضا لا ألعنك ‧ اذهبى ولا ترتكبى الخطيئة بعد الآن (تعض يديها) الهى ! الهى ! لا أستطيع ! الهى – أعطنى أن أقدر على الصلاة ‧ الطفل (يقترب منها) الطفــل يطعننى فى قلبى (للعبيط) كارل ! انه يتمطع فى الشــمس (العبيط يتناول الطفل من يديها ويسـكت) فرانز لم يحضر ، لا أمس ، ولا اليوم ‧ الحر يزداد هنا (تغلق النافذة وتواصل القراءة) وركعت عند قدميه وبكت ، وشــرعت تبلل

---

(٢٠) فرقة دينية وسياسية من بنى اسرائيل كانوا يتباهون بتشددهم فى الالتزام بنصوص الدين ‧

قدميه بالدموع وبشعر رأسها تجففهما ، وقبلت قدميه ودهنتهما بالمسك (تضرب صـــدرها بكفها) كل شيء ميت ! أيها المخلص ! أيها المخلص ! أريد أن أدهن قدميك بالمسك ٠

(قشـــلاق)

(أندريس ـ فويسك يقلب فى أشـــيائه)

فويســـك : أندريس ، الصـــديرى يحتاج للتصليح ٠ ربما تحتاج اليه يا أندريس ٠

أنـــدريس : (فى جمود يوافق على كل ما يقول) : نعم

فويســـك : الصليب لأختى والخاتم الصغير ٠

أنـــدريس : نعم ٠٠

فويســـك : معى كذلك صورة قديس ، قلبان وذهب جميل ٠ كان فى انجيل أمى ، مكتوب عليه :

مولاى ! يا أيها المخلص الشهيد ٠

واسمح لقلبى أن يكون مثل جسمك الجريح ٠

أمى لا تشعر الآن بأى شيء ، الا اذا لمعت الشمس على يديها ـ لا بأس ٠

أنـــدريس : نعم ٠٠

فويســـك : (يبرز ورقة) فريدريش يوهان فرانز فويسك، عسكرى نفر ببندقية فى الكتيبة الثانية ، السرية

الثانية ، الفصيلة الرابعة ، مولود فى عشرين يولية ، الموافق بشـارة مريم ـ عمرى اليوم ثلاثون ، وسبعة أشهر واثنا عشر يوما ·

أنـــــدريس : فرانز ! أحسن لك تدخل المستشفى يامسكين ، لابد أن تشرب كونياك مخلوط بمسحوق البارود ليقتل الحمى ·

فويســـك : نعم ، يا أندريس ، لما النجار يجر الفارة على خشب التابوت ، لايدرى أحد من الذى سيسند رأسه عليه ·

(شـــارع)

(ماريا ومعها بنات صغيرات أمام باب الدار ، بعد فترة)

(يحضر فويسك)

البنـــات : الشمس تبدو كاللهب

والقمح يزهو كالذهب

فى يوم تتويج المسيح

ذهبوا للمرعى

اثنين اثنين ····

الناى أمامـــا

فى الخلف كمنجة

ما أحلى السـير

بحذاء أحمـــر !

الطفـــل الأول : ســـخيفة !

الطفـــل الثاني : أنت دائما طماع !

الطفـــل الأول : غني لنا أنت !

مــــــاريا : لا استطيع ٠

الطفـــل الأول : لماذا ؟

مــــــاريا : لأنى لا أعرف ٠

الطفـــل الأول : ولماذا لا تعرفين ؟

الطفـــل الثالث : ستى احكى لنا حكاية !

الجـــــدة : تعالوا يابراغيث ٠ كان يا ما كان طفل مسكين غلبان ، لا له أب ولا أم ، كان كل شيء ميت ، ولا كان فيه على وجه الأرض انسان كل شيء كان ميت ، وراح الطفل يبحث ليل مع نهار ٠ ما كان فيه أحـــد على الأرض ، احب يطلع للسماء ، والقمر نظر اليه نظرة حنان ، ولما وصل القمر وجده قطعة خشب فسدان ، تركه وراح للشمس ، ولما وصل للشمس لقاها عباد شمس دبلان ، ولما راح للنجوم ، لقاها ناموس صغير مذهب ، كانت كمثل الخناق(٢١) المنور ولما أحب يرجع للأرض ، كانت الأرض ميتـا مهدمة مقلوبة ٠ وكان وحيد وحيد فى الدنيا كلها ٠ قعد على الأرض وبكى ، ومازال قاعد لليوم ٠ قاعد وحده يبكى ٠

---

(٢١) الخناق ، نوع من الطيور المفترسة يقتل فريسته خنقا ٠

فويسـك : ماريا !

مـاريا : (مفزوعة) هيه !؟

فويسـك : هيا نذهب · آن الأوان ·

مـاريا : الى أين ؟

فويسـك : وهل أعرف ؟

(طرف الغابة ـ عند المستنقع ـ)

(ماريا وفويسـك)

مـاريا : اذن فهناك تقع المدينة · الدنيا عتمة ·

فويسـك : ابقى لحظة · تعالى ، اجلسى !

مـاريا : ولكن لابد أن أذهب ·

فويسـك : لن تجرحى قدميك من المشى ·

مـاريا : ما أغرب حالك !

فويسـك : ماريا · هل تعرفين كم مضى على زواجنا ؟

مـاريا : فى عيد الفصح سنتان ·

فويسـك : وهل تعرفين أيضا ، كم بقى لنا ؟

مـاريا : لابد أن أذهب ، لأحضر العشاء ·

فويسـك : هل تشعرين بالبرد ، ياماريا ؟ ومع ذلك فانت دافئة · ما أدفأ شفتك ! دافئة ، أنفاسك دافئة

كأنفاس البغايا ! ومع ذلك أتمنى من السماء أن أقبلها مرة واحدة — هل تشعرين بالبرد ؟ حين يكون الانسان باردا ، لايتأثر بالبرد ·· لن تبردى من ندى الصباح ·

مـــــــاريا : ماذا تقول ؟

فويســــــك : لاشيء ·· (صمت)

مـــــــاريا : ما أشد احمرار القمر وهو يبزغ !

فويســــــك : مثل حديدة ملطخة بالدم ·

مـــــــاريا : ماذا تريد ؟ فرانز ، وجهك شاحب — (يرفع يده بالسكين) فرانز ، قف ! بحق السماء ، النجدة ! النجدة ! فويسك ! (يطعنها) خذى هذه ، وهذه ! ألا يمكنك أن تموتى ؟ هـــكذا هكذا — ها ! مازالت تنتفض ، لم تموتى بعد ؟ لم تمـــوتى بعد ؟ مازالت فيك بقية (يوالى طعناته) هل مت الآن ؟ ماتت ! ماتت ! (تسقط السكين من يده وينصرف مسرعا) ·

« الملهى »

فويســــــك : ارقصوا جميعا ، بشدة ! بشدة ! تصببوا عرقا، لتفح منكم الروائح العفنة ! ســـوف يأخذكم جميعا ، فى يوم من الأيام ! (يغنى)

ياحبيبتى يابنتى ،

ناوية على ايه

حبيتى العربجية

وعشقتى السواقين(٢٢)

(يرقص) كيته ! اقعدى ! أنا حران ، حران !

(يخلع سترته) هذا حال الدنيا · واحدة يأخذها عزرائيل والثانية يتركها على رجليها · كيته ! أنت دافئة : لماذا اذا ؟ كيته ، أنت أيضا ستصبحين باردة · كونى عاقلة · الا تستطعين أن تغنى ؟

كيتـــــــــه : (تغنى)

الهدمة ان طالت

أنا مالبسهاشى

وبلاد شقاين

أنا ما أروحهاشى

والجزمة السودة

أنا ما اقبلهاشى

دى حاجات ما تليقشى

بالخدامين !

فويســـــــك : لأ ! من غير حذاء ، الانسان يقدر يروح جهنم حافى القدمين !

---

(٢٢) آه يا ابنتى ، ياحبيبتى يابنتى ، عــلام نويت ، حتى تعشـــقى الحوذية ، وتميلى للسائقين ؟

كيتـــــه : (تغنى)

ياحبيبى ده عيب

مايصحش منك

لأ خلى فلوسك

ونام لوحدك !(٢٣)

فويســك : نعم ، صحيح لا أريد أن أوسخ نفسى بالدم .

كيتـــه : لكن ماهذه البقع على يدك ؟!

فويســك : أنا ؟ أنا ؟

كيتـــه : أحمر ! دم ! (يتجمع الناس حولها)

فويســك : دم ؟ دم ؟

صاحب الملهى : آخ ! دم .

فويســك : يظهر أننى قطعت أصبعى ، هنا فى اليد اليمنى .

صاحب الملهى : ولكن كيف وصل الدم الى كوعك ؟

فويســك : كنت امسحه من عليها

صاحب الملهى : ماذا ؟ تمسح كوعك الأيمن بيدك اليمنى ؟ شاطر !

العبيــط : عند ذلك قال العملاق : أنا أشم ، أنا أشم رائحة لحم بشر أف ! الرائحة فاحت !

---

(٢٣) آه ياحبيبى ، ماكان هذا يصح منك احتفظ بنقودك ، ونم وحدك !

فويسك : ياجن يا أبالسة ! اللعنة عليكم ! ماذا تريدون ؟ ماذا يهمكم ! افسحوا الطريق والا فان أول واحد فيكم . اللعنة عليكم ! أتريدون أن تتهمونى بالقتل ؟ هل أنا قاتل ؟ لماذا تبحلقون فى ؟ انظروا الى أنفسكم ؟ أفسحوا المكان !
(يفر)

(عند المستنقع)

(فويسك وحده)

السكين ؟ أين السكين ؟ تركتها هنا . سوف تفضحنى ! اقترب ! اقترب ! أى مكان هذا ؟ ماذا أسمع ؟ شىء يتحرك . فى هذه الناحية . ماريا ؟ ها ماريا ! سكون . كل شىء ساكن !
ما هذا الشحوب على وجهك ؟ ماريا ! ما هذا الرباط الأحمر حول رقبتك ؟ من الذى أخذت منه العقد ثمنا لخطاياك ؟ اسود وجهك منها ، أسود وجهك ! هل أنا السبب فى هذا الشحوب؟ لماذا تناثر شعرك ؟ ألم تضفرى خصلاتك اليوم ؟ السكين ، السكين ! هل عثرت عليها ؟ هاهى ! (ينحنى الى الماء) هكذا ، اسقطى فى القاع ! (يلقى بالسكين فى الماء) انها تغوص كالحجر فى الماء العكر . (يغوص فى المستنقع ويقذف السكين بعيدا) هكذا . الآن . ولكن فى الصيف حين يغطسون بحثا عن القواقع ؟ آه ، سوف نصدأ . وأين من يستطيع التعرف عليها ؟ لو كنت كسرتها ! هل مازال

الدم على ؟ لابد أن أغتسل · هذه بقعة ، وهذه بقعة أخرى · (تأتى جماعة من الناس) ·

الأول : قف عندك !

الثـــــانى : هل تسمع ؟ سكوت ! هناك !

الأول : آه هناك ! ما هذا الصوت !

الثـــــانى : هو صوت الماء ، انه ينادى : من مدة طويلة لم يغرق أحد · فلنذهب ! خير لنا ألا نسمعه ·

الأول : آه ! عاد الصوت ! كما لو كان صوت انسان يموت !

الثـــــانى : فظيع ! قاتم ، معتم بلون الضـــباب وازيز الخنافس مثل صـــوت الاجراس المحطمة · لنهرب بأنفسنا ··

الأول : لا ، انه صوت واضح مرتفع ! هناك · تعال معى ! ····

(ينصرفان)

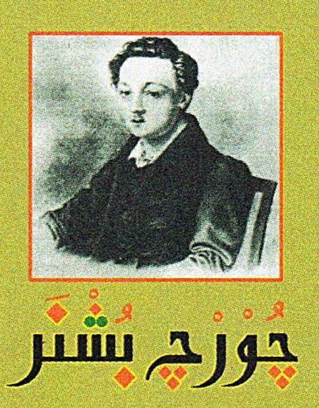
الفهـرس

صفحة

صفحة

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز
الإشراف الفنى : حسن كامل





چورچ بشنر

چورچ بشنر كاتب وثائر وطبيب، عبّر عن صرخة الخليقة المعذبة من عبث الوجود وفنائه، هذه الصرخة التى لا نزال نسمع صداها فى الأدب العالمى حتى اليوم.

يعد بشنر المناهض الأول لمثالية الشاعر الكبير شيلر.

إن صورة البطل المنتصر الذى يصارع عالم المادة من أجل تمجيد الفكرة المثالية لا أثر لها عنده، فأبطاله يعانون مأساتهم، وينحدرون إلى هوة من العدم، تحركهم كالدمى الذبيحة أو كخيالات الظل يد خفية باطشة ويسحقهم قدر قاس مجهول.

